المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية المقارنة

مضامين تربوية مستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها

وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة

إعداد الطالبة
تهاني بنت عبد القادر بن عثمان يماني
الرقم الجامعي:٤٢٤٨٠١٦٧
إشراف
أ.د. آمال بنت حمزة المرزوقي أبو حسين

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية و المقارنة
الفصل الدراسي الثاني لعام ١٤٢٩هـ - ١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ سورة الأنعام آية: ٩٠

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ".

رواه البخاري ومسلم

ملخص الرسالة

عنوان الدراسة : مضامين تربوية مستنبطة من سير أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

اسم الباحثة : تهاني بنت عبد القادر يماني .

أهداف الدراسة:الاستنارة بما في سيرة خديجة ـ رضي الله عنها ـ من مواقف وسلوكيات يجب أن نقتدي بها ، و إبراز مضامين تربوية مستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ، وبيان دور الأسرة والمدرسة في تطبيق هذه المضامين المستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة .

منهج الدراسة : استخدمت الباحثة المنهج الاستنباطي باستنباط بعض المضامين التربوية من الأحاديث ، والروايات التاريخية الخاصة بسيرة خديجة ـ رضي الله عنها ـ والمتعلقة بالأسرة والمدرسة ، والمنهج الوصفي في تحليل بعض الروايات التاريخية وترجيحها ؛ لترصد من خلالها واقع تطبيق هذه المضامين التربوية في الوقت الحاضر .

فصول الدراسة : اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في أربعة فصول وخاتمة، وذلك على النحو التالي :

ففي الفصل الأول التمهيدي: تناول موضوع الدراسة، وأسئلة الدراسة ، وأهداف الدراسة ، وأهميتها ، ومنهج الدراسة ، وحدودها ، ومصطلحات الدراسة ، والدراسات السابقة عليها .

و الفصل الثاني تناول عن سيرة أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها.

و الفصل الثالث تناول عن مضامين مستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ .

أما الفصل الرابع تناول دور وسائط التربية في تفعيل المضامين التربوية

ومن أهم النتائج :

١-موقف الزوجة الصالحة مع زوجها في محنته وكربته وأثره في تقرير محبة زوجها واستقرار الأسرة.

٢-الصفات الإيجابية في الزوجة وأثره في تعزيز استقرار الأسرة.

٣-استقرار الأسرة وأثره في تبليغ دعوة الله عز وجل وأثره في تنشئة الأجيال.

ومن أهم التوصيات:

١- إكمال البحث في تاريخ أمهات المؤمنين ثم إصدار موسوعة عن التربية النبوية وطرائقها وأسسها.

٢- ضرورة الاعتناء بسيرة أمهات المؤمنين أو الاستفادة من ذلك في المؤسسات التعليمية.

٣-ربط فتيات المسلمين بالقدوات الصالحات وأولهن أمهات المؤمنين اللاتي جعلهن الله قدوة للنساء.

ABSTRACT

Title: Educational concepts derived from the biography of Khadeejah, the Prophet's wife and the mother of the Muslim believers (may Allah be pleased with her)

Researcher's name: Mss. Tahani Abdul Qadir Yamani

Objective:

- **Enlighten ourselves on the attitudes and conduct practices embodied in the biography of Khadeejah and which should be followed.**
- **Shed light on his efforts of late Sheikh Hassan Muhammad Al-Masshat, especially his academic and career life.**
- **Explain the role of the family and school in the enforcement of such concepts derived from the biography of Khadeejah.**

Study methodology: The female researcher has employed both the historical methodology in collecting historical data from the biography of Khadeeja and the deductive methodology in extracting certain educational concepts from Hadiths and historical narrations of Biography of Khadeeja pertaining to family and school. The aim behind such work is to monitor through them the factuality of applying these educational concepts during the current time,

The nature of the research has imposed that it comprises four chapters and a conclusion as follows:

The first introductory chapter covered the study subject, study questions; study objectives study importance, study methodology, study limits, study terminology and previous studies.

The second chapter deals with the biography of Khadeejah. ,(May Allah be pleased with her)

Chapter three tackles the contents derived from the biographies of Khadeeja,(May Allah be pleased with her)

Chapter four sheds light on the role educational means in activating educational contents.

The following are the most significant results:

١- The standing of the good wife by her husband in his problem has its impact on establishing the love her husband for her and the stability of the family.

٢- The positive attributives of the wife has their effect on the enhancement of

٣- Family stability encourages promulgation of Dawwah and affects upbringing of generations.

The most important recommendations are as follows:

- **١-١-It is essential that the research into the history of the believers' mothers (Prophets' Wives) be completed and that an encyclopedia on Prophet Education as well as on its means and principles must be published.**
- **٢-It important that we give due attention to the biographies of the believers' mothers besides taking advantage of them in educational institutions.**
- **٣- It is profitable to associate Muslim young woman with earlier woman who set good example, the topmost of whom are the believers' mothers, whom Allah made them good example.**

الإهداء

إلى وَالِدَيَّ اللذين غرسا في نفسي حب العلم والمعرفة..

إلى زوجي عنوان سعادتي.

إلى أولادي محمد وحسن وجونة وجنى شموع المستقبل .

إلى كل مربي يتطلع إلى نهوض أمته.

شكر وتقدير

قال تعالى ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة النمل آية ١٩)

وقالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الحمد رأس الشكر ، ما شكر الله عبد لا يحمده " [١]، لذا فأنني أتوجه بالشكر أولاً لله عز وجل فهو المستحق للحمد والثناء فله الحمد وله الشكر على نعمه عليَ التي لا تحصى ولا تعد ومنها أن أعانني على إنجاز هذا العمل ، ويسر لي إتمامه .

ومن شكر الله عز وجل ما أرشدنا إليه صلى الله عليه وسلم " مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ " رواه أبو داود والترمذي [٢]،من منطلق هذا الحديث أتقدم بأعظم كلمات الشكر التي عجز عن خطها قلمي إلى والدتي صالحة محمد قاسم الجيزاني ووالدي فشكرهما من الإيمان قال تعالى ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾(سورة لقمان أية:١٤) . فلوالدي ولجدتي الغالية / رحمة منصور نجار، خالص الدعاء والشكر على كل دعم مادي ومعنوي ،وعلى ما منحوني من رعاية وعطف وحنان ، وعلى رفع اكف الضراعة ليلاً ونهارا بالدعاء لي بالتوفيق أسال الله أن يمد في أعمارهم ويرزقهم العمل الصالح .

كما أن الشكر مرسولٌ والثناء محمولٌ على اكف العرفان بالجميل لزوجي الشيخ باسم بن حسين بن حسن مشاط الذي آثرني بجهده ووقته ومشورته وتحمل معي ما تكبدت من مشقة هذه الدراسة .

---

[١] البيهقي ،ابي بكر احمد بن الحسن: شعب الإيمان ، ج٩٧/٤ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ .

[٢] أبو داود،سليمان بن الأشعث :سنن أبي داود (الكتب الستة)رقم الحديث٤٨١١، ج١، ص١٧١٧، مكتبة الرشد ،الرياض،١٤٢٦هـ

الترمذي ، محمد بن عيسى :سنن الترمذي (الكتب الستة)رقم الحديث١٩٥٥، ج١، ص١٩٨٦، مكتبة الرشد ،الرياض،١٤٢٦هـ

وشكر مغلف بباقات الود الأخوي لإخواني الذين لم يألوا جهداً في مساعدتي بكل ما استطاعوا ، واخص بذلك أخي هاني .

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذة الدكتور آمال بنت حمزة المرزوقي أبو حسين صاحبة القلب الكبير المشرفة على هذه الرسالة والتي لم تبخل علي بتقديم النصح والتوجيه والتشجيع بكل ما تملكه من خبرات تربوية مما كان له بالغ الأثر في انجاز هذه الرسالة، ولها اسال الله ان يكتب لها الخير حيثما كانت.

والشكر موصول لسعادة الدكتور عبد الناصر سعيد عطايا ،و الأستاذة الدكتور أميرة بنت طه بخش الذين قاما بتحكيم خطة الدراسة . وكل من كان له الفضل علي من أساتذتي في قسم التربية الإسلامية والمقارنة.

كما أتقدم بالشكر إلى سعادة الأستاذ الدكتور محمود بن محمد كسناوي ،والدكتور نجم الدين بن عبد الغفور الانديجاني ، لتفضلهما بقراءة هذه الدراسة وقبول مناقشتها .

سائلةً الله عز وجل أن لا يحرم الجميع الأجر وأن يجعلنا في زمرة من أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" [٣]فجزاهم الله خير الجزاء ، وتقبل منا ومنهم صالح الأعمال إنه سميع قريب .

الباحثه

[٣] النيسابوي، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (الكتب الستة)رقم الحديث١٦٣١،ج١ص١٠٧٢ ، مكتبة الرشد ،الرياض،١٤٢٦هـ

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
ملخص الرسالة	د
الإهداء	و
شكر وتقدير	ز
قائمة المحتويات	ط
الفصل الأول : الإطار العام للدراسة	١
المقدمة	٢
موضوع الدراسة	٦
أسئلة الدراسة	٧
أهداف الدراسة	٧
أهمية الدراسة	٨
منهج الدراسة	٩
مصطلحات الدراسة	٩
حدود الدراسة	١٠
الدراسات السابقة	١٠
الفصل الثاني:سيرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها	١١
ملامح العصر التي عاشت فيه	١٢
المبحث الأول: نشأتها وحياتها ـ رضي الله عنها	١٦
نسبها ـ رضي الله عنها	١٦
صفاتها ـ رضي الله عنها ـ	١٨
زواجها ـ رضي الله عنها ـ	٢٠

إسلامها ـ رضي الله عنها ـ وفاتها ـ رضي الله عنها ـ ٢٦
وفاتها ـ رضي الله عنها ـ ٢٦
المبحث الثاني: أبناءها ـ رضي الله عنها ـ من الرسول -صلى الله عليه وسلم- ٢٩
القاسم ابن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ٢٩
عبد الله ابن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ٣٠
بنات النبي -صلى الله عليه وسلم- ٣٠
أولاً : زينب ـ رضي الله عنها ـ بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ٣٠
ثانيا : رقية بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ٣٣
ثالثاً : أم كلثوم بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ٣٥
رابعاً : فاطمة الزهراء بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ٣٧
المبحث الثالث : مكانة خديجة ـ رضي الله عنها ـ : ٤١
مكانتهاـ رضي الله عنها ـ عند الرسول -صلى الله عليه وسلم ٤١
مكانتها ـ رضي الله عنها ـ في قومها ٤٤
موقف عائشة ـ رضي الله عنها ـ تجاه أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ ٤٦
الفصل الثالث مضامين مستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ : ٤٨
المضمون التربوي الأول :- الاحتساب . ٤٩
المضمون التربوي الثاني :- الإيمان . ٥٤
المضمون التربوي الثالث :- البصيرة والفراسة. ٥٩
المضمون التربوي الرابع :- لتبليغ . ٦٣
المضمون التربوي الخامس :- التعاون على البر والتقوى. ٦٧
المضمون التربوي السادس :- حسن الخلق . ٧١
المضمون التربوي السابع :- الحياء . ١٠١
المضمون التربوي الثامن :- الشورى. ١١٢
المضمون التربوي التاسع :- علو الهمة . ١١٦
المضمون التربوي العاشر :- الولاء والبراء. ١٢٢
الفصل الرابع :دور وسائط التربية في تفعيل المضامين التربوية ١٣١

المبحث الأول – الأسرة ١٣٣
التعريف بالأسرة ١٣٣
أركان الأسرة ١٣٤
أهمية الأسرة في الإسلام ١٣٥
وظيفة الأسرة ١٣٦
الحقوق والواجبات في الأسرة ١٤٠
صفات الزوجة الصالحة ١٥٠
المبحث الثاني – المدرسة ١٥٦
التعريف بالمدرسة ١٥٧
أركان المدرسة ١٥٧
صفات المعلم ١٦٠
الفصل الخامس : بعض الطرق المقترحة في تفعيل المضامين التربوية المستنبطة من سيرة أم
المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – ١٦٤
الطريقة الأولى – طريقة القدوة ١٦٥
التعريف بالقدوة ١٦٥
منهج الإسلام في تقرير جانب القدوة الحسنة ١٦٦
أنواع القدوة ١٧١
أصول القدوة ١٧٤
الدوافع النفسية للاقتداء ١٧٥
التطبيقات التربوية العملية للقدوة ١٧٧
الأشكال التربوية للقدوة ١٧٨
صور من استخدام القدوة في حياة أم المؤمنين السيدة خديجة–رضي الله عنها – ١٧٩
الطريقة التربوية الثانية – الموعظة ١٨٠
مفهوم أسلوب التربية بالموعظة ١٨٠
أنواع الموعظة ١٨٣
أركان الموعظة ١٨٤

أهمية أسلوب التربية بالموعظة ١٨٦
بعض النتائج التربوية المستفادة من أسلوب الوعظ ١٨٨
صور أسلوب الموعظة في حياة أم المؤمنين – رضي الله عنها – الدعوية ١٨٨
طريقة التربوية الثالثة – الترغيب والترهيب ١٩٠
مفهوم الترغيب والترهيب ١٩٠
مميزات طريقة الترغيب والترهيب التربوية ١٩٣
الآثار التربوية لأسلوب الترغيب والترهيب ١٩٥
عوامل نجاح الترغيب والترهيب في الأسلوب التربوي ١٩٦
صور من استخدام أسلوب الترغيب والترهيب عند أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ١٩٧
الطريقة التربوية الرابعة – طريقة القصة ١٩٨
مفهوم القصة ١٩٩
أهمية القصة ٢٠٠
مصادر القصة ٢١٤
أنواع القصة ٢٠٢
مميزات القصة التربوية ٢٠٤
الآثار التربوية لأسلو بالتربية بالقصة ٢٠٤
كيفية استخدام القصة ٢٠٦
النتائج ٢٠٩
التوصيات ٢١٢
المقترحات ٢١٢
المصادر والمراجع ٢١٣

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة

ويتكون من تسعة مطالب :-

- **المقدمة:**
- **موضوع الدراسة .**
- **أسئلة الدراسة .**
- **أهداف الدراسة .**
- **أهمية الدراسة .**
- **مصطلحات الدراسة .**
- **منهج الدراسة .**
- **حدود الدراسة .**
- **الدراسات السابقة عليها .**

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله ـــ الذي أقرأ خديجة السلام " فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ" [٤] ـــ وأشهد أن محمداً رسول الله أفضل زوج عرفته البشرية القائل :-" خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ" [٥] .

أما بعد . . .

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد – –صلى الله عليه وسلم– –، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار، قال تعالى :– " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ " (سورة : آل عمران ،آية : ١٠٢) ، وقال تعالى :– " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " (سورة : النساء ، آية :١) ، وقال تعالى :– " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا " (سورة : الأحزاب ، آية: ٧٠ – ٧١) .

إن الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى قيام الساعة ، والحرب على الإسلام وأهله قائمة على أشدها بكل الوسائل والطرق ، وبأقصى جهد وعمل يبذله العدو؛ فوحدة المسلمين تؤرقهم ، وصلتهم بخالقهم تقتلهم ، وأخلاقهم تزعجهم ؛ فهم يحاولون بشتى الوسائل تفكيك وحدتهم ، وهدم صلتهم بربهم ، وتمزيق أخلاقهم التي تعتمد عليها الأمم في حضارتها.

فهم بذلك مجتهدون لإخراج المسلم عن الإسلام ، فالمسلم اليوم – إلا من رحم الله – يسعى في الحصول على الشهوات ، والراحة ، والكسل ، وتوافه الأمور ، والإعراض عن عظائمها .

---

[٤] البخاري، محمد إسماعيل : صحيح البخاري (الكتب الستة)، مكتبة الرشد ،الرياض،١٤٢٦هـ ، رقم الحديث ٣٨٢٠، ١/ ٣٨٠ .

[٥] رواه البخاري ومسلم ، مصدر سابق، رقم الحديث في البخاري ٣٧٩٥ ، ٣٨٠/١ ، رقم الحديث في مسلم ٢٤٣٠، ١٢٣٤/١ .

ولعلاج أمراض المجتمع والرقي به للمستوى المطلوب ، لابد من توعيته بالإسلام وعظمته، ومحاسنه ، وإرجاعه لماضيه ، وتقليب صفحاته ؛ لدراسة تعاليم الإسلام ومبادئه ، ودراسة شخصياته البارزة ؛ لتكون نموذجاً حياً يقتدى به.

وبالتفتيش عن الكواكب الإسلامية الفذة ، التي نأخذ منها الدروس والعبر ، والقدوة الصالحة، التي هي نوع من أنواع التربية التي يحتذي بها ، نجدها في : الأنبياء ، وأمهات المؤمنين ، والخلفاء الراشدين ، والصحابة ، والتابعين ، والسلف الصالح من الأئمة والفقهاء ومن سلك دربهم ، ويتعين على المرأة المسلمة أن تجدها : بين أمهات المؤمنين ، والصحابيات الجليلات ، والتابعيات الفضليات ، ومن سار على نهجهن وطريقهن .

فقد آن الأوان لأن تترك المسلمة الإقتداء بالفنانات والمغنيات ، وتلتمس هذه القدوة الطيبة من زوجات سيد العالمين محمد -صلى الله عليه وسلم- .

"عندئذٍ سنرى البطلات حقاً، بطولة في إصلاح النفس وجهاد الشيطان وأهل الأهواء، بطولة في تربية الأبناء تربية إسلامية، بطولة في إعطاء الزوج حقه، بطولة في إعطاء الوالدين حقهما، بطولة في إعطاء الأرحام حقهم، بطولة في إعطاء المسلمات حقهن، بطولة في إعطاء غير المسلمات حقهن[٦]" .

إن القارئ لسير أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – يجد الكثير من الدروس والعبر والمواعظ والمبادئ ما الله به عليم، وفيها ما يغني المجتمع المسلم، ويضع على رأسه – بتطبيقه لتلك السير – تاجاً مطعماً باللؤلؤ والجواهر يسمو به على رءوس الأمم.

من ثمَّ وجب على المربين دراسة هذه الشخصيات العظيمة ؛ لتكون شمعة تضيء لهم الطريق في تربية الأبناء من غير خوف ؛ وذلك لأن "سلوك نسائه -صلى الله عليه وسلم- كان يخضع لرقابة مباشرة من السماء على نحو غير مألوف في حياة غيرهن "[٧]، قال تعالى ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾**(سورة: الأحزاب ، آية : ٣٢)** .

---

[٦] مراد ، مصطفى ، قصص الصحابيات ،القاهرة ، دار الفجر ، ١٤٢١هـ ، ص٥ .

[٧] بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن : نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، مصر ، دار الهلال ، ١٣٧٤هـ ،ص١٤ .

وأخص دراستي هذه بسيدة من سيدات الإسلام ، وزوجة من زوجات النبي –صلى الله عليه وسلم– ، وهي أم المؤمنين السيدة خديجة – رضي الله عنها وأرضاها – هذه الذات الإنسانية التي مهما كُتب عنها لن نستوفى حقها، فعن عبد الله بن جعفر – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : " خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ" [٨].

لقد أثبتت السيدة خديجة ــ رضي الله عنها ــ بمواقفها الحاسمة في نصرة زوجها ، أنها نموذج ملموس للقدوة الحسنة في هذا العصر وغيره من العصور ؛ لذا فقد لزم علينا الاقتداء بمثل هذه القدوة العظيمة ، كما أن غياب هذه القدوات عن أذهان الناس والمجتمع المسلم ، يجعل المسلم يتهاون شيئاً فشيئاً عن دينه ، فقد ينسلخ عنه ويقتدي بغير المسلمين ــ الذين فاقوا المسلمين مادياً وتقنياً بسرعة عالية ــ من ثم ينصهر في مجتمع غربي الأفكار والاعتقاد والأقوال والأفعال ، ويصبح فريسة لينة أينما يوجهه العدو يتجه ؛ فيكون مجهول الهوية ، فاقد السيطرة على نفسه وعلى مجتمعه ؛ فيتحطَّم جدار التربية لدى المسلمين ، وينشأ جيلا ممسوخ الهوية ، مسلوب الإرادة .

لذا فإن دراسة سير هؤلاء الأعلام اللامعة ؛ تبصر الناشئة ببطولات إسلامية خارقة ، مما يكون لها الأثر التربوي الذي يظهر على سلوكهم ، فتعود الأمة الإسلامية إلى مجدها السابق ، وتقود الأمم بعد أن كانت تقاد.

وهذه الدراسة سوف تكون إن شاء الله إسهاماً بسيطاً في العملية التربوية ، التي تربط المسلم بالقدوة الصالحة، وستقتصر على الأسرة التي هي : حجر الأساس في بناء شخصية الفرد وتوجيه سلوكه، والموطن الأول لتربيته ، وهي مستمرة معه إلى ما شاء الله ، ثم المدرسة وهي : المؤسسة التعليمية الثانية ، وهي لا تقل أهمية عن الأسرة ، والتي تعتني بتربية الأجيال ، ولها طابعها على النشء ، وأثرها التربوي الكبير علي المجتمع .

---

[٨] رواه البخاري ومسلم ، مصدر سابق، رقم الحديث في البخاري ٣٧٩٥ ، ٣٨٠/١ ، رقم الحديث في مسلم ٢٤٣٠، ١٢٣٤/١ .

وهناك الكثير من البحوث العلمية والتربوية المحكمة ، التي اعتنت بدراسة شخصيات إسلامية فذَّة قام بها باحثون ، واستنبطوا مبادئ وقيم وأفكار إسلامية هادفة أسهمت في العملية التربوية .

وإني مؤمّلة أن ينفع الله بهذا البحث المربين وطلاب العلم ، راجيةً به رحمة الغفور التواب، والنجاة يوم الحساب، إنه مجيب الدعاء .

- **موضوع الدراسة:**

تعيش الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر جملة من الأزمات التربوية ، والتي أثّرت على حياة شبابها ؛ الذين يعتبرون دعامة هذه الأمة ، ومن أبرز تلك الأزمات :- غياب القدوة ، والتي استغلها الأعداء في هدم الأمة الإسلامية وبالأخص الأسرة الإسلامية فهم يحاولون بكل الوسائل تقويض أسسها وأهدافها وتشتيت شملها وبث الشقاق بين أفرادها وزعزعة أركانها ، لتفقد قدرتها على الإنتاج والعطاء .

وقد نجح أعداء الإسلام في تحقيق ذلك ببث سمومه إلى تلك الأسر عبر وسائل الإعلام من مجلات وتلفاز وإذاعة و لم ينجو من تلك السموم إلا من رحم ربي .

من تلك الآثار التي خلفتها تلك السموم البعد عن الله ، وفعل المعاصي ، ومن أبرزها :

- ترك الصلاة أو تأخيرها عن وقتها، أو أداؤها على غير وجهها الصحيح .
- الخروج إلى الأسواق من غير ضرورة .
- تربية الأطفال تربية غربية ، أو ترك تربيتهم للخادمات والمربيات الكافرات .
- إهمال الزوج ، والتبرج والسفور .....الخ .

وبالمقابل فإن هناك جملة من الحلول لعلاج هذه الأزمات ، من أبرزها: دراسة سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، وسيرة السلف الصالح ، ومن أبرز تلك السير سيرة أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ .

ودراسة حياتها ـ رضي الله عنها ـ مرتبط بتاريخ حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين ؛ لما قدمت من جهد ، ووفرت من مال ؛ لخدمة الإسلام والمسلمين من ناحية ، ووضع مكة الديني والاقتصادي من ناحية أخرى ، فقد مثّلت أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ دوراً مهماً في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وظهور الإسلام، وتثبيت النبوة في قلب محمد -صلى الله عليه وسلم- ، حيث إن خديجة ـ رضي الله عنها ـ قدمت ما تملك من مال ونفس وجاه لزوجها في بداية الدعوة ؛ ليتقوَّى بها على مجابهة الحاجة المادية، وتثبيت حالته النفسية ، كما لعبت دور الرفيقة ودور الأم، ووجد الرسول -صلى الله عليه وسلم- جواً مملوءا بالحنان والمحبة ساعده على التفكر والتأمل ، "وكانت الملاذ بالنسبة إلى سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- منذ أن ظهرت بوادر البعث ـ جبرائيل

مبعوث الله ـــ...في أول لقاء معه حتى ظن أنه الموت،وهي تدثّره إذ استصرخها أن دثّريني يا خديجة" [٩].

لقد كان لشخصية أم المؤمنين السيدة خديجة ـــ رضي الله عنها ـــ أثر كبير في حياة الرسول –صلى الله عليه وسلم– وفي دعوته ، حيث قامت بأدوار متعددة أثّـــرت في ســـير الدعوة ، منها : دور الزوجة الصالحة ، ودور الأم ، ودور المستشار ، ودور الممول المـــالي للدعوة ، ودور القدوة ، ودور المربي ، وغيرها من الأدوار التي ستظهر من خلال البحث إن شاء الله.

ومن منطلق الأصالة الإسلامية ينطلق هذا البحث ، الـــذي يتحـــدد موضـــوعه في استنباط بعض المضامين التربوية من سيرة أم المؤمنين خديجة ـــ رضي الله عنها ـــ .

- **أسئلة الدراسة :–**

تدور أسئلة الدراسة حول سؤال رئيسي وهو:

* ما هي المضامين التربوية المتضمنة في سيرة أم المؤمنين خديجة ـــ رضي الله عنها ـــ ؟

ويتفرع منه الأسئلة التالية:

١– ما ملامح عصر السيدة خديجة ـــ رضي الله عنها ـــ ؟ .

٢– ما السيرة (الترجمة) الذاتية للسيدة خديجة ـــ رضي الله عنها ـــ ؟ .

٣– ما المضامين التربوية المستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة ـــ رضي الله عنها ـــ ؟ .

٤ — ما دور الأسرة والمدرسة في تطبيق هذه المضامين المستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة؟

٥– ما الأساليب المستخدمة في تطبيق تلك المضامين في الأسرة والمدرسة ؟

- **أهداف الدراسة:–**

إن العمل العلمي مثله مثل أي جهد إنساني ، لا يسير بصورة عشوائية ، وإنما يسعى إلى تحقيق مجموعة من المقاصد والأهداف ، بل إن العمل العلمي يزيد عن غيره مـــن صـــور ومجالات النشاط الإنساني، حيث يعتمد في سعيه لتحقيق مراده على : النـــهج العلمـــي ، والتفكير المنطقي ، والتخطيط السليم ؛ لذا فإن هذه الدراسة تهدف إلى الآتي :

---

[٩] صالح، سلوى، السيدة خديجة بنت خويلد ، ط١،أطوار للدراسات والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص٥.

١-الاستنارة بما في سيرة خديجة ـ رضي الله عنها ـ من مواقف وسلوكيات يجب أن نقتدي بها.

٢-إبراز مضامين تربوية مستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ .

٣-بيان دور الأسرة والمدرسة في تطبيق هذه المضامين المستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة.

- **أهمية الدراسة:-**

تتضح أهمية الدراسة من خلال ما يلي:

١-إن دراسة شخصية السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ لا تعني دراسة مميزات هذه الشخصية فقط ، بمعزل عن المجتمع الذي عاشت فيه ، بل إن دراسة تلك الشخصية ؛ لكونها جزء من المجتمع الذي عاشت فيه وهو المجتمع المكي ، الذي احتضن الرسالة المحمدية ، فقد كانت ـ رضي الله عنها ـ في مواقفها تلك أنفذ في نشر دين الله من ألف سيف .

٢-تمثل هذه الدراسة محاولة تأصيلية لبعض مفاهيم التربية ، حيث تبين أصالة التربية الإسلامية.

٣- يفتح المجال أمام الباحثين في ميدان التربية ؛ لدراسة سيرة أمهات المؤمنين الأُخريات .

٤- من المتوقع أن تفيد المربين الذين يشتغلون في ميدان التربية .

- **منهج الدراسة :-**

اعتمدت الباحثة في تناولها للدراسة على :

١- المنهج الاستنباطي:

ويعرف بأنه : " الطريقة التي يقوم الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص ، بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة"[١٠].

وقد استخدمت الباحثة هذا المنهج – بعد الرجوع إلى مصادر سيرة خديجة ـ رضي الله عنها ـ باستنباط بعض المضامين التربوية من الأحاديث ، والروايات التاريخية الخاصة بسيرة خديجة ـ رضي الله عنها ـ والمتعلقة بالأسرة والمدرسة.

٢-المنهج الوصفي:

---

[١٠] فودة ، حلمي محمد ، وعبد الله صالح ، المرشد في كتابة الأبحاث، ط٧ ، جدة ،دار الشروق ،١٤١١هـ، ص٣٢ .

والذي يعرف بأنه : " وصف ما هو كائن ، ثم تفسيره ، وتحليله للخـــروج بنتـــائج ذات دلالات بالنسبة لموضوع البحث"[١١] ، وقد قامت الباحثة بتحليل بعـــض الروايـــات التاريخية وترجيحها ؛ لترصد من خلالها واقع تطبيق هذه المضـــامين التربويـــة في الوقـــت الحاضر.

- **مصطلحات الدراسة :**

المضامين : قال ابن منظور" المضامين جمع مضمون والمضمون اسم مفعول للفعل ضـــمن ، وضمن بمعنى الضمين والكفيل ، وضمن الشيء يعني تضمنه ومنه قولهم مضمون الكتب كذا وكذا . وفي الحديث : الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن ، أراد بالضمان ههنا الحفظ والرعايـــة ، لاضمان الغرامة لأنه يحفظ على القوم صلاتهم . والمضامين ما في بطون الحوامل مـــن كـــل شيء تضمنه "[١٢] وقال الجوهري " والمضمن من الشعر : ماضمنته بيتا والمضمن من البيت : مالا يتم معناه الا بالذي يليه ، وفهمت ماتضمنه كتابك، أي ماشتمل عليه وكان في ضمنه ، وانفذته ضمن كتابي ، أي في طيه " وذكر الرازي : أن ضمن الشئ – بالكسر- ضـــمانا وتضمينا متضمنة ، كل شئ جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه وفهمت ماتضمنه كتابك : أي ما اشتمل عليه وكان في ضمنه والضامنه من النخيل ماتكون في العرية وهو في حديث حادثة والمضامين ما في أصلاب الفحول " [١٣]

يتضح مما سبق أن المضمون كلمة واسعة شاملة لمفاهيم متعددة منها أن المضمون ماتضمنه النص من مميزات وخصائص واحتواه ، أونتج أو استنبط من هذا القول أو النص .

تربوية : مصدر (رب) ،{ وأَرَبَّتِ النَّاقَةُ : لَزِمَتِ الفَحْلَ وأَحَبَّتْهُ .وأَرَبَّتِ النَّاقَةُ بِوَلَدِهَا : لَزِمَتْه . (و) رَبَّ (الأَمْرَ) يَرُبُّهُ رَبًّا ورِبَابَةً (: أَصْلَحَهُ) ومَتَّنَهُ ،(و) رَبَّ وَلَدَهُ و (الصَّبِيَّ) يَرُبُّهُ رَبًّا (: رَبَّاهُ) أَي أَحْسَنَ القِيام عليه وَوَلِيَهُ (: حَتَّى أَدْرَك) أَي فارَقَ الطُّفُولِيَّةَ

---

[١١] جابر،عبد الحميد و أحمد كاظم: مرجع سابق ، ص ١٣٦ .

[١٢] ابن منظور، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت،دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٣هـــ.٣/٢٥٧-٢٥٨.

[١٣]الجوهري، إسماعيل بن حماد : الصحاح ، دارا لعلم للملايين ، بيروت ، ١٤٠٤هـــ ، ٦/٢١٥

، كانَ ابنَه أَو لَمْ يَكُنْ (كرَبَّبَه تَرْبِيباً ، وتَرِبَّةً ، كتَحِلّةٍ) عن اللحْيَانيّ (وارْتَبَّه ، وتَرَبَّبَهُ) ورَبَّاهُ تَرْبِيَةً على تَحْوِيلِ التَّضْعِيفِ أَيضاً)}[١٤]

التعريف الإجرائي: هي مجموعة الشمائل التربوية المستنتجة من سيرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها .

- **حدود الدراسة:-**

تقتصر الدراسة في بعدها الموضوعي على دراسة سيرة السيدة خديجة ــ رضي الله عنهاــ والحصول على الأحاديث والروايات من مصادرها الأصلية ، بغية استنباط بعض المضامين التربوية ثم تفعيل هذه المضامين التربوية ، وتطبيقها على المتعلمين في الأسرة والمدرسة .

الدراسات السابقة:

بعد البحث في كل من دليلي مركز الملك فيصل للبحوث ، والدراسات الإسلامية ، ومكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض ، ومعهد البحوث التابع لجامعة أم القرى ؛ لم تحصل الباحثة على دراسة محكمة تتناول موضوع البحث في : المضامين التربوية المستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة ــ رضي الله عنها ــ .

---

[١٤] الزبيدي ، محمد بن عبدالرزاق الحسيني : تاج العروس من جواهرالقاموس ، دار الهداية ، تحقيق مجموعة من العلماء. ، ١٣٩٩هـ ، ٤٦٤/٢

الفصل الثاني

سيرة أم المؤمنين خديجة _ رضي الله عنها _ :

ويشتمل على مقدمة و ثلاثة مباحث ، وهي على النحو التالي :

مقدمة: ملامح العصر التي عاشت فيه .

ا لمبحث الأول: نشأتها وحياتها .

ويشتمل على :

نسبها: والدها، والدتها ، وإخوانها.

صفاتها.

زواجها.

إسلامها.

وفاتها .

المبحث الثاني: أبناءها _ رضي الله عنها _ من الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ .

المبحث الثالث : مكانة أم المؤمنين خديجة _ رضي الله عنها _ .

ويحتوي على:

مكانتها عند الرسول_ صلى الله عليه وسلم _ .

مكانتها في قومها

موقف عائشة – رضي الله عنها– منها .

مقدمة :

ملامح العصر الجاهلي التي عاشت فيه :

إنه من الأهمية بمكان أن تتحدث الباحثة بقليل من التفصيل عن أحوال الجزيرة العربية من جوانبها المختلفة : الدينية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية قبل البعثة ؛ والتي من خلالها يمكننا التوصل إلى مدى تأثر السيد ة خديجة ــ رضي الله عنها ــ ببيئتها ، وصقل ذلك في شخصيتها .

الجانب الديني:

لقد ابتليت الأمة العربية بتخلف ديني شديد ووثنية لا مثيل لها ، حيث " كانت كثرة العرب في الجاهلية وثنية ، تؤمن بقوى إلهية كثيرة تنبث في الكواكب ومظاهر الطبيعة ، وفي أسماء قبائلهم ما يدل على أنهم كانوا قريبي عهد بالطوطمية ؛ إذ تلتف جماعة حول الطوطم تتخذه حاميها والمدافع عنها ، من مثل : كلب وثور وثعلبة ، وقد آمنوا بقوى خفية كثيرة في بعض النباتات والجمادات والطير والحيوان"[١٥]، وكل ذلك يدل على سخف العقل ، وانحراف التفكير ، (وما كان هذا إلا لغياب العلم، وتوقف الرسل والأنبياء لفترات زمنية طويلة ، أودت بالأمة العربية لهذا الضلال والانحطاط)[١٦].

وترى الباحثة بعد توجيه النظر لحياة العرب قبل الإسلام ، نجد أنهم كانوا يتخبطون في غيابات الجهل الفكري ، والديني ، والسلوكي ، وكان الدافع وراء ذلك هو حياة البداوة التي كانوا يتحركون خلالها ، فلم يكونوا أصحاب علم ولا نظر عقلي مؤسس على أساس علمي ثابت ، ومع ذلك امتازوا ببعض المعارف التي فرضتها عليهم طبيعة البداوة ، من معرفة النجوم ، والفراسة ، والقيافة (تتبع الأثر)، والعِيافة (التنبؤ بملاحظة حركات الطيور) ، وغير ذلك من المعارف التي فرضتها البيئة والحاجة .

وفي المقابل لهم بعض العادات السيئة من شرب الخمر ، ووأد البنات ، والزنا وغير ذلك ، مما أثبت عدم تعلقهم بضابط يحكمهم ويمنعهم من هذه المخالفات الفكرية والسلوكية ؛ فاتجهت أفكارهم لتقديس آلهة يميلون إليها ــ مع علمهم بأنها لا تجيب ولا

---

[١٥] شوقي ، ضيف : تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، ط٨ ، دار المعارف ، ص٨٩ .

[١٦] الصلابي ، علي محمد، السيرة النبوية ، ط٢ ، بيروت ، دار المعرفة ،١٣٢٦هـ ، ص ٢٢ .

تتحرك ، ولكن رجوعهم إليها كمرجع نفسي فقط ، حيث يعبدون آلهة على أهـــوائهم ــ (فقد كانوا يعبدون الأصنام والأوثان المصنوعة بأيديهم ، ويتبركون ويتمسحون بها اعتقـــاداً بضررها ونفعها، فقربوا لها القرابين، واستشاروها في كل أمر من الأمور، وبالطبع كان هناك عقول تنكر هذه الأفعال والأقوال ، ولا تجاري مجتمعها في ذلك ، وهناك ديانتان أخريـــان تدين بها طائفة قليلة من سكان شبه الجزيرة ، وهي النصرانية في الجنوب تمثـــل في ســـكان نجران ، واليهودية في الشمال وتمثل في سكان يثرب ، وكلتا الديانتين دخلـــهما التحريـــف والتبديل[١٧]).

وأي عقل سليم لا يقبل بهاتين الديانتين ، وكانت السيدة خديجة من ذوات الطبـــاع السليمة والأنفس النقية ، التي لا تقبل بهذه الديانات الخرفة ، وكان عندها استعداد فطـــري لقبول أي دين جديد يدعو لنبذ الأوثان ، وعبادة إله واحد ليس من صنع البشر ؛ فأخـــذت تتطلع وتترقب ظهور شمس الحقيقة إلى أن بدت ، فكانت أول الناس إيماناً وانجذاباً لها.

الجانب الاقتصادي:

(إن بلاد العرب بمساحتها الشاسعة لم يكن بها اقتصاد ذو قيمة تذكر، فهي منطقـــة صحراوية واسعة عدا أطرافها في اليمن والشام ، فقد كانت فيها الزراعة والفلاحة وقليل من الصناعات اليدوية ، كصناعة السيوف ، والدروع ، والكتان، أما التجارة : فكانت تزاولها بعض القبائل القرشية ، التي تقيم في الحرم ، وكان خروجهم في أوقات معلومة من السنة في قوافل حتى يكونوا في منعة وقوة ممن يحاول الاعتداء عليهم ، أما الغالبية العظمـــى : فكـــان يغلب عليهم حياة البادية من رعي غنم وإبل وهم الطبقة الفقيرة.

ولقد بلغ سوء الوضع الاقتصادي في جزيرة العرب حداً رهيباً ، اضطرهم في كـــثير من الأحيان إلى الغارة وشن الحروب لعلهم من خلالها يجدون ما يقتاتون به ، وأحياناً كانوا يغيرون على الحدود فترسل لهم الدولة التي يغيرون عليها شيئاً من الشعير فيرضون به ، وتهدأ ثائرتهم ويعودون إلى بلادهم)[١٨].

---

[١٧] الوكيل ، محمد السيد ، تأملات في سيرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ط٣ ، جدة ، دار المجتمع ، ١٤١٦هـــ ، ص ٨ .

[١٨] الصلابي، السيرة النبوية، مرجع سابق ، ص٢٥- ٢٧ .

الوضع الاجتماعي:

(كم كان للعرب من سكان شبه الجزيرة من عادات سيئة للغاية ، وعلى الرغم من ذلك لم يكن هناك مانع من وجود بعض العادات الحسنة للغاية ، ولكن العادات السيئة كانت هي السائدة ؛ فقد فشت وانتشرت واشتهر بها الجاهليون العرب ، ومن جملة هذه العادات التي هبطت بالمجتمع القمار ، وشرب الخمر والاجتماع عليها ، وظهور الفواحش ، كالزنا ، ومخادنة الصديقات ، وتبرج النساء وخروجهن كاشفات سافرات أمام أنظار الرجال ، كما لم يكن للمرأة نصيب يناسب مركزها ومهمتها، فقد كانوا يئدونها وهي طفلة صغيرة ، ولكن هذا لم يكن شائعاً عند أكثر القبائل ؛ فقد كان عند البعض دون الآخر ، وكذلك من عاداتهم السيئة : العصبية القبلية وشن الحروب والغارات فيما بينهم للسلب والنهب والسلطة.

ومن العدل ذكر بعضاً من شيمهم الحسنة ،كالصدق ، وإكرام الضيف ، والوفاء بالعهد ، والصبر والتحمل ، واحترام الجار ، ومنه : غض البصر والتعفف عن نساء الجيران)[١٩].

الوضع السياسي:

(انقسم سكان الجزيرة العربية إلى بدو وحضر، وكان النظام السائد هو : النظام القبلي سواء كان في الصحراء أم في المدن ، فلم يكن هناك حكومة منظمة تضمن سلامة السكان ، وتحميهم من الاعتداء عليهم وعلى ممتلكاتهم وتعاقب المجرمين بما يوقفهم عند حدهم.

كما أنه لم يكن في البلاد نظام قضائي يقضي بينهم في مشكلاتهم ، وإنما كانت كل قبيلة دولة مستقلة تصرف أمورها مع جيرانها بما يوافق مصلحتها.

وكثيراً ما كانت القبائل تغير على بعضها ؛ لغرض السيطرة ، أو لتحقيق مكاسب، أو للسلب والنهب ، وكانت الحروب الطاحنة تدوم بينهم سنين لأسباب واهية ، ولكنها

---

[١٩] الصلابي، السيرة النبوية ، مرجع سابق ، ص٢٧ .

النصرة الجاهلية تركب رءوسهم ، وتستولي على عقولهم ، فيطيش تفكيرهم ، وتخف أحلامهم ، ويتنادون بالويل والثبور)[٢٠].

وكانت لهم أيام مشهورة عرفت بأيام العرب ؛ لما وقع فيها من الهول ، ولطول ما دامت فيها الحروب ، وذهبت فيها النفوس ، ومن أشهرها : (حرب داحس ، والغبراء ، وحرب البسوس ، وحرب الفجار :

١-حرب داحس والغبراء : داحس والغبراء فرسان ، تراهن صاحباهما ، فسبقت الغبراء بمكيدة أغضبت صاحب داحس ؛ فنشبت الحرب بين قبيلتيهما – عبس وذبيان بني بغيض بن غطفان – ودامت هذه الحرب أربعين عاماً.

٢- حرب البسوس : البسوس امرأة عجوز من بني تميم- وهي خالة جساس بن مرة- نزل عليها ضيف جرمي فروعت ناقته مع إبل البسوس في حمى وائل بن ربيعة المشهور بكليب بغير إذنه، فغضب كليب وقتل الناقة بسهم في ضرعها، فاعتبر جساس هذا العمل من كليب إهانة له ولخالته البسوس، وتربص بكليب زوج أخته ، وقتله بالناقة فنشبت الحرب بين (تغلب) قبيلة كليب ، وبين (بكر) قبيلة جساس ، ودامت أربعين سنة أيضاً.

٣- حرب الفجار: كانت تلك الحرب بين قريش وكنانة من جهة ، وهوازن من جهة أخرى ؛ والسبب أن رجلاً من كنانة من أتباع قريش قتل رجلاً من هوازن ، فنشبت الحرب بين الفريقين ، وهي التي حضرها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع أعمامه، ودامت أربع سنوات انتهت بالصلح[٢١]).

وعودة إلى سيرة أم المؤمنين ــ رضي الله عنها – بعد تناول مختصر لأحوال شبه الجزيرة العربية اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً- ويشتمل هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول :نشأتها وحياتها .

المبحث الثاني : أبناءها ــ رضي الله عنها ــ من الرسول ــ صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث : مكانتها – رضي الله عنها -.

---

[٢٠] الصلابي، السيرة النبوية، مرجع سابق، ص٢٥ .

[٢١] الوكيل ، تأملات في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) مرجع سابق ، ص١١

المبحث الأول: نشأتها وحياتها _ رضي الله عنها _ :

- **نسبها :**

ولدت السيدة خديجة أم المؤمنين _ رضي الله عنها _ لأبويين قرشيين ، فأبوها : خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ، **وأمها** : فاطمة بنت زائدة من الأصم ابن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر ، وأم فاطمة : هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عمر بن لؤي بن غالب بن فهر ،وأم هالة : قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر.

وبذلك فهي تلتقي بالرسول _ صلى الله عليه وسلم _ بالجد الرابع[٢٢] وهو قصي، وتلتقي به _صلى الله عليه وسلم _ في الجد الثامن لها من ناحية أمها لؤي بن غالب[٢٣].

وقد كان خويلد بن أسد زعيم قومه ، وقد تزوج عدة نساء ، ومنهن : فاطمة بنت زائدة العامرية القرشية فولدت له خديجة وهالة[٢٤]، وكانتا آخر أبناء خويلد بن أسد ؛ لأن أمهما كانت آخر أزواجه[٢٥].

وقد تزوجت هالة من الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، ثم أخوه ربيعة ، ثم تزوجها أحد بني ثقيف ، ثم تزوجت من بني خزاعة .

أما أخوانها :

---

[٢٢] هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن عدنان. (ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب ، السيرة النبوية ، بيروت ، دار الأرقم ، ص ٧) .

[٢٣] ابن إسحاق ، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، السير والمغازي ، تحقيق سهيل زكار ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٨م ، ص ٨٢.

[٢٤] الزبيري ، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله ، نسب قريش ، مصر ، دار المعارف ،١٣٥٣م ، ص ٢٠٣.

[٢٥] المصدر السابق ، ص٢٣١.

١- فأكبرهم عدي لم نحصل على أية رواية عنه سوى أنه: " انقرض عقبه"[٢٦].

٢-العوام بن خويلد : تزوج صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فولدت له الزبير ، والسائب ، وأم حبيب ، وعبد الكعبة ، الذي سماه الرسول (صلى الله عليه وسلم) عبد الرحمن[٢٧].

٣-وحزام بن خويلد : تزوج فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد ؛ فأنجبت له حكيماً ، وخالداً ، وهشاماً[٢٨].

٤- نوفل بن خويلد :(تزوج الفريعة بنت نوفل بن عبد مناف ؛ فأنجبت له الأسود بن نوفل ، الذي أسلم وهاجر إلى الحبشة ، وقد بقي نوفل على شركه وكان شديداً على المسلمين ، فعندما أسلم طلحة ابن عبد الله التميمي قام نوفل بربطه هو وأبو بكر بحبل لذلك سموا القرنين[٢٩]، ومن شدته على المسلمين قال فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اللهم اكفني نوفل بن خويلد "، فقتله الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ وهو على الشرك[٣٠] .

وترى الباحثة : أن نوفل بن خويلد لم يهتم بوجود أخته تحت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ، واستمر على كفره وعناده ، بل وقف في وجه الدعوة ، وسدد ضرباته القاصمة لكبار الصحابة ، ولم يستطع أحد من المسلمين دفع أذاه ، إلا بعد دعاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فتمكن منه علي ابن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ . **أما مكان ولادتها** - رضي الله عنها - فقد ولدت بمكة المكرمة ، وحددت بعض الروايات أنها ولدت قبل عام الفيل بخمس عشر سنة ، فعن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة أحد موالي الزبير أنه سمع حكيم بن حزام يقول: "تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وهي ابنة الأربعين سنة ورسول الله ابن خمس وعشرين سنة وكانت أسن مني بسنتين ، وولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة ، وولدت أنا قبل الفيل بثلاث عشرة سنة[٣١].

---

[٢٦] الزبيري ، نسب قريش ،مصدر سابق ص٢٣١ .

[٢٧] الزبيري ، نسب قريش ، مصدر سابق ، ص٢٠٣ .

[٢٨] المصدر السابق ، ص ٢٣١.

[٢٩] المصدر السابق ،ص٢٣٠

[٣٠] الواقدي،محمد بن عمر بن واقد ، مغازي الواقدي، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤م ، ١٤٩/١

[٣١] ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ،الطبقات الكبرى ، بيروت، دار صادر ، د.ت، ١٠ /١٨

وسنفصل القول عند مبحث زواجها من الرسول- صلى الله عليه وسلم - و الراجح أن عمر خديجة ـــ رضي الله عنها ـــ كان أقل من أربعين سنة عندما تزوجها الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ .

- **صفاتها :**

هناك حقيقة إيمانية لا بد أن يدركها كل مسلم ، وهي أن من يعيش في بيت النبوة فإنه سوف يحمل آداباً وأخلاقاً وصفاتٍ تميزه عن غيره ، وهذا ما امتازت به السيدة خديجة ـــ رضي الله عنها ـــ مع ما امتازت به من أخلاق وصفات قبل زواجها من الرسول- صلى الله عليه وسلم- حيث تذكر الروايات أنها كانت امرأة (حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ وسط قريش نسبا وأعظمهم مالاً ، وكل قومها حريص على نكاحها لو قدر على ذلك ، وقد طلبوها وبذلوا لها الأموال[٣٢]) ـــ وترى الباحثة أن امرأة امتازت بكل هذه الصفات الطيبة والخلال الحسنة ، لابد وأن تختار رجلا يفوقها في المميزات، لا أن تتزوج من رجل له صفات تشبه صفاتها ، فكل إنسان يفتش عن نبل الأخلاق وجمال الصفات ؛ فهي أولى بالتنقيب من الصفات الزائلة الأثر ـــ لكنها دفعت كل هؤلاء وأخذت تبحث عن شخص بمواصفات خاصة ،(فكل امرأة تبحث عن أشياء ترغب أن تجدها في الرجل الذي تريد أن تربط حياتها بحياته ، ولا شك أن هذه الصفات هي شرف النسب وكمال الأخلاق وجمال الطلعة واكتمال الشباب وكثرة المال .

وقد يختلف الأمر من امرأة إلى أخرى في ترتيب هذه العناصر، أو في تواجد بعضها دون البعض الآخر ، "ولكن سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم -كان يجمع بين هذه العناصر على مستوى الكمال عدا كثرة المال)[٣٣]

وللسيدة خديجة ـــ رضي الله عنها ـــ مكانة عظيمة عند رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ؛ لما لمسه فيها من حسن أخلاق ، وسلامة سجية ، ونقاء نفس ، وطهارة قلب ، تتجلى في مواقف كثيرة أهمها وأكثرها أهمية وأولها : موقفها الصامد ـــ رضي الله عنها ـــ عند نزول الوحي ، ويتجلى ذلك في عباراتها وتثبيتها للنبي الكريم (صلى الله عليه وسلم)

---

[٣٢] ابن سعد ، الطبقات الكبرى، مصدر سابق،١٠٩/١.

[٣٣] عاشور ، سعيد هارون ،نساء النبي صلى الله عليه وسلم سير وقضاياه ، مصر ، مكتبة الآداب ،١٩٩٦م ، ص ٢٣ .

بقولها: " أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ " [٣٤].

يا لها من كلمات عميقة المعنى، صادقة المغزى ، شديدة التأثير، تدل على حكمة قائلتها ، ورجاحة عقلها ، وإيمان قلبها، تدخل على قلب سامعها الطمأنينة والصمود والثبات ، وتبعث في نفسه السكون والراحة.

كانت – رضي الله عنها – تتحلى بالصبر ، ويظهر ذلك عند وفاة ابنيها القاسم وعبد الله ، فقد روى عن الحسين بن علي ــ رضي الله عنه ــ أنه قال: " لَمَّا تُوُفِّيَ الْقَاسِمُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَتْ خَدِيجَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَرَّتْ لُبَيْنَةُ الْقَاسِمِ فَلَوْ كَانَ اللَّهُ أَبْقَاهُ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِضَاعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : إِنَّ إِتْمَامَ رَضَاعِهِ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَتْ : لَوْ أَعْلَمُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهَوَّنَ عَلَيَّ أَمْرَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : إِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ تَعَالَى فَأَسْمَعَكِ صَوْتَهُ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أُصَدِّقُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ "[٣٥]، فهذا إن دل على شيء فهو يدل على عظيم إيمانها وصبرها ــ رضي الله عنها ــ .

وأيضاً من صفاتها العالية : حسن العبارة واللفظ ؛ ففي رواية أوردها ابن سعد عن عبد الله ابن عقيل قال: قال أبو طالب: يا ابن أخي قد بلغني أن خديجة استأجرت فلاناً ببكرين ولسنا نرى في ذلك بمثل ما أعطيت فهل لك أن تكلمها، قال: ما أحببت ، فخرج إليها فقال: هل لك أن تستأجري محمداً؟ فقد بلغنا أنك استأجرت فلاناً ببكرين ولسنا نرضى لمحمد دون أربع أبكار، قال: فقالت خديجة: لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا فكيف وقد سألت لحبيب قريب[٣٦] ، قريب : قريب النسب ، فهي تلتقي مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الجد الرابع قصي بن كلاب ، حبيب : حبيب عند قومه ؛ لكمال صفاته ، وحسن خلقه .

---

[٣٤] البخاري، صحيح البخاري ، مصدر سابق ،رقم الحديث في البخاري ٤٩٥٣ ،٥٠٧/١ ، النيسابوري ،صحيح مسلم رقم الحديث في مسلم ١٦٠، ٧٧٧/١ .

[٣٥] القزويني ، محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة (الكتب الستة) ، مكتبة الرشد ، الرياض ،١٤٢٦هـ ، رقم الحديث ١٢١٢ ، ٢٨٣٤/٢.

[٣٦] ابن سعد ، الطبقات الكبرى، مصدر سابق ، ١٠٨/١.

فبعد أن أسلم بيت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتتابع النـــاس في الـــدخول للإسلام ، وأسلم الرجال والنساء ، وقريش ترى ذلك دون أن تتعرض له ولأتباعه لمكانـــة عمه أبو طالب ، حتى جاء الإعلان الرسمي للدعوة ، حيث أُمر الرسول ـ صلى الله عليـــه وسلم ـ بدعوة الناس إلى الإسلام ، مبتدئاً بالأقربين له من عشيرته ، فقال تعالى :﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (سورة : الشعراء ، آية : ٢١٤) ، فكانت السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ خير معين لزوجها بجودها وكرمها ،" حيث كانت ترتب البيت لاستقبال الضيوف وتعد الطعام لهم" [٣٧] ، وترى الباحثة بعد كثرة اطلاع ، وطول بحث وتنقيب ، أن الســـيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ كانت تشد من أزر الرسول وتحثه على الاستمرار في الدعوة ، وأنه أهل لهذا الحمل، وأن هذه المسئولية التي اختاره الله من أجلها كرامة لا تنبغي إلا لفئـــة قليلة اختارها الله للدعوة في سبيله ، ثم وقفت إلى جواره تدفعه للأمام وتمده بذاتها ، وماها ، ومكانتها في قريش ، وصدت عنه الكثير والكثير من أذى قومه إلى أن وافتها المنية .

- **زواجها :**

أولاً: زواجها ـ رضي الله عنها ـ قبل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

تذكر أكثر الروايات أنها تزوجت برجلين قبل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أولهما فتى من بني مخزوم ذا شرف ومال في قومه ، وهو" عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وقد تزوجها وأنجبت له عبد الله وجارية"[٣٨]، وقد توفي عن السيدة خديجـــة ـ رضي الله عنها ـ[٣٩] .

وترى الباحثة : أنه من المعلوم أن المرأة إذا مات عنها زوجها وقد أنجبت منه أولادا ، يزهد فيها الرجال ، ويبتعد عنها الخلان ، ولكن السيدة خديجة كانت على النقيض من هذا المبدأ ، فقد تنافست قريش في التودد إليها ؛ لما لها من الصفات التي قلما توجـــد في امـــرأة واحدة فتسابق الخطباء في الذهاب إليها لنيل رضاها ، والفوز بقبولها ، حتى فاز بها وتزوجها

---

[٣٧] ابن سعد ، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ١٨٧/١.

[٣٨] ابن هشام ، السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ٤ / ٨٣٢ .

[٣٩] الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ، بيروت ، دار صادر،١٤٢٤هـــ، (٤٩٤/٢) .

رجل من بني تميم ، وهو أبو هالة بن مالك أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ، وولدت له هند بن أبي هالة ، وزينب بنت أبي هالة[٤٠].

ثانيا: زواجها من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأولادها منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

اختارت السيدة خديجة – رضي الله عنها – رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم للإشراف على قافلتها التجارية الذاهبة إلى الشام ؛ لما سمعته من جميل خلاله ، فلقد كانت ـ رضي الله عنها ـ امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم ، وكانت قريش قوما تجاراً فلما بلغها عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما بلغها من : صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها ، وخرج في مالها ذلك ، وسارت القافلة ومعها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ متجهة إلى الشمال ومع الركب غلامها ميسرة .

أخذ ميسرة يترقب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كل صغيرة وكبيرة ، فلقد رأى من أمره العجب، وفيه ما فوق المألوف من شؤون الناس ، وجد فيه من الإجلال والوقار والنور ما يكسو وجهه، وفيه من الرفق واللين بالإنسان والحيوان بل والجماد ، ووجد فيه من الأخلاق ما يعلو فوق الإنسانية .

وحينما همت القافلة للسير إلى الشام ، جعل عمومته يوصون به أهل العير ، حتى قدم الشام فنزلا في سوق بصرى في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب يقال له نسطورا ؛ فاطلع الراهب إلى ميسرة وكان يعرفه فقال : يا ميسرة من هذا الذي نزل تحت هذه الشجرة ، فقال ميسرة : رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي ، ثم قال له : في عينيه حمرة، قال ميسرة : نعم لا تفارقه ، قال الراهب : هو هو وهو آخر الأنبياء ، ويا ليت أني أدركه حين يؤمر بالخروج ، فوعى ذلك ميسرة ، ثم حضر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سوق بصرى ، فباع سلعته التي خرج بها

---

[٤٠] ابن هشام ، السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ٨٣٢/٤ .

واشترى ، فكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة ، فقال الرجل : احلف باللات والعزى ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ما حلفت بهما قط ، فقال الرجل : القول قولك ، ثم قال لميسرة وقد خلا به : يا ميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده ، وإنه لهو تجده أحبارنا منعوتا في كتبهم ، فوعى ذلك ميسرة ، ثم انصرف أهل العير جميعا ، وكان ميسرة يرى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعيره [٤١]، ثم يشرف ــ عليه الصلاة والسلام ــ على التجارة في براعة وحنكة ليس لها نظير.

(وفي رجوع القافلة إلى مكة وفي الطريق يتعثر بعيران من جِمال السيدة خديجة – رضي الله عنها– وعجزا عن السير نهائياً لمواصلة الرحلة ، فأسرع ميسرة إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؛ ليخبره ويستشيره في أمر البعيرين فمسح ــ صلى الله عليه وسلم ــ بيده الكريمة على خفافهما ، ثم أمسك بمقوديهما وقادهما ، فسارا خفاقاً نشاطاً ، كأن لم يكن أصابهما شيء[٤٢]).

كل هذا يحدث أمام ميسرة مما أدهشه وزاد من إعجابه بشخص النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وزاد من إجلاله وتوقيره للنبي ــ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ــ .

تعود القافلة وتقترب من البلد الحرام ويسرع ميسرة إلى مولاته خديجة ــ رضي الله عنها ــ فهو في شغف وشوق ؛ ليخبرها ما كان من شأن محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ طيلة الرحلة ، وليخبرها أيضاً بما أفاء الله عليها من ربح وفير أضعاف ما كانت تربح في المرات السابقة.

استمعت السيدة خديجة – رضي الله عنها – لميسرة وهي مسرورة بحديثه ، وقد نزل كلامه عن محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ مكانه في قلبها ووافق شيئا ما في نفسها كانت تخفيه و لم تظهره لأحد ، حتى سمعت كلام ميسرة الذي جاء بالكثير مما يثير الدهشة والعجب، فقد قص عليها كل ما كان من سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ من رفعة الأخلاق ، وصدق ، وأمانة ، وحرص على أموالها، وما كان من أحداث خارقة للطبيعة ؛

---

[٤١] ابن هشام ، السيرة النبوية، مصدر سابق ، ص ١٠٩ .

[٤٢] برانق، محمد أحمد، مجموعة أمهات المؤمنين (خديجة الطاهرة) ، ط٧ ، القاهرة ، دار المعارف ،١٩٩٠م ، ص٢٧.

فتأثرت بما قصه عليها غلامها تأثيراً بالغاً ، وازدادت إجلالاً له ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما جعلها تفكر مليّاً وجديّاً بكيفية الارتباط به ، بعد أن رفضت أشراف قريش وأعظمهم حسباً ونسباً ، فهي الآن تود أن تتزوج منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقد كانت – رضي الله عنها – حازمة لبيبة ، فعرضت نفسها عليه باختلاف الروايات ، فبعض الروايات ذكرت ذلك عن طريق أختها هالة ، وبعضها عن طريق صديقتها نفيسة بنت منية ، وأياً كان فقد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك العرض وعرضه على أعمامه فقبلوا ، وخرج معه عمه حمزة باختلاف الروايات فدخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه ، فتزوجها ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

وقد اختلفت الروايات في تحديد عمرها عند زواجها من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

١-معظم الروايات تحدد عمرها بأربعين سنة لرواية مغيرة بن عبد الرحمن الأسدي : " سئل حكيم بن حزام أيهما كان أسن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو خديجة ـ رضي الله عنها ـ فقال : كانت خديجة أسن منه بخمس عشرة سنة ، لقد حرمت على عمتي الصلاة قبل أن يولد رسول الله "[٤٣].

٢-ورواية عن حكيم بن حزام يقول : تزوج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- خديجة وهي ابنة أربعين سنة ورسول الله ابن خمس وعشرين سنة ، وكانت أسن مني بسنتين ، ولدتْ قبل الفيل بخمس عشرة سنة ، وولدت أنا قبل الفيل بثلاث عشر سنة "[٤٤].

٣-ذكرت بعض الروايات أن عمرها خمس وعشرون سنة عند زواجها من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ [٤٥].

٤- ذكرت رواية ابن عباس أن عمرها ثمانية وعشرون سنة عند زواجها من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ [٤٦].

---

[٤٣] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مصدر سابق ، ١٦/١٠ .

[٤٤] المصدر السابق، ١٨/١٠ .

[٤٥] ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق ، ١٩٤/٢ .

[٤٦] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مصدر سابق ، ١٨/١٠ .

٥- ذكرت بعض الروايات أن عمرها ثلاثون سنة عند زواجها من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم[٤٧] ـ.

٦- ذكرت بعض الروايات أن عمرها خمس وثلاثون سنة[٤٨].

وأنسب هذه الروايات الرواية التي تحدد عمر السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ عند زواجها من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بثمانية وعشرين سنة ؛ وذلك لأنها من رواية ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ؛ لأنها وردت من صحابي عاصر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكذلك لأنها ولدت سبعة من الأبناء للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومعلوم أن الإنجاب يتوقف عن المرأة في سن الخمسين من عمرها ، وقد ولدت بعض أولادها بعد السنة الخامسة من البعثة وهو لا يتلاءم مع سن الستين.

(وقد أصدقها ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشرين بكرة ، وكانت أول امرأة يتزوجها ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت ، وقد ولدت للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولاده كلهم - إلا إبراهيم – القاسم وكان يكنى به ، والطيب ، والطاهر ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة[٤٩]).

وقد درج المستشرقون كما هي عادتهم في الطعن في أصول الدين وفروعه ، والطعن في قدوات المسلمين عامة وفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزوجاته خاصة ، ومن ذلك بعض الروايات التاريخية التي دسها المستشرقون ، من ذلك الرواية التي تذكر أن خديجة ـ رضي الله عنها ـ سقت والدها خمراً لتنزع منه الموافقة على زواجها من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقد أورد ابن سعد رواية عن خالد بن خداش : " أن خديجة قالت لأختها : انطلقي إلى محمد فاذكريني له أو كما قالت ، وإن أختها جاءت فأجابت بما شاء الله ، وإنهم تواطئوا على أن يتزوجها رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ ، وإن أبا خديجة سقي من الخمر حتى أخذت فيه ، ثم دعا محمداً فزوجه ، وسقت على الشيخ خلة، فغضب

---

[٤٧] الحلبي ، علي بن برهان الدين ، إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية ، مصر ، المكتبة التجارية ، ١٩٦٢م ، ٣٩١/٣ ، ١٤٠/١ .

[٤٨] ابن كثير، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ١٩٥/٢ .

[٤٩] المصدر السابق، ١٩٥/٢ .

وأخذ السلاح وأخذ بنو هاشم السلاح ، وقالوا: ما كانت لنا فيكم رغبة ثم اصطلحوا بعد ذلك[٥٠].

وفي رواية عن الليث بن سعد قال " أرسلت خديجة الى عمها عمرو بن أسد فصنعت له طعاما وشرابا حتى إذا أخذ فيه الشراب أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقبل أنت ونفر من أهل بيتك فليخطبوا اليه فانه سيزوجك فأتوه فكلموه فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرت مكانها بحلة حبرة فألقيت عليه وببعير فنحر فأكل منه الناس وبطيب فطيب به فلما افاق من الخمر قال ما هذا العبير وما هذا الحبير وما هذا النحير قالوا زوجت محمد بن عبدالله خديجة بنت خويلد قال ما فعلت قالت خديجة لا تجمع علي أمرين أفتت علي بنفسي و لم تؤامرني ثم تسفه نفسك عند قريش وقد حضرك فلان وفلان فإن الرجل وإن يكن حدث السن قليل المال فإن له نسبا فاضلا في قومه فاسكت على ما صنعت فأنا كنت أحق بالغضب منك فقبل ذلك وسكت عنه وبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٥١] .

وهذه الروايات غير صحيحة لعدة أمور:

١- اضطرابها في تحديد من هو المزوج لخديجة ـ رضي الله عنها ـ .

قال ابن سعد في الطبقات : فهذا كله غلط ووهن ، والثبت عندنا المحفوظ عن أهل العلم : أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار ، وأن عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ [٥٢] ، حيث روى الطَّبَرِيّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، وَعَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ كُلّهِمْ - قَالَ : إنّ عمرو بن أسد هُوَ الّذِي أَنْكَحَ خَدِيجَةَ رَسُولَ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - وَأَنّ خُوَيْلِدًا كَانَ قَدْ هَلَكَ قَبْلَ الْفِجَارِ ، وَخُوَيْلِدُ بْنُ أَسَدٍ هُوَ الّذِي نَازَعَ تُبّعًا الْآخَرَ حِينَ حَجّ وَأَرَادَ أَنْ يَحْتَمِلَ الرّكْنَ الْأَسْوَدَ مَعَهُ إلَى الْيَمَنِ ، فَقَامَ فِي ذَلِكَ خُوَيْلِدٌ وَقَامَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ ثُمّ إنّ تُبّعًا رُوّعَ فِي مَنَامِهِ تَرْوِيعًا شَدِيدًا حَتّى تَرَكَ ذَلِكَ وَانْصَرَفَ عَنْهُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ .

---

[٥٠] ابن سعد ، الطبقات ، مصدر سابق ،١/ ١٣٢ .

[٥١] الزبيري، الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب، المنتخب من كتاب أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، السعودية ، مكة ، دار احياء التراث الاسلامي ، ١٩٨١م ، ص ٣٩.

[٥٢] نفسه ،١/ ١٣٣ .

٢- استحالة وقوع مثل هذه الواقعة لما عرف عن خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ من العقل، والرشد ، والرأي السديد ، والعفة ، والطهارة قبل الإسلام وبعده[٥٣] .

- **إسلامها :**

بعد نزول آيات المدثر ، ترك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فراشه وقام جاداً ببدء الدعوة ، وأسرعت السيدة – خديجة – رضي الله عنها- بكل ثقة وفخر تعلن إيمانها بزوجها ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ لتحظى بأفضلية السبق إلى الإسلام ، فكانت أول من آمن به وصدقت بما جاء من الله وآزرته على أمره ، فخفف الله بذلك عن نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ [٥٤].

ومنذ بداية الدعوة أعلنت إسلامها ، فقامت تصلي مع زوجها ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند الكعبة غير آبهة بما قد يحدث لها بعد أن خرجت عن معتقدات الشرك علياً.

ففي رواية ابن إسحاق: " إن الصلاة حين افترضت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، أتاه جبريل ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينظر إليه ؛ ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله كما رأى جبريل يتوضأ ، ثم قام جبريل فصلى به وصلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصلاته ، ثم انصرف جبريل ـ عليه السلام ـ ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ خديجة ، فتوضأ لها ليريها كيفية الطهور للصلاة كما أراه جبريل ، فتوضأ لها رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، ثم صلى بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما صلى به جبريل فصلت بصلاته" [٥٥].

- **وفاتها :**

بعدما انتهى الحصار ، وعاد الهاشميون إلى ديارهم التي خلت منهم طوال ثلاث سنين ، وخرج المؤمنون الصابرون من الامتحان الأكبر، وقد صهرت المحنة أجسادهم وأضعفت قواهم ، إلا قوة الإيمان التي أخذت تزداد وتتصاعد قوة صامدة لا ترهبها شيء ولا تخشى إلا فاطر السموات والأرضين، وحيث لم تمض فترة طويلة على انتهاء المقاطعة التي فرضها

---

[٥٣] العلمي ، خالد بن محمد: السيدة خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ، المدينة المنورة ، دار الزمان ، ١٤٢٤هـ ، ص١٧ .

[٥٤] السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق ، ص ١٣٩.

[٥٥] ابن هشام ، السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ص ١٤١.

المشركون على بني هاشم في الشعب ، حتى حل العام الذي يسمى بعام الحزن ، حيث توفي فيه شخصان لهما أكبر الأثر في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهما أبو طالب ، والسيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ .

(ولقد تتابعت بموتها على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المصائب ، فقد كانت وزير صدق على الإسلام يشكو إليها ، وبهلاك عمه أبي طالب نالت قريش من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب)[٥٦].

وقد أجمعت الروايات أن وفاتها كانت قبل الهجرة بثلاث سنوات ؛ فعن أبي حبيبة مولى الزبير قال:" سمعت حكيم بن حزام ، يقول: توفيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان سنة عشر من النبوة وهي يومئذ بنت خمس وستين سنة ، فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون ، ونزل رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ في حفرتها ، ولم يكن يومئذٍ سنة الجنازة الصلاة عليها ، قيل: ومتى ذلك يا أبا خالد ؟ قال: قبل الهجرة بسنوات ثلاث أو نحوها وبعد خروج بني هاشم من الشعب بيسير "[٥٧]، كما حزن الرسول الكريم على السيدة خديجة – رضي الله عنها – حزناً أقلق المسلمين ولقد وجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على السيدة خديجة ـ عليها السلام ـ حتى خشي عليه"[٥٨] .

لقد أصيب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالفاجعة تلو الأخرى ؛ فكانت الثانية أشد وأقسى من فاجعته بعمه ، فهي أشد مساساً بالقلب وأثراً في الروح ، ولقد أخذت سنوات الحصار تظهر آثارها القاسية شيئاً فشيء فقد هتكت جسد النبيلة الطاهرة الكريمة ، ويدرك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الموقف الصعب ، فتأخذه رقة شديدة ويعتصر قلبه الكبير الألم والحزن ، فقد آن الأوان لرحيل الحب والحنان ، والعطف ، والمودة الصادقة ، والعبرة الجميلة، والزوجة الوفية ، ولا يملك ما يقوله لها لمواساتها سوى عبارته الخالدة " بالكره منى ما أرى ولعل الله أن يجعل فى الكره خيراً ، إذا لقيت ضرائرك في الجنة يا خديجة فأقرئيهن السلام ، قالت: ومن هن يا رسول الله ؟ قال: إن الله زوجنيك في الجنة

---

[٥٦] السيرة النبوية لابن هشام ، مرجع سابق، ص ٢٤١.

[٥٧] ابن سعد الطبقات الكبرى ، مصدر سابق ،(١٩/١٠).

[٥٨] الذهبي،أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء ، لبنان ، بيت الأفكار الدولية ، ٢٠٠٤ م ، (١٦١٢/٢).

وزوجني مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم وكلثوم أخت موسى، فقالت بالرفاء والبنين "[٥٩].

وَفِي رواية أخرى ذَكَرَ تَتَابُعَ الْمَصَائِبِ عَلَى رَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - بِمَوْتِ خَدِيجَةَ ثُمّ بِمَوْتِ عَمّهِ ، وَذَكَرَ الزّبَيْرُ فِي حَدِيثٍ أَسْنَدَهُ أَنّ رَسُولَ اللّهِ ـ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ـ دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ وَهِيَ فِي الْمَوْتِ ، فَقَالَ : تَكْرَهِينَ مَا أَرَى مِنْك يَا خَدِيجَةُ ، وَقَدْ يَجْعَلُ اللّهُ فِي الْكُرْهِ خَيْرًا شَعَرْت أَنّ اللّهَ قَدْ أَعْلَمَنِي أَنّهُ سَيُزَوّجُنِي مَعَك فِي الْجَنّةِ مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ ، وَكُلْثُومَ أُخْتَ مُوسَى ، وَآسِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ، فَقَالَتْ : اللّهُ أَعْلَمَك بِهَذَا يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، فقالت بالرفاء والبنين ، وَذُكِرَ أَيْضًا فِي الْحَدِيثِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - أَطْعَمَ خَدِيجَةَ مِنْ عِنَبِ الْجَنّةِ .

إنها اللحظات الأخيرة التي تكلم فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع شريكة حياته وكفاحه ورفيقته المثالية ، التي وهبت له نفسها ومالها ، ومدت له بساط الآمال والأماني حين شجعته وواسته في ساعات العسرة – رضي الله عنها وأرضاها- وجزاها عن المسلمين خير الجزاء.

"وغسلتها أم أيمن وأم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب"[٦٠]، وأخرجت الجنازة إلى الحجون[٦١].

---

[٥٩] اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن جعفر ، تاريخ اليعقوبي،بيروت، دار صادر ،٢٨/٢ .

[٦٠] الزبيري ،أنساب الأشراف، مصدر سابق ، ٤٠٦/١.

[٦١] مكان بمكة .

المبحث الثاني : أبناءها ـ رضي الله عنها ـ من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

لقد كانت ثمرة هذا الزواج العظيم المبارك الذرية الطاهرة والأولاد البررة ، فكان من **البنين** اثنان هما : القاسم ، وعبد الله (الطاهر ، والطيب) ، ومن **الإناث** : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم، وفاطمة الزهراء – رضي الله عنهن ـ وجميعهن أدركن الإسلام ، وهاجرت إلى المدينة هجرة الإسلام ، كما أنهن قد توفين في حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ما عـــدا فاطمة الزهراء أصغرهن ماتت بعد أبيها ببضعة أشهر .

القاسم ابن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

اتفق العلماء أن القاسم قد ولد في مكة قبل البعثة النبوية ، و لم يذكروا تاريخ ميلاده ، واختلفوا في تاريخ وفاته.[٦٢]

وهناك رواية تذكر أنه عاش أياماً ، وقيل : عاش حتى مشى ، وقيل : عاش سنتين ، وقيل : عاش حتى أدرك البعثة ، وعاش بعدها سنتين [٦٣].

ومما يرجح وفاته بعد البعثة ، رواية علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : " لَمَّا تُـــوُفِّيَ الْقَاسِمُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، قَالَتْ خَدِيجَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَرَّتْ لُبَيْنَةُ الْقَاسِمِ فَلَوْ كَانَ اللَّهُ أَبْقَاهُ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِضَاعَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : إِنَّ إِتْمَامَ رَضَاعِهِ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَتْ : لَوْ أَعْلَمُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهَوَّنَ عَلَيَّ أَمْرَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : إِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ تَعَالَى فَأَسْمَعَكِ صَوْتَهُ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أُصَدِّقُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ " [٦٤].

وقد نهى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكنى الرجل بأبي القاسم ، حـــتى لا تختلط الكنى ويدعى بأبي القاسم ، فيظن الناس أن المقصود هو الرسول ـ صـــلى الله عليـــه وسلم ـ فيكون من الالتباس والتشويش ما الله به عليم ، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال نَادَى رَجُلٌ رَجُلًا بِالْبَقِيعِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُـــولَ اللَّـــهِ ـ

---

[٦٢] الجدع،أولاد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأحفاده وأر باؤه ، عمان الأردن ، دار الضياء ، ١٤٢٧هـ ، ص ١١.

[٦٣] الحلبي ،السيرة الحلبية، مصدر سابق ، ٣٩١/٣ .

[٦٤] ، القزويني ،سنن ابن ماجه ، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٢١٢ ، ٢٨٣٤/٢ .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِنِّي لَمْ أَعْنِكَ إِنَّمَا دَعَوْتُ فُلَانًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي "[٦٥] .

عبد الله ابن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

ولد عبد الله بعد القاسم ، ولقب بالطاهر والطيب ؛ لولادته في الإسلام ، وأجمع المؤرخون أنه: مات صغيراً في مكة ، ثم لم تحصل الباحثة على روايات أخرى [٦٦] .

بنات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

أولاً : زينب ـ رضي الله عنها ـ بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

هي أول بنات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولدت قبل البعثة بعشر سنوات[٦٧] ، فتقدمت خالتها هالة بنت خويلد لخطبتها لابنها أبي العاص بن الربيع ، وبادر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالموافقة ، وبارك هذا الزواج وكان زواجها قبل البعثة [٦٨].

(وزفت زينب لأبي العاص وتقدمت خديجة – رضي الله عنها – تطوق جيد ابنتها العروس بقلادة عزيزة على نفسها ، وكان لهذه القلادة شأن كبير فقد كانت بعد ردح من الزمان فداءً لأبي العاص يوم أخذ أسيراً للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد غزوة بدر.

وشأن زينب كشأن أي زوجة تحب أن تضع زوجها على طرق الخير لحبها وعطفها عليه، ولكنه لم يلتفت لدعوتها ؛" ولعل السبب خوفاً من أن يقال عنه : أنه ترك دين أبائه وقومه إرضاءً لامرأته " ، خصوصاً وأن كفار قريش دعوه لمفارقة صاحبته ، وتزويجه أي امرأة شاء من قريش ، لكنه فاجأهم قائلاً : " لا والله ، لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش " [٦٩].

---

[٦٥] البخاري ، صحيح البخاري ، مصدر سابق ، رقم الحديث في البخاري ٢١٢٠ ، ٢٠٨/١ ،النيسابوري ، صحيح مسلم رقم الحديث في مسلم ٢١٣١ ، ١/ ١١٨١ .

[٦٦] الجدع،أولاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، مرجع سابق ، ص١٥ .

[٦٧] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مصدر سابق ، ٣٠/٨ .

[٦٨] الطبري، تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ١/ ٣٧٩.

[٦٩] المصدر السابق ، ١/ ٣٧٩ .

وتمر الأيام الصعاب وزينب – رضي الله عنها – تتمنى وتحاول هداية زوجها ، ولكن دون جدوى ، ثم يأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالهجرة إلى المدينة وتهاجر أخواتها أيضاً ، وتبقى هي في مكة مع زوجها ، وكان ذلك ـ بلا شك ـ قاسياً أليما على قلبها.. ولكن الذي خفف من تلك القسوة ما كان من انتشار الدعوة وانتصارها في المدينة ، فقد لقي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من يقبل دعوته ويفرح بنصرته ، ثم يتصارع الحق مع الباطل في غزوة بدر وينضم زوجها أبو العاص مع جيش المشركين ويخرج مع الخارجين إلى بدر).

وتبقى زينب جاثمة مثقلة بالهم ، فأباها وزوجها في معركة واحدة كلاً ضد الآخر، وتنتهي المعركة بانتصار المسلمين ، وتفرح زينب لذلك فرحاً شديداً ، ثم ترجع فتحزن على زوجها حزنا شديداً ، فهي تبحث عنه و لم تجده مع المشركين القادمين من المعركة إلى مكة ، وتتفقد عنه الأخبار، فإذا هو يقع أسيراً في أيدي المسلمين و لم تتردد زينب – رضي الله عنها – لحظة ، وتبعث بالقلادة التي أهدتها إليها أمها – رضي الله عنها – ليلة زفافها فأعطتها لأخيه عمرو بن الربيع ليفتدي بها زوجها ، وما إن وصل عمرو بن الربيع إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماراً إليه يده بالقلادة حتى طافت على ذاكرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكريات خديجة – رضي الله عنها – وابنته ، فرق لها قلبه برقة شديدة ، كيف لا وهو صاحب القلب الكبير الرحيم الذي قال عنه تبارك وتعالى : " ...عزيزٌ عليهِ ما عنتمْ حريصٌ عليكمْ بالمؤمنينَ رءوفٌ رحيمٌ " (سورة : التوبة ، الآية : ١٢٨) .

ثم لم يلبث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن قال لأصحابه إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا ، قالوا: نعم يا رسول الله .

فانطلق أبو العاص عائداً إلى مكة بعد أن أخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ العهد عليه أن يخلي سبيل زينب ، ففعل ووفي بما وعد ، وسلم أبو العاص زوجته زينب لأخيه كنانة بن الربيع ؛ ليسلمها لأبيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المدينة ، فخرجت ـ رضي الله عنها ـ في هودجها نهاراً ، وفي الطريق علمت قريش بذلك ، فخرج فرسانها يطاردون الركب ، ولحقوا بها وكان أول من سبق إليها هو هبار بن الأسود، ونافع بن عمرو، فروَّعها هبار عندما نخس البعير برمحه ، ومرضت زينب ـرضي الله عنها ـ حيث أنها كانت في الشهر الرابع من حملها ، وأخذ كنانة وضع القتال ، إلا أن أبا سفيان نصحه بالرجوع ثم يسير بها ليلاً في تخفي حتى لا تتعرض ـ رضي الله عنها ـ للأذى ، وبعد

أيام يسيرة برأت ـ رضي الله عنها ـ من المرض ، وأكمل كنانة المسير ليلا حتى وصل إلى مكان اسمه يأجج ، وسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فرحت ـ رضي الله عنها ـ بوصولها إلى أبيها ، وفرح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بابنته فرحاً شديداً ، فالتأم شمل الأخوات حول أبيهن العظيم بعد أن كن متفرقات ، فقد سبقتها بالهجرة فاطمة وأم كلثوم ، ولحقتهما رقية ، ثم زينب ـ رضي الله عنهن جميعاً ـ .

وبذلك عادت إلى عرين الإسلام والإيمان في جوار أبيها ، وحينما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بما جرى لها غضب غضباً شديداً ، وأمر بعض من أصحابه أن ينطلقوا إلى مكة ويحرقوا الرجلين الذين قاما بهذا العمل الدنيء الجبان ، ثم في صباح اليوم التالي وبعد أن هدأت نفسه ، عاد ـصلى الله عليه وسلم ـ وطلب منهم أن يكتفوا بالقتل فقط ؛ لأنه لا ينبغي أن يُعذِب بالنار إلا الله تبارك وتعالى .

ثم يشاء الله أن يخرج أبا العاص في تجارة إلى الشام ، وفي رجوعه تعترضه سرية من سرايا المسلمين ويستولوا على كل ما فيها من أموال ، واستطاع هو أن يهرب بنفسه من القوم ولم يجد ملجأً سوى المدينة ، ولم يجد في المدينة سوى زوجته زينب ليستجير بها وترد إليه ماله ، فرحبت به وأجارته، وبعد أن خرج والدها ـ صلى الله عليه وسلم ـ لصلاة الفجر وكبر وكبر الناس معه ، فإذا بزينب – رضي الله عنها – تنادي من صفة النساء بأعلى صوتها : أيها الناس إني قد أجرت العاص بن الربيع .

وبعدما فرغ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من صلاته أقبل على الناس وقال : أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعتم ، ثم أضاف وقد أجرنا من أجارت ، ثم انصرف من المسجد ودخل على ابنته ، وطلب منها أن تحسن معاملته ولا يقربها لأنها لا تحل له .

وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى السرية التي أصابوا ماله وقال : " إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالاً ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له ، فإنا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحق به " ، قالوا: بل نرده ، فردوه كله ، ثم ذهب به إلى مكة ، وأدى إلى كل ذي مال ماله ، ثم قال : يا معشر قريش ،

هل بقي لأحد عندي منكم مالاً ؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفيا كريماً ، ثم نطق الشهادتين وانطلق قاصداً المدينة مهاجراً ، وقد امتلأت نفسه بالإيمان وحانت اللحظة المناسبة لإعلان إسلامه أمام رسول الله - صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه ، واستقبله المسلمون بالتهنئة والترحاب ، وسرت زينب – رضي الله عنها – سرورا عظيماً بما كان، ورد عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابنته زينب ـ رضي الله عنها ـ على النكاح الأول[٧٠].)

من ثم اجتمع شمل أبي العاص وزوجته وأبناءه عليٌّ وأُمامه ، ولكن هذه السعادة لم تدم طويلاً، فقد عاجلت المنيَّة الزوجة الحبيبة الوفية بعد عامٍ واحدٍ عانت فيه المرض والوهن وكان ذلك في العام الثامن من الهجرة النبوية ، " وغسلتها عطية الأنصارية وصلى عليها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مسجده ثم شيعها إلى مثواها الأخير في البقيع ونزل قبرها وهو محزون " [٧١].

توفيت ـ رضي الله عنها ـ تاركة للزوج عليَّاً وأمامه ، (أما علياً فقد توفي ، صبياً) [٧٢] ، وأما أمامه : فقد عاشت مع جدها ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبيها تؤنس وحشتهما وتفرح قلبيهما ، ثم أنها لما شبت تزوجها علياً بن أبي طالب بوصية من الزهراء – رضي الله عنها – و لم تنجب منه ذرية، وبعد وفاة عليٍّ تزوجت المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بوصية من علي بن أبي طالب ، و لم ترزق بذرية من المغيرة أيضاً)[٧٣].

ثانيا : رقية بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ولدت رقية ـ رضي الله عنها ـ قبل البعثة بعد أختها زينب سنة ثلاث وثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم[٧٤] ، وكانت لعتبة بن أبي لهب كما أن أختها أم كلثوم كانت لأخيه عتيبة ابن أبي لهب .

---

[٧٠] الطبري، تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ٣٨٠/١

[٧١] الذهبي : أعلام النبلاء ، مصدر سابق، ١٧٥٤/٢.

[٧٢] المصدر السابق ، ٢/ ١٧٥٤

[٧٣] القطب ، محمد علي (وآخرون) ، نساء حول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تراجم وقصص،بيروت ، المكتبة العصرية ،١٤٢٨هـ،ص ٤٤٣- ٤٥٢ .

[٧٤] النيسابوري ، المستدرك ، مصدر سابق ، ٣٨/٤ .

(فلما جهر ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدعوته وأظهرت بنات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إسلامهن ، وعادى أبو لهب ابن أخيه هو وامرأته (حمَّالة الحطب) ، وبعد نـزول سورة المسد أمر ولديه عتبة وعتيبة هو وزوجته العوراء أم جميل : أن يفارقا ابنتي محمد |ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقال لهما أبوهما أبو لهب : رأسي من رؤوسكما حرام إن لم تطلِّقا ابنتي محمد ، ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامة من الله تعالى لهما[٧٥]).

فما كاد ولدا أبي لهب يردان على محمد ابنتيه ، حتى تقدم عثمان ـ رضي الله عنه ـ لخطبة رقية ـ رضي الله عنها ـ ، وقبل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ طلبه ورفرفت السعادة على بيتهما ، (وبعد أن أعلن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجهر بالدعوة ، اشتد أذى قريش بالمسلمين ونالوا منهم نيلاً فاحشاً فأذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه ولإخوانه بالهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم حتى لا يفتتنوا ؛ لأن أرض الحبشة بها ملكاً لا يظلم عنده أحد)[٧٦].

و لم يلبث المسلمون أن خرجوا من مكة مهاجرين فراراً من وطأة التعذيب التي ازدادت بعد انتشار الدعوة ، من ثم " هاجر عثمان ورقية ـ رضي الله عنهما ـ مع المسلمين إلى الحبشة في هجرتهم الأولى ، وهناك ولدت لعثمان ولداً اسمه عبد الله ، بقي ست سنين[٧٧] أو أكثر ، فنقره ديك في عينه ، ثم مات وذلك في سنة أربع من الهجرة ، وهو ابن ست سنوات " [٧٨] ، فصبرا على فقد ابنيهما .

(وبعد فترة عادت رقية ـ رضي الله عنها ـ إلى مكة مع زوجها ، بعد أن سمعوا أن أهل مكة أسلموا ، ولكنهم بعد أن عادوا بلغهم أن ما كان من إسلام أهل مكة كان باطلا وفوجئوا بازدياد طغيان قريش وعنتها ، و لم يطل بقائهما في مكة ، فقد هاجر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمون إلى المدينة واستقر بهما المقام في المدينة ، وانتظمت في المجتمع الإسلامي الجديد)[٧٩].

---

[٧٥] ابن سعد ، الطبقات ، مصدر سابق ، ٨/ ٣٦-٣٧ .

[٧٦] الطبري، تاريخ الطبري، مصدر سابق ، ١/ ٣٣٦ ، .

[٧٧] النيسابوري، المستدرك ، مصدر سابق ، ٣٨/٤ .

[٧٨] الطبري، تاريخ الطبري، مصدر سابق ، ٨٢٢/٥ .

[٧٩] ابن هشام ، السيرة النبوية ، مصدر سابق، ٢١١/٢.

وما هي إلا شهور فإذا برقية ــ رضي الله عنها ــ تمرض ويشتد عليها الوهن ولزمت الفراش ، وفي هذه الأثناء نادى منادي الجهاد للخروج إلى بدر لقتال الكفار " وإذا برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأمر عثمان ــ رضي الله عنه ــ بالبقاء بجوار زوجته يواسيها ويخدمها)[٨٠] ، وبينما عثمان – رضي الله عنه – يمارض زوجته العزيزة ؛ فإذا بالموت يسلب روحها الطاهرة ويسلمها إلى بارئها"، وبينما هم يسوون التراب على قبرها أقبل زيد بن حارثة مبشراً بنصر الله في بدر وسلامة المسلمين وهزيمة المشركين .

وبعدما عاد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الغزوة وجدها قد ماتت ودفنت ، فحزن عليها حزناً شديداً ، ووقف على قبرها ؛ ليدعوا لها وللمسلمين في البقيع .

ولقد كانت ــ رضي الله عنها ــ أول من لحقت بأمها خديجة – رضي الله عنها ــ في شهر رمضان من العام الثاني للهجرة [٨١]، بعد صراع مع المرض ، وكأن التاريخ يكرر نفسه ، حيث كابدت البنت المرض ، كمكابدة أمها ، ثم ماتت من مرضها ، كما حدث مع السيدة خديجة ــ رضي الله عنهاــ ، ويمر وقت من الزمن ولا يزال عثمان رضي الله عنه حزيناً يبكي زوجته، فسأله رسول الله ــصلى الله عليه وسلم ــ ما يبكيك ؟ ، فقال عثمان ــ رضي الله عنه ــ : أبكى انقطاع صهري منك ، فواساه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بتزويجه أختها أم كلثوم .

ثالثاً : أم كلثوم بنت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

ولدت أم كلثوم – رضي الله عنها – قبل البعثة بعد رقية ــ رضي الله عنها ــ وهي البنت الثالثة للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ واسمها : أمية [٨٢] .

ولقد عاشت أم كلثوم ــ رضي الله عنها ــ آلام محنة شعب أبي طالب ، وذاقت خلالها أقصى متاعب القطيعة والجفاء ، فأبوها ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ في همّ وغمّ ، وأمها تغالب المرض الشديد ، وأختها فاطمة الصغيرة في حاجة إلى رعاية وعناية .

---

[٨٠] ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني ، الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥م ، ٢/ ٩٦.

[٨١] الطبري، تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ١/ ٣٧٦ .

[٨٢] ا الطبري، تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ٣٩/٤ .

خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأسرته من الحصار وعادوا إلى مكة ولكن سرعان ما توفيت الأم العظيمة ، وبقيت أم كلثوم وفاطمة – رضي الله عنهما – مع أبيهما ترعيانه وتخففا عنه ما يلقاه من قريش ، إلى أن أذن الله تعالى لرسوله الكريم بالهجرة إلى المدينة ،(فهاجر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وترك أم كلثوم وفاطمة – رضي الله عنهما – في مكة حفاظاً على سلامتهما ، وبعد وصوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسل زيد بن حارثة إلى مكة يستحضرهما ، فخرجا ومضيا إلى المدينة والتقت الفتاتان العظيمتان بوالدهما العظيم الذي كان يتحين وقت وصولهما المدينة)[٨٣].

وفي المدينة تمر الأيام بما فيها من جليل الأحداث وعظيم الأمور، فقد شهدت أم كلثوم – رضي الله عنها- انتصار الإسلام في بدر، كما شهدت وفاة شقيقتها الغالية رقية متأثرة بمرضها،(ويحل العام الثالث وما زال حزن عثمان – رضي الله عنه – على رقية باقي في قلبه ، فيزوجه عليه الصلاة والسلام من أم كلثوم بأمر إلهي)[٨٤] .

فعن أبي هريرة ، رضي الله عنه : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقي عثمان بن عفان وهو مغموم ، فقال : « ما شَأْنُكَ يَا عُثْمَانُ ؟ » قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِي يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ دَخَلَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مَا دَخَلَ عَلَيّ ، تُوفِّيَتْ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ـ رَحِمَهَا اللهُ ، وَانْقَطَعَ الصِّهْرُ [٨٥] فِيمَا بَينِي وَبَينَكَ إِلَى آخِرِ الأَبَدِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلمَ ـ : « أَتَقُولُ ذَلِكَ يَا عُثْمَانُ وَهَذَا جبرِيلُ ـ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ يَأمُرُنِي عَنْ أَمرِ اللهِ عزَّ وَجَل أَن أُزَوجُكَ أُخْتَهَا أُمُّ كُلْثُوم عَلَى مِثلِ صَدَاقِهِا [٨٦] وَعَلَى مِثلِ عُدَّتِهَا [٨٧]» فزوجه رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ إياها [٨٨]. ويتزوج عثمان – رضي الله عنه – أم كلثوم ، ويسمى بذي النورين ؛ لأنه تزوج ابنتي رسول الله ـ صلى

---

[٨٣] القطب ، محمد علي ، وآخرون : نساء حول الرسول ـ صلى لله عليه وسلم ـ ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤٢٨هـ ، ص ٤١٢ – ٤١٣ ، .

[٨٤]ابن الأثير، أسد الغابة ، مصدر سابق ، ٣٧٥/٧ .

[٨٥] الصِّهر : القريب بالزواج ، زوجُ بنتِ الرجل وزوج أُخته ، لسان العرب ، مرجع سابق ، جـ٤ ، ٤٧١ .

[٨٦] الصداق : المهر ، لسان العرب ، مرجع سابق ، جـ١٠ ، ١٩٣ .

[٨٧]ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق ،العدة : عدة المرأة المطلقة والمتوفى عنها زوجها هي ما تعده من أيام أقرائها، أو أيام حملها، أو أربعة أشهر وعشر ليال .

[٨٨] النيسابوري ،المستدرك على الصحيحين للحاكم، مصدر سابق ،رقم الحديث ٦٩٥١ .

الله عليه وسلم ـ ، وكانت قبل الإسلام عند عتيبة بن أبي لهب كما تقدم ذكر القصة مع قصة رقية – رضي الله عنها– ، وقد بقيت السيدة أم كلثوم – رضي الله عنها – في بيت زوجها عثمان تملأها السعادة والهناء طيلة ست سنوات هي عمر زواجها ، وقبل وفاتها استأذنت زوجها ووالدها ـصلى الله عليه وسلم ـ في زيارة قبر أمها ولكن عاجلتها المنية .

وفي شهر شعبان سنة تسع من الهجرة صعدت روحها الطاهرة إلى بارئها ، وغسلتها أسماء بنت عميس وجدتها صفية بنت عبد المطلب[٨٩]، وبكاها ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدموع حارة ، ووسدها ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قبرها بجانب رفات أختها الحبيبة رقية جمعتهما الحياة في بيت عثمان وضمهما قبر واحد في البقيع .

رابعاً : فاطمة الزهراء بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

ولدت فاطمة – رضي الله تعالى عنها – سنة إحدى وأربعين من مولد النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال ابن الجوزي وغيره : وهي أصغر بناته ، ولدت قبل النبوة بخمس سنين ، أيام بناء البيت الحرام [٩٠].

ونقل أبو عمرو عن الواقدي (أنها ولدت والكعبة تبني ، والنبي – صلى الله عليه وسلم – ابن خمس وثلاثين سنة وبه جزم المدائني ، وقيل: كان مولدها قبل البعثة بقليل نحو سنة أو أكثر، وهي أسن من عائشة بنحو خمس سنين ، وانقطع نسل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أوائل المحرم سنة اثنين بعد عائشة بأربعة أشهر، وكانت تكنى أم أبيها – بكسر الموحدة بعدها مثناة تحتية – ومن قال غير ذلك فقد صحف – انتهى .

جاءت الابنة الكريمة شديدة الشبه بأبيها ، فجعلها ذلك أثيرة عند أبيها وأمها ، وتمتعت ـ رضي الله عنها ـ بحب عظيم من أبويها وأخواتها وكانت حب البيت كله)[٩١] .

---

[٨٩] ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥م ، ٢/ ١٩٩ .

[٩٠] ابن الجوزي ، جمال الدين أبي الفرج ، صفة الصفوة ابن الجوزي ، تحقيق خالد طرطوسي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٦ هـ ، ص ٢٨٤ .

[٩١] ابن حجر ، ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: الإصابة في تميز الصحابة ، بيروت ، دار الفكر، د .ت ، ٣٩/٤ .

نشأت السيدة فاطمة – رضي الله عنها – على العفة ، وعزة النفس ، وحب الخير ، وحسن الخلق ، فقد كانت تستقي كل هذا من أبيها نبي الأمة ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمها سيدة نساء العالمين .

وعند نزول الوحي على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت في الخامسة من عمرها ، وشاهدت أباها العظيم وقد حببت إليه الخلوة والتعبد في غار حراء ، وشهدت أمها وهي تؤازر أباها وتقف بجانبه ضد صناديد قريش ، وفي كل ما يواجهه من أحداث عظام وخطوب جسام ، وشهدت كذلك حصار المسلمين في شعب أبي طالب ، وذاقت مرارة الجوع والألم وأثر ذلك في صحتها فبقيت طوال حياتها تعاني من ضعف البنية وجهد البلاء ، وما كادت تخرج من محنة الحصار حتى فوجئت بمرض أمها الذي جعلها تلازم الفراش ، وروعت بوفاة الأم الحنون الحبيبة ، وامتلأت نفسها حزناً وألماً وأسىً .

وقد عاشت فاطمة وأختها أم كلثوم ـ رضي الله عنهما ـ فترة الدعوة الثلاثة عشرة عاماً في مكة التي سبقت الهجرة تواجها المحن والمصاعب معاً في بيت النبوة الطاهرة [٩٢]، وشهدت ميلاد الإسلام وإيذاء المشركين لأبيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهجرة أختها رقية ـ رضي الله عنها ـ إلى الحبشة ، وشهدت أباها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " وقد وضع المشركون عليه ما جعلها تبكي وتنفض التراب والأذى عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينما يقول لها : " يا بنية لا تبك ، فإن الله مانع أباك")[٩٣].

وكم عانت الزهراء من مكائد الكفار لأبيها العظيم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ، لقد حملت مسؤولية بيت النبوة كاملة بعد زواج أم كلثوم ـ رضي الله عنها ـ بعد أن كانت تقاسمها أختها ورفيقتها تلك المسؤولية ، فقد وجدت نفسها أمام مسؤوليات كبيرة وضخمة نحو أبيها وهو يمر بظروف قاسية في سبيل الدعوة ؛ فضاعفت الجهد ، وتحملت ، وصابرت ، ورابطت ، وكانت تمثل دور أمها في السهر على راحته ، فكنَّاها الرسول صلى الله عليه وسلم ـ بأم أبيها ، كما شهدت نزول آيات القرآن الكريم ، وسعدت بها وهي

---

[٩٢] الهاشمي ، عبد المنعم ، أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، بيروت ، دار ابن حزم ، ١٤٢٥هـ ، ص ٩٦ .

[٩٣] ابن هشام ، السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ٢ / ٢٤١ .

تستمع إلى هذا الكتاب الذي أحكمت آياته من فم أبيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يرتل القرآن ترتيلاً)[٩٤].

وقد هاجر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة بأمر من الله تعالى مع صاحبه أبو بكر – رضي الله عنه – وترك فاطمة وأم كلثوم ـ رضي الله عنهما ـ في مكة حفاظاً على سلامتهما، وما إن وصل المدينة حتى أرسل زيد بن حارثة إلى مكة لإحضارهما – رضي الله عنهما- وفي الطريق لقي الركب المهاجر أذى من بعض مشركي قريش فقد لحق الحويرث بن نقيذ القرشي بالركب ونخس بعير فاطمة وأم كلثوم –رضي الله عنهما – فرمى بهما على الأرض ، ولكنهما تابعا الرحلة ، وكان الحويرث أحد ستة نفر أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقتلهم بعد الفتح ، فقتله علي بن أبي طالب) [٩٥].

وحينما وصل الركب إلى المدينة ما كان أعظم فرح أم كلثوم وفاطمة – رضي الله عنهما- بلقاء أبيهما ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وكان فرحه بهما كذلك عظيماً .

ولقد كان زواج فاطمة ـ رضي الله عنها ـ أحد الأحداث المهمة في تاريخ البشرية ، ورغم ذلك فقد تم بكل بساطة ويسر في المهر أو في تجهيز البيت أو في الوليمة ، فالمهر : هو الدرع الحطيمة التي أهداها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابن عمه علي بن طالب ـ رضي الله عنه ـ " وأثاث البيت : سرير ، ووسادة من أدم حشوها ليف ، وسقاء ، وجرتين ، والوليمة كبشين ، وآصُعاً من ذرة")[٩٦].

كما كان هذا البيت – الذي ذهب تأثيره في التاريخ بعيداً بيتاً- بسيطاً ، وكان الزوجان يباشران شؤون منزلهما بأنفسهما ، وكان ذلك يرهقهما فاشتكيا ذلك للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ فعلمهما كلمات تكفيهما متاعب الدنيا وتعينهما على زيادة التحمل والقوة ، حيث قال لهما: تسبحان في دبر كل صلاة عشراً ، وتحمدان عشراً ، وتكبران عشراً ، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ،

---

[٩٤] الهاشمي ، أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، مصدر سابق ، ص٩٧ .

[٩٥] الزبيري ، أنساب الأشراف ، مصدر سابق ، ص ١/ ٤٥٩ .

[٩٦] ابن سعد ، الطبقات ، مصدر سابق ، ٨/٢١ .

وكبرا أربعاً وثلاثين)[٩٧]، وهكذا أعطاهما _ عليه الصلاة والسلام _ حبلاً موصولاً بـــالله ، إذا قاما إلى الصلاة تمسَّكا به ، وإذا أويا إلى الفراش تشبثا بعراه .

من ثم خيمت السعادة على بيت الزهراء – رضي الله عنها- ،" فولـــدت لعلـــي – رضي الله عنه – الحسن ، والحسين ، وأم كلثوم ، وزينب "[٩٨]، ومضت الأيام تحمل بشـــائر الخير والنصر للمسلمين ، وتوالت الفتوحات إلى أن تم فتح مكة ، وبفتحها دانت الجزيـــرة العربية للإسلام .

وذات يوم زارت فاطمة _ رضي الله عنها _ أباها ، وكان بينهما حـــديث أســـرَّهُ الأب _ صلى الله عليه وسلم _ لابنته _ رضي الله عنها_ ...(عَنْ عَائِشَةَ _ رَضِيَ اللَّـــهُ عَنْهَا _ قَالَتْ : أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ) ، فَقَالَ النَّبِيُّ _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ : مَرْحَبًا بِابْنَتِي ، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا ؛ فَبَكَتْ ، فَقُلْتُ لَهَا : لِمَ تَبْكِينَ ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا ؛ فَضَحِكَتْ ، فَقُلْتُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ ؛ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ ، فَقَالَتْ : مَـــا كُنْـــتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ ، حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ ؛ فَسَأَلْتُهَا ، فَقَالَتْ : أَسَرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَـــنَةٍ مَـــرَّةً وَإِنَّـــهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي ، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي فَبَكَيْـــتُ ، فَقَالَ : أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَضَحِكْتُ لِـــذَلِكَ "[٩٩].

ولقد عاشت الزهراء بعد رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ ستة أشهر، وتوفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وهي ابنـــة تســـع وعشـــرين سنة[١٠٠].

---

[٩٧] ابن الجوزي ، صفة الصفوة، مصدر سابق ،ص ٢٨٣ .

[٩٨] المصدر السابق، ص ٢٨٤ .

(١) البخاري، صحيح البخاري ، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٦٢٣ ، ١/ ٣٦٣ .

(٢) الطبري، تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ص ٥٢٣/٢ .

بعد ما نالت فاطمة – رضي الله عنها – من حسن السيرة ، وطيب الذكرى مـــا لم تنله امرأة غيرها في تاريخ البشرية ، و لم تحدث امرأة في تاريخ الإسلام ، ما أحدثته فاطمة ــ رضي الله عنها ــ .

المبحث الثالث: مكانة خديجة ــ رضي الله عنها ــ :

- **مكانتها ــ رضي الله عنها ــ عند الرسول ــصلى الله عليه وسلم ــ :**

وردت أحاديث كثيرة عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بحق خديجة ــ رضي الله عنها ــ جاء بعضها في حياتها ، والأخر بعد وفاتها ــ رضي الله عنها ــ مما يـــدل علـــى عظيم مكانتها في قلب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وأنها باقية في ذاكرته :

أولاً :– تبشيرها ببيت في الجنة :

١– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ "[١٠١].

٢– عن عبد الله بن جعفر، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ " أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ " [١٠٢].

ثانياً : سلام الله عليها على لسان جبريل – عليه السلام – :

---

[١٠١] البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٨١٧ ،١/٣٨٠.

[١٠٢] النيسابوري ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٩هـــ، رقم الحديث ٤٨٩٢ ، ٣/ ١٤٣.

وقد ورد ذلك في رواية أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ في البخاري ، قال: " أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ــصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ " [١٠٣].

وعن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ : أن رسولَ اللهِ ــ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ــ ، قالَ: "إنَّ جَبْرَائِيْلَ ــ عَلَيهِ السَّلامُ ــ قالَ لِيْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِيْ : حِيْنَ رَجعْتُ قُلْتُ يَا جَبْرَائِيْلُ هَلْ لَكَ حَاجَةً ؟ : قَالَ حَاجَتِيْ أَنْ تُقْرِأَ عَلَى خَدِيْجَةٍ مِنَ اللهِ وَمِنِّيَ السَّلامُ ، وَحَدَّثَنَا عَلَى ذَلِكَ أَنَّهَا قَالَتْ حِيْنَ لَقَاهَا نَبِيُّ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ لَهَا: الَّذِيْ قَالَ جَبْرَائِيْلُ ؟ فَقَالَتْ: " إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ وَمِنْهُ السَّلامُ وَإِلَيْهِ السَّلامُ وَعَلَى جَبْرَائِيْلَ السَّلامُ " [١٠٤].

ثالثاً– إطعام رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إياها من ثمار الجنة :

عن عائشة ــرضي الله عنها ــ قالت : " أطعم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خديجة من عنب الجنة " [١٠٥].

رابعاً : كونها ــ رضي الله عنها ــ أفضل النساء :

١–عن عبد الله بن جعفر عن الإمام علي ــ رضي الله عنه ــ قال: " قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ " [١٠٦].

٢–روى عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ، قال : خطَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أربع خطوط ، ثم قال " أتدرون ما هذا " قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال " إن أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية

---

[١٠٣] البخاري، صحيح البخاري ، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٨١٧ ،١ /٣٨٠ .

[١٠٤] ابن هشام ، السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ص ٢٢٥ .

[١٠٥] الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ط٣ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٢هـ ، ٢٢٥/٩ .

[١٠٦] البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، رقم الحديث في البخاري ٣٧٩٥ ، ٣٨٠/١ ، النيسابوري ،صحيح مسلم، رقم الحديث في مسلم ٢٤٣٠، ١٢٣٤/١ .

بنت مزاحم امرأة فرعون مع ما قصَّ الله علينا من خبرها في القرآن : (قالت رب ابـــنِ لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) "[١٠٧] .

خامساً : كثرة ثناء الرسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ على خديجة :

١- روى عن عائشة _ رضي الله عنها _ قالت : " مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِـــرْتُ عَلَـــى خَدِيجَةَ وَلَقَدْ هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ ؛ لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا ، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ) لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِي فِي خُلَّتِهَا مِنْهَا "[١٠٨].

٢- عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة _ رضي الله عنها _ ، قالت: " مَا غِرْتُ عَلَـــى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي ؛ لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا ، وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ ، وَإِنْ كَانَ لَيَـــذْبَحُ الشَّـــاةَ فَيُهْدِي فِي خَلَائِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ "[١٠٩].

٣-روى عن عائشة _ رضي الله عنها _ أنها قالت: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّـــهُ عَلَيْـــهِ وَسَلَّمَ) إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ لَمْ يَكُنْ يَسْأَمُ مِنْ ثَنَائه عَلَيْهَا وَالاسْتِغْفَارِ لَهَا ، فَذَكَرَهَا ذَاتَ يَوْمٍ ، وَاحْتَمَلَتْنِي الْغَيْرَةُ ، إِلَى أَنْ قُلْتُ : قَدْ عَوَّضَكَ اللَّهُ مِنْ كَبِيرَةِ السِّنِّ ، قَالَتْ: فَرَأَيْتُ رَسُـــولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) غَضِبَ غَضَبًا سَقَطَ فِي جِلْدِي ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ أَذْهَبْتَ عَنِّي غَضَبَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لَمْ أَذْكُرْهَا بِسُوءٍ مَا بَقِيـــتُ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الَّذِي قَدْ لَقِيتُ، قَالَ:كَيْفَ قُلْتِ ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَرُزِقَتْ مِنِّي الْوَلَدَ إِذْ حُرِمْتِيهِ مِنِّي ، فَغَدَا بِهَا عَلَيَّ وَرَاحَ شَهْرًا "[١١٠].

٤- عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: " مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ (صَـــلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

[١٠٧] النيسابوري ،المستدرك ، مصدر سابق ، ١٤٤/٣ .

[١٠٨] البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦٠٠٤، ٥٩٧/١.

[١٠٩] رواه البخاري، مصدر سابق، رقم الحديث ٢٤٣٠، ١/ ٣٨٠ .

[١١٠] المعجم الكبير، الطبراني ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، القاهرة ، وزارة الأوقاف ، مكتبة ابن تيمية ،٣١٩/١٦.

) يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ ، فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ[١١١] .

٥- روى عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: " اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ هَالَةَ ، قَالَتْ فَغِرْتُ ، فَقُلْتُ : مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا "[١١٢]

ومن أروع الأمثلة في الوفاء لذكراها : أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان في العام الثامن للهجرة ، بعد إحدى عشرة سنة من وفاتها عند فتح مكة ، حين ولي الزبير بن العوام قيادة خيل المهاجرين والأنصار القادمين لفتح مكة ، فأعطاه الراية وأمره أن يركزها بأعلى مكة في الحجون ، وقال له: لا تبرح حيث أمرتك أن تغرز رايتي حتى آتيك "[١١٣] ، فلما وصلت الخيل إلى الحجون قال له العباس بن عبد المطلب : " يا أبا عبد الله هاهنا أمرك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن تركز الراية "[١١٤].

وهناك عند قبر السيدة خديجة ــ رضي الله عنها ــ ارتفعت راية الإسلام واتخذ مكاناً للقيادة ، ومن هناك دخل مكة يوم نصر الله عبده وأعز جنده[١١٥] ، وكأن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يريد أن يخبر السيدة خديجة ــ رضي الله عنها ــ بما صنعه الله له ، وكيف أصبح الدين الذي استقبله في بيتها.

- **مكانة أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها– عند قومها :**

سبق ذكر صفات السيدة خديجة ــ رضي الله عنها ــ ولا شك أن لأي امرأة صفات مثل صفات السيدة خديجة تجعل لها مكانة عظيمة عند قومها ، خاصة وأنها تنحدر

---

[١١١] البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، رقم الحديث ٣٨١٩ ،١/٣٨٠ .

[١١٢] البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث٣٨٢١ ، ١/ ٣٨٠.

[١١٣] الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير : تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ، بيروت ، دار صادر ، ١٤٢٤هـ ، ٢/ ٣٣٣.

[١١٤] البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٤٢٨٠ ، ٤٢٣/١ .

[١١٥] عمر، عبد المنعم محمد، خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ١٩٩٤، ص ٤٣١.

من نسل العوائل الشريفة الكبيرة المنعمة المترفة ، مع ما لأبيها من مكانة في قريش ، حيث كان أحد زعمائها ورجالها البارزين ، كما أن قوة شخصيتها – فضلاً عن مميزاتها الذاتية – تجعل لها عندهم مكانة مرموقة ؛ لأن تأثير الأسرة كبير في تحديد شخصية الإنسان وهي خير قاعدة له بيد منها وتقرر له حياته فقد كانت –رضي الله عنها– مميزة جدا ، فقد أطلق عليها لقب الطاهرة[١١٦] قبل أن تتزوج بالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وبهذا اللقب نالت مكانة كبيرة في مجتمع مكة حتى استحقته فلقبت به دون باقي نساء قريش .

وإن كانت التجارة هي الطابع العام للحياة الاقتصادية في مكة ، فنشأ تبعا لذلك مجتمع متحضر يختلف عن مجتمعات الجزيرة العربية ، وتبعا لذلك تطورت مكانة المرأة فاشتركت النساء في التجارة التي لم تبق حكراً على الرجال ، لأن القوافل مشتركة يقودها وكلاء وبإمكان أي شخص أن يشترك بها، وقد عملت السيدة خديجة ــ رضي الله عنها ــ بالتجارة مما يجعل لها طابعها المميز ، فقد كانت تمتلك كمية من الأموال وترسل الرجال ؛ ليتاجروا لها في مالها فتجعل لهم حصصاً من الأرباح.

وعندما بعث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ركز كل جهوده على الدعوة فكانت أموال السيدة خديجة ــ عليها السلام ــ خير عون للإسلام والمسلمين، و المسلمين الذين فقدوا أموالهم وامتيازاتهم التجارية نتيجة اعتناقهم الإسلام ، حيث حصلوا على مساعدات من هذا المال ، فقد وضعت –رضي الله عنها– أموالها في خدمة المسلمين ، ومن المواقف التي تدل على علو مكانتها الاجتماعية: موقفها في شعب أبي طالب الذي دخلت مع زوجها وبني هاشم والمسلمين فيه متحملة الحصار الذي فرضه المشركون عليهم ، فهي تحاول كسر هذا الحصار ما أمكن فقد كان تأثيرها في أبناء عمومتها وأقاربها كبيراً من أجل تخفيف المقاطعة بالرغم من بقائهم على الشرك ، ففي رواية أن حكيم بن حزام بن خويلد أدخل المساعدات إلى بني هاشم فلقيه أبو جهل وهو يحاول إدخال ناقة محملة بالقمح إلى الشعب ، فمنعه فأرسلت السيدة خديجة إلى ابن عمها زمعة بن الأسود تشكو أبا جهل ؛ لأنه كان يمنعها من شراء ما تحتاج إليه من طعام فزجره زمعة [١١٧].

---

[١١٦] الطبراني ، المعجم الكبير ، مصدر سابق ،٣٠٨/١٦.

[١١٧] ابن هشام ، السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ٢٠٤/٢.

وترى الباحثة : أن تلك المواقف الخالدة من أم المؤمنين خديجة لم تأتِ محض الصدفة ، فحياتها ـ رضي الله عنها ـ قبل زواجها من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وبعد زواجها منه : خير دليل على ذلك ، حيث وهبت نفسها ومالها لزوجها (صلى الله عليه وسلم ـ ، بل ووقفت مع الدعوة بكل معارفها وأقاربها رغم بقائهم على الشرك ، و لم تتوان في نصرة الدعوة ، حتى وافتها المنية .

وكان البختري ممن يدخلون الطعام على بني هاشم ، واستمرت هذه العائلة ترسل الطعام إليها طيلة الحصار، وأبو البختري بن هشام ، وزمعة بن الأسود من أبناء عمومة السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ [١١٨].

- **موقف أم المؤمنين عائشة من أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنهما ـ :**

لقد أوردت كتب السيرة مواقف كثيرة لأم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ تجاه أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ منها :

١- عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : " مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِيَّاهَا ، قَالَتْ : وَتَزَوَّجَنِي بَعْدَهَا بِثَلَاثِ سِنِينَ ، وَأَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَام ـ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ " [١١٩].

٢- عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ، قالت : " مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ ـصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا ، وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي فِي خَلَائِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ "[١٢٠].

٣- عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ : " مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي

---

[١١٨] السيرة النبوية لابن هشام ، مصدر سابق ، ٢٠٤/٢.

[١١٩] أخرجه البخاري ، وقد سبق تخريجه .

[١٢٠] رواه البخاري ، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٤٣٠، ١/ ٣٨٠ .

صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ ، فَيَقُولُ : إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ "[١٢١].

من الروايات السابقة للسيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ يتبين :

١- غيرة السيدة عائشة من السيدة خديجة ــ رضي الله عنهما ــ .

٢- هذه الغيرة ليست غيرة حقودة بالطبع ؛ لأن نساء النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لسن كباقي النساء ، وربما كانت الغيرة الطبيعية التي بمقتضاها أنَّ كل امرئ يحب لنفسه التزود من الخير ، وأن يكون له القسط الأكبر من الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

٣- تلك الغيرة من السيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ تفيد أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يذكر محاسن السيدة خديجة كثيراً ، وهذا يدل على وفائه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لها بعد موتها واستقرار حبها في قلبها .

٤- كان رسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصل السيدة خديجة بعد موتها بالصدقة عليها لمحبيها في حياتها .

---

[١٢١] رواه البخاري ، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٨١٩ ، ١/٣٨٠ .

الفصل الثالث :

مضامين مستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وهي

مرتبة على حسب الحروف الأبجدية:

المضمون التربوي الأول : الاحتساب.

المضمون التربوي الثاني : الإيمان .

المضمون التربوي الثالث : البصيرة والفراسة .

المضمون التربوي الرابع : التبليغ .

المضمون التربوي الخامس : التعاون على البر والتقوى .

المضمون التربوي السادس: حسن الخلق .

المضمون التربوي السابع : الحياء.

المضمون التربوي الثامن : الشورى .

المضمون التربوي التاسع : علو الهمة .

المضمون التربوي العاشر: الولاء والبراء .

المضمون التربوي الأول : الاحتساب :

الاحتساب لغة: الاحتساب مصدر احتسب وهو من مادة (ح س ب) التي تدل في اللغة على معان عديدة منها: العد، والكفاية[١٢٢]، ومن المعنى الأول (العد) قولهم: حسبت الشيء أحسبه حسبا وحسبانا، قال تعالى: (الشمس والقمر بحسبان)سورة الرحمن آية ٥.

والحسبة: الأجر وهي اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد، وجمع الحسبة حسب، وأما قوله عز وجل: (ويرزقه من حيث لا يحتسب) فجائز أن يكون معناه: من حيث لا يقدره ولا يظنه كائناً، من حسبت أحسب أي ظننت، وجائز أن يكون مأخوذاً من حسبت أحسب، أي من حيث لم يحسبه لنفسه رزقا ولا عده في حسابه، قال الأزهري: وإنما سمي الحساب في المعاملات حسابا لأنه يعلم به ما فيه كفاية ليس فيه زيادة على المقدار، ومعنى قولهم: احتسب فلان ابنا له: اعتد مصيبته به في جملة بلايا الله التي يثاب على الصبر عليها[١٢٣].

وفي الاصطلاح قيل الاحتساب: هو طلب الأجر من الله تعالى بالصبر على البلاء مطمئنة نفس المحتسب غير كارهة لما نزل بها من البلاء[١٢٤].

ويقول ابن الاثير :الاحتساب في الأعمال الصالحة وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها ؛ طلبا للثواب المرجو منها [١٢٥].

لقد أدركت أم المؤمنين ــ رضي الله عنها ــ ببصيرتها النافذة وإيمانها الصادق معنى الاحتساب وقد امتثلت ــ رضي الله عنها ــ بتطبيق الاحتساب خلال حياتها سواء : قبل

([١٢٢]) ابن فارس ابي الحسن احمد : مقاييس ، تحقيق عبد السلام هارون ،ط٢، مصر ، مكتبة مصطفى الباني : (٢/ ٦١) .

([١٢٣])المصدر السابق: (٦/٢) .

[١٢٤]الكفوي،أبو الفداء ، الكليات : معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق : عدنان درويش ، بيروت ، مؤسسة الرسالة،١٩٩٣م ، (ص٥٧) ، ويلاحظ أنه : قد اقتصر على معنى واحد فقط للاحتساب وهو : طلب الأجر عند الصبر على البلاء .

[١٢٥] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزواوي ومحمود الطنجي ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٦٣ هـ ، (٣٨٢/١) .

زواجها بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، أو بعد زواجها من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ويظهر ذلك من خلال احتساب الأجر من الله عز وجل عند الصبر على المكاره ، وخاصة عند فقد أبنائها ، ووالدها ، وأزواجها قبل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكذلك يظهر احتسابها من خلال : احتساب الأجر من الله عز وجل عند عمل الطاعات ، تبتغي به وجه الله عز وجل ،كما في صلاتها التي كانت تؤديها مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وفي جميع الطاعات .

وكذلك يظهر احتسابها من خلال : احتساب المولى عز وجل ناصراً ومعيناً لها عند تعرضها لأنواع الابتلاء ، التي نزلت بها ، ومن أبرزها : تعرض كفار قريش لزوجها ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالإيذاء والاستهزاء ، وكذلك تعرضها للإيذاء النفسي والجسمي في المقاطعة ، التي فرضها كفار قريش على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله ، وقد صبرت على كل ما نزل بها ، وما ثبت في كتاب من كتب السيرة جزعها ، أو حزنها ، أو قنوتها عند تعرضها للابتلاءات.

وقد حث الإسلام في شرعه على الاحتساب بجميع أنواعه الثلاثة ، وهي : احتساب الأجر من الله تعالى عند الصبر على المكاره ، أو احتساب الأجر من الله تعالى عند عمل الطاعات ابتغاء مرضات الله ، أو احتساب المولى عز وجل ناصراً ومعيناً للعبد عند تعرضه لأنواع الابتلاء .

فعن أبي سعيد وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ "[١٢٦].

وقد قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ أن المصائب تكون على وجهين : "الوجه الأول- تارة إذا أصيب الإنسان تذكر الأجر واحتسب هذه المصيبة على الله ؛ فيكون فيها فائدتان : تكفير الذنوب ، وزيادة الحسنات .

---

[١٢٦] البخاري ، صحيح البخاري ، مصدر سابق، رقم الحديث في البخاري ٤٦٤١، ٥٧٠/١ ، رقم الحديث في مسلم ٢٥٧٣، ١٢٥٩/١ .

الوجه الثاني – تارة يغفل عن هذه المصيبة ؛ فيضيق صدره ، ويغفل عن نيته الاحتساب والأجر على الله فيكون في ذلك تكفير لسيئاته ، إذن هو رابح على كل حال في هذه المصائب التي تأتيه ، فإما أن يربح تكفير السيئات ، وحط الذنوب بدون أن يحصل به الأجر؛لأنه لم ينو شيئاً ، ولم يصبر ، ولم يحتسب الأجر ، وإما أن يربح شيئين كما تقدم ولهذا ينبغي للإنسان إدا أصيب ولو بشوكة ، أن يتذكر الاحتساب من الله على هذه المصيبة"[١٢٧].

والآيات الدالة على الاحتساب كثيرة ، منها : قوله تعالى :﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(سورة : آل عمران ، آية : ٢٦٥) ، وقال أيضا : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة : النساء ، آية : ١١٤) ، وقال أيضا : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة : الشعراء ، آية ١٠٥– ١٠٩) ، من هذه الآيات وغيرها نجد أن قبول العمل واستمراره مرهون بإخلاصه لوجه الله وحده ، من ثم يحصل مقابل أعماله الصالحة التي يعملها : الفوز برضا الله وحب الناس في الدنيا ، والخلود في الجنة ونيل الدرجات العلا منها في الآخرة ، ويقول تعالى أيضاً : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ (سورة : الإنسان ، آية : ٨– ١٠) .

ومن السنة الشريفة : عن أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ قَالَ : أَرْسَلَتْ ابْنَةُ النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ إِلَيْهِ أَنَّ ابْناً لِي قُبِضَ فَأْتِنَا فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ : إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا ؛ فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ ابْنُ عُبَادَةَ ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وَزَيْدُ

---

[١٢٧] ابن عثيمين ،محمد بن صالح : شرح رياض الصالحين ،الرياض، دار عالم الكتب،١٤١٤هـ : (١٠٩/١) .

بْنُ ثَابِتٍ ، وَرِجَالٌ فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ ، قَالَ : حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ كَأَنَّهَا شَنٌّ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، فَقَالَ سَعْدٌ : يَارَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَـذَا ؟ ، فَقَالَ : " هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ" [١٢٨] .

وعنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : " يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ابْنَ آدَمَ إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ "[١٢٩]، وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ إِذَا ذَهَبَ بِصَفِيِّهِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ وَقَالَ مَا أُمِرَ بِهِ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ " [١٣٠] .

وقد قام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ ، وكتب السيرة النبوية تزخر بالنماذج والأمثلة ، ومنها : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : " دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَهُوَ يُوعَكُ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ ، قَالَ : إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ، قَالَ : الْأَنْبِيَاءُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ثُمَّ مَنْ ، قَالَ : ثُمَّ الصَّالِحُونَ إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يُحَوِّيهَا ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ" [١٣١] .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ ولده عَلَيْهِ السَّلَام ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ تَذْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : " يَا ابْنَ عَوْفٍ ، إِنَّهَا

---

[١٢٨] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٢٨٤ ،١٣٣/١ .

[١٢٩] القزويني، سنن ابن ماجة، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٥٩٧ ،٢٨٤٢/٢ .

[١٣٠] النسائي، سنن النسائي، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٨٧١، ٢٣٧٧/٢ .

[١٣١] القزويني، سنن ابن ماجة، مصدر سابق ، رقم الحديث ٤٠٢٤ ،٣٠٨٢/٢ .

رَحْمَةٌ ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى ، فَقَالَ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ " [١٣٢] ، وغيرها من الأمثلة كثير.

ومن أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ الاحتساب :

١- حصول السعادة في الدارين .

٢- دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام .

٣- الاحتساب يجلب السرور ويدفع الحزن .

٤- طريق موصل إلى محبة الله ورضوانه .

[١٣٢] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٣٠٣ ، ١/١٣٥ .

المضمون التربوي الثاني – الإيمان :

الإيمان لغة : مصدر آمن وهو مأخوذ من مادة (أ م ن) التي تدل على معنيين هما: الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب، والتصديق الذي هو ضد التكذيب، ومن المادة أيضاً الأمان وضده الخوف. أما الإيمان فضده الكفر، وقد أخذ هذا المعنى الأخير (من التصديق) بإجماع أهل العلم كما يقول ابن منظور، وهو راجع إلى معنى الأمان؛ لأن العبد إذا آمن بالله أمنه الله وصار في أمانه، قال عز وجل : (الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) سورة الأنعام: ٨٢ [١٣٣].

ويعرف الشيخ الفوزان الإيمان هو : الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه ، وأنه الخالق وحده المدبر للكون كله ، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، وأن كل معبود سواه باطل وعبادته باطلة .[١٣٤]

وينقسم إلى ستة أقسام ، وهي أركانه : الإيمان بالله تعالى – الإيمان بالملائكة – الإيمان بكتب الله – الإيمان بالرسل – الإيمان باليوم الأخر – الإيمان بالقدر .

لقد ثبت لنا أن إيمان السيدة خديجة – رضي الله عنها – كان له أكبر الأثر في تثبيت وتبشير الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وخاصة بعد نزول الوحي عليه لأول مرة ، وهو في غار حراء وخوفه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وارتعاده من فُجَاءة ما حدث ، ثم دخوله على السيدة خديجة – رضي الله عنها– وهو يرتجف قائلاً : زملوني زملوني ، فزملته – رضي الله عنها – وهدَّأت من نفسه الشريفة ، ثم أخبرها الخبر ، فقالت له عباراتها الصادقة وكلماتها الإيمانية الواثقة بالله : " كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ " [١٣٥].

---

[١٣٣] ابن منظور ، لسان العرب ،مصدر سابق: (١/١٤٠-١٤١)

[١٣٤] الفوزان ، صالح بن فوزان ، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ط٢ ، مطابع الحميضي ، الرياض ، منشورات الرئاسة العلمية والإفتاء ، ١٤٢٧هـ ، ص٢٩ .

[١٣٥] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣ ، ١/ ١٥ .

فكان موقفها – رضي الله عنها- من نزول الوحي موقفاً إيمانياً صادقاً ، حيث ذكَّرته بنعم الله عليه السابقة قبل الوحي والرسالة ، ومن كانت هذه صفاته وأخلاقه ، فهو حري أن لا يناله شراً أو خزياً ، وأن ما حدث كان تأهيلاً لأمر عظيم ، وهو النبوة .

وفي هذا يقول الإمام ابن حجر ــ رحمه الله ــ :" وفيه بيان تصديقها للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أول وهلة ، ومن ثباتها في الأمر: ما يدل على قوة يقينها ، ووفور عقلها ، وصحة عزمها"[١٣٦].

ولا شك أن النشأة الدينية لها قد أثرت في ذلك كله ، كما أن بقاءها مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فترة خمس وعشرين سنة : خمس عشرة سنة قبل البعثة ، وعشر سنوات بعدها قد ارتفع بمستواها الديني إلى حد كبير ، فاستقبلت هذا النبأ بثبات ويقين لم يأخذها شك في أقوال زوجها ، و لم تكتف بما عندها بل تأخذه بعدما هدأ روعه ، وسكنت نفسه واطمأنت جوارحه مما ألم به في غار حراء، وتذهب إلى أعلم أهل زمانها وهو ابن عمها ورقة ،" وكان قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة : أي ابن عم ، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خبر ما رأى ، فقال ورقة له : هذا الناموس الذي نزل على موسى، ولتكذبن ، ولتؤذين ، ولتخرجن ، ولتقاتلن ، ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه " [١٣٧].

وزاد قول ورقة السيدة خديجة ــ رضي الله عنها ــ يقيناً ، فأصبح إيمانها بنبوته ورسالته إلى الناس أثبت من الجبال الرواسي ، فكانت أول من آمن ، وأول من صلى بصلاته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فقد أعلنت إسلامها ، وقامت تصلي مع زوجها عند الكعبة غير آبهة بما قد يحدث لها بعد أن خرجت على معتقدات الشرك علناً .

عن عفيف الكندي ، أنه قال : " جئت في الجاهلية إلى مكة ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، قال : فلما طلعت الشمس في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شاب فرمى

---

[١٣٦] ابن حجر ، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب ، القاهرة دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ ، ١١/ ١٢٩ .

[١٣٧] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣ ، ١/ ١٥ .

ببصره إلى السماء ، ثم استقبل القبلة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام ، فقام عن يمينه ، قال: فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، وركع الشاب فركع الغلام والمرأة ، ورفع الشاب رأسه فرفع الغلام والمرأة ، فخر الشاب ساجداً فسجدا معا ، فقلت : يا عباس أمر عظيم ، قال العباس : أتدري من هذا؟ فقلت : لا ، قال : هذا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن أخي ، أتدري من هذه المرأة خلفهما: قلت : لا ، قال هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي ، وهذا حدثني أن رب السماء أمره بهذا الذي تراهم عليه ، وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض لك من أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة " [١٣٨] .

كما أن لموقفها بعد ما نزل من الآيات الكريمة في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ (سورة: المدثر ، آية :١-٦) على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أثر كبير وعظيم ، حيث كانت – رضي الله عنها – تشاركه الفرحة بنزول الوحي ، وتهوِّن عليه الأمر ، وتشجعه على تحمل عبء الدعوة ، والصبر في سبيل الله ،" ثم لم يلبث أن بطئ الوحي بعضا من الوقت مرة أخرى ، فحزن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لذلك كثيراً ، فقال المشركون : قد ودع محمداً ربه "، وكان للسيدة خديجة ـ رضي الله عنهاـ دورها أيضاً ، فهي ما زالت تخفف عنه ما ألم به وتواسيه بما علمته فيه من :كريم الخصال ، وحميد الفعال ، وتذكره أيضا بنعم الله عليه ، وأن انقطاع الوحي ليس إلا لحكمة يعلمها الله ، ثم نزلت آيات : ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (سورة : الضحى ، آية ١- ٣) ، هكذا كان لإيمان السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ أبلغ الأثر في تثبيت نفسية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتخفيف ما ألم به [١٣٩] .

وقد أوجب الله تعالى على الناس الإيمان وحث عليه قال تعالى ﴿ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

---

[١٣٨] الطبري، تاريخ الطبري، مصدر سابق ، ٣٣٠/١ .

[١٣٩] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : حسين إبراهيم زهران ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٨هـ ، ٨٢٦/٤ .

يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة : البقرة ، آية : ١-٥) .

وقال أيضاً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (سورة : البقرة ، آية : ٢٦) .

وقال كذلك : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (سورة :البقرة ، آية : ١٧٧) .

وقد جاءت السنة تحث على الإيمان وتبين فضله ؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ عَنْ النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ ، قَالَ : " آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ " [١٤٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ " كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِيمَانُ ؟ ، قَالَ : الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَلِقَائِهِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْإِسْلَامُ ؟ ، قَالَ : الْإِسْلَامُ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِحْسَانُ ؟ ، قَالَ : الْإِحْسَانُ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَتَى السَّاعَةُ ؟ ، قَالَ : مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا : إِذَا وَلَدَتْ الْمَرْأَةُ رَبَّتَهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا ، وَإِذَا كَانَ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا ، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا

---

[١٤٠] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٧ ، ١٨/١ .

فِي الْأَرْحَامِ﴾ ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : رُدُّوا عَلَيَّ فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوا فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا ، فَقَالَ : هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ "[١٤١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ رضي الله عنه ــ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ :" أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا "[١٤٢] ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

وقد قام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ ؛ فعن أبي هُرَيْرَةَ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ يَقُولُ : " بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهُ الرَّاعِي ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ ؛ فَقَالَ : مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي ، وَبَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا ؛ فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ ، فَكَلَّمَتْهُ ، فَقَالَتْ : إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا ، وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ ، قَالَ النَّاسُ : سُبْحَانَ اللَّهِ !! ، قَالَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ: فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ " [١٤٣] .

وعَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ ، قَالَ : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ وَأَنَا فِي الْغَارِ :لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا ، فَقَالَ : " مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا "[١٤٤].

ومن أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ الإيمان :

١- حب ما يحب الله من : النبيين ، والصالحين ، والأعمال ، والأخلاق، وبغض ما يبغضه الله سبحانه وتعالى من : المفسدين ، والأعمال ، والأخلاق .

٢- الرضا بالقضاء والصبر على البلاء .

٣- أنه شرط لقبول كل الأعمال .

---

[١٤١] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٤٧٧٧ ، ٤٨٣/١ ، النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ٩ ، ٧٥٣/١ .

[١٤٢] رواه أبو داود والترمذي ، رقم الحديث في سنن أبي داود ٤٦٨٢ ، ١٧٠٧/١ ، رقم الحديث في الترمذي ١١٦٢، ١٨٩٥/١ .

[١٤٣] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٦٦٣ ، ٣٦٧/١ . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ٢٣٨٨ ، ١٢٢٧/١ .

[١٤٤] البخاري ، صحيح البخاري ، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٦٥٣ ، ٣٦٦/١ .

المضمون التربوي الثالث : البصيرة والفراسة :

(والبَصِيرَةُ عَقِيدَةُ القلب قال الليث البَصيرة اسم لما اعتقد في القلب من الدين وتحقيق الأَمر وقيل البَصيرة الفطنة تقول العرب أَعمى الله بصائره أَي فِطَنَه عن ابن الأَعرابي وفي حديث ابن عباس أَن معاوية لما قال لهم يا بني هاشم تُصابون في أَبصاركم قالوا له وأَنتم يا بني أُمية تصابون في بصائركم وفَعَلَ ذلك على بَصِيرَةٍ أَي على عَمْدٍ وعلى غير بَصيرة أَي على غير يقين وفي حديث عثمان ولتَخْتَلِفُنَّ على بَصِيرَةٍ أَي على معرفة من أَمركم ويقين وفي حديث أُم سلمة أَليس الطريقُ يجمع التاجرَ وابنَ السبيل والمُسْتَبْصِرَ والمَجْبورَ أَي المُسْتَبِينَ للشيء يعني أَنهم كانوا على بصيرة من ضلالتهم أَرادت أَن تلك الرفقة قد جمعت الأَخيار والأَشرار وإِنه لذو بَصَرٍ وبصيرة في العبادة عن اللحياني وإِنه لَبَصِيرٌ بالأَشياء أَي عالم بها عنه أَيضاً ويقال للفِراسَةِ الصادقة فِراسَةٌ ذاتُ بَصِيرة والبصيرة العِبْرَةُ يقال أَمَا لك بَصِيرةٌ في هذا ؟ أَي عِبْرَةٌ تعتبر بها وأَنشد في الذَّاهِبِين الأَوَّلِينَ مِن القُرُونِ لَنا بَصائرْ أَي عِبَرٌ والبَصَرُ العلم وبَصُرْتُ بالشيء علمته قال عز وجل بَصُرْتُ بما لم يَبْصُرُوا به والبصير العالم وقد بَصُرَ بَصارَةً والتَّبَصُّر التَّأَمُّل والتَّعَرُّفُ والتَّبْصِيرُ التعريف والإِيضاح ورجلٌ بَصِيرٌ بالعلم عالم به التبصر: التأمل والتعرف، والتبصير: التعريف والإيضاح، ورجل بصير بالعلم: عالم به. ويقال للفراسة الصادقة: فراسة ذات بصيرة.)[١٤٥]

ابن منظور ، لسان العرب ،مصدر سابق: (٤/٦٤-٦٦)

قيل إن البصيرة هي : قوة القلب المضاء بنور الله يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها ، وهي بمثابة البصر للنفس يرى به صور الأشياء وظواهرها[١٤٦] ، وقيل إن البصيرة : قوة في القلب تدرك بها المعقولات[١٤٧].

ولقد ذكر ابن القيم أنواع الفراسة ، فقال هي: فراسة إيمانية ، وفراسة الرياضة ، والجوع، والسهر ، والتخلي، والفراسة الخلقية [١٤٨] .

" وقد مدح الله سبحانه وتعالى الفراسة وأهلها في مواضع من كتابه ، فقال : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ ، وهم : المتفرسون الآخذون بالسيما ، وهي العلامة ، يقال تفرست فيك كيت وكيت ، وتَوَسَّمْته "[١٤٩] .

---

[١٤٦] الجرجاني، التعريفات ، مصدر سابق ، ص ١٠٥ .

[١٤٧] الكفوي ،الكليات ، مصدر سابق ، ص ٤٢٩/١ .

[١٤٨] قال ابن القيم – رحمه الله – : ومن منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) منزلة الفراسة ، قال الله تعالى: (إن في ذلك لآيات للمتوسمين)، قال مجاهد – رحمه الله – المتفرسين ، وقال : ابن عباس – رضي الله عنهما – : للناظرين ، وقال قتادة : للمعتبرين ، وقال مقاتل : للمتفكرين ، ولا تنافي بين هذه الأقوال ، فإن الناظر متى نظر في آثار ديار المكذبين ومنازلهم ، وما آل إليه أمرهم أورثه فراسة ، وعبرة ، وفكرة ، وقال تعالى في حق المنافقين : ﴿ وَلَوْ نَشَاء لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ ، فالأول : فراسة النظر والعين ، والثاني: فراسة الأذن والسمع .

والفراسة ثلاثة أنواع : الفراسة الأولى :إيمانية ، وسببها : نور يقذفه الله في قلب عبده ، يفرق به بين الحق والباطل ، والحالي المملوء بالإيمان ، والعاطل (الخالي) ، والصادق والكاذب ، وحقيقتها : أنها خاطر يرد على القلب ينفي ما يضاده ، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان ، فمن كان أقوى إيماناً فهو أحدُّ فراسة .

الفراسة الثانية: فراسة الرياضة والجوع والسهر والتخلي ، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها ، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ، ولا تدل على إيمان ولا على ولاية .

الفراسة الثالثة : الفراسة الخلقية ، وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم ، واستدلوا بالخلق على الخلق ؛ لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله ، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل ، ومعظم تعلق الفراسة بالعين ، فإنها مرآة القلب وعنوان ما فيه ، ثم باللسان ، فإنه رسوله وترجمانه .

وفراسة المتفرس تتعلق بثلاثة أشياء : بعينه ، وأذنه ، وقلبه ، فعينه للسيماء والعلامات ، وأذنه : للكلام وتصريحه وتعريضه، ومنطوقه ومفهومه ، وفحواه وإشارته ، ولحنه وإيمائه ، ونحو ذلك ، وقلبه للعبور والاستدلال من المنظور والمسموع إلى باطنه وخفيه ، فيعبر إلى ما وراء ظاهره ، كعبور النقاد من ظاهر النقش والسكة إلى باطن النقد والاطلاع عليه هل هو صحيح ، أو زغل. (ابن القيم ، مدارج السالكين ، مصدر سابق ،ص ٧٠١- ٧٠٥) .

[١٤٩] ابن القيم ، شمس الدين محمد بن أبي بكر ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، تحقيق : محمد جميل غازي ، القاهرة ، مطابع المدني، ١٩٨٥ م ، ص١٤ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ (سورة : محمد ، آية : ٣٠) ، وقال تعالى: ﴿ يَحْسَبُهُمْ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾(سورة : البقرة ، آية : ٢٧٣) .

من ثم نلحظ أن هذه البصيرة تتجلى بوضوح عند السيدة خديجة – رضي الله عنها – في اختيارها لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليتاجر في مالها من ناحية ، من ثم لحظت فيه تميزاً لا يوجد في غيره من الرجال ، فسارعت بالزواج منه ، وإن دل هذا فإنما يدل على فطنتها وذكائها في اختيار القرار الصائب ، الذي لم يأت إلا بعد خبرة وصفاء سريرة .

كما منح الله أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها– عقلا ، وفهماً ، وبُعد نظر ، لم يكن عند غيرها ؛ فمن صدق فراستها وبُعد نظرها توسمها في رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من قبل الرسالة بأنه سيكون له شأن ومكانة ليست لغيره ، ففي قولها : " كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق، وإني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة " [١٥٠] .

ولقد أكدت – رضي الله عنها – أن من كانت هذه صفاته وأخلاقه ؛ فهو حري أن يكون نبي هذه الأمة المنتظر ، وكانت هذه النتيجة التي توصلت إليها ؛ نتيجة لما حباها الله تعالى من نفس طاهرة وبصيرة صافية صادقة .

وكان تقديرها لنبينا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ تقديراً واقعياً دافعا لها لمشاركته ــ صلى الله عليه وسلم ــ عبادته ، وخروجها معه – صلى الله عليه وسلم – للاعتكاف والعبادة في بعض الأوقات ؛ ففي رواية ابن إسحاق : "خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى حراء ، كما كان يخرج ومعه أهله "[١٥١] ، كما أن تصديقها وتسليمها له ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما بدأه الله بالوحي، والنور، وسرعة استجابتها للإسلام ، إذ كانت أسبق الخلق إلى الإسلام ، وهذا دليل على حكمتها ونور بصيرتها ؛ فمنذ بداية الدعوة أعلنت إسلامها ، وقامت مع زوجها عند الكعبة ، غير آبهة لما قد يحدث لها بعد أن خرجت على معتقدات الشرك علناً بعد أن رفضتها سراً .

---

[١٥٠] ابن هشام، السيرة النبوية، مصدر سابق ،١٣٧/١.

[١٥١] المصدر السابق ، ١٣٦/١ .

وقد أقر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا المبدأ ؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُــدْرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : " اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ " ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ ، قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيــبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ إِنَّ فِــي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ ، قَالَ : لِلْمُتَفَرِّسِينَ[١٥٢] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ رضي الله عنه ــ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ ، فَقَالَ : " هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا أَلْوَانُهَا ؟ ، قَالَ : حُمْرٌ ، قَالَ : هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَنَّى ذَلِكَ ؟ ، قَالَ : لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ ، قَالَ : فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ " [١٥٣] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : "لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّــهُ عُمَــرُ " زَادَ زَكَرِيَّاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ سَعْدٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : " لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْــرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ" [١٥٤] .

ومن أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ البصيرة والفراسة :

١ – أنها تشعر المؤمن بكرامته على الله .

٢- أن قوة الفراسة على حسب قوة الإيمان .

٣- تتقد بصيرة المؤمن بكثرة الذكر الذي يثبت القلب على اليقين ، ولا يكون ذلك إلا عن قوة المعرفة بالله وحدة ، وصدق اللجؤ إلى الله .

---

[١٥٢] الترمذي ، سنن الترمذي، مصدر سابق ،رقم الحديث ٣١٢٧ ، ٢١١٧/١ .

[١٥٣] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٥٣٠٥ ، ٥٣٩/١ .

[١٥٤] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٦٨٩ ، ٣٦٩/١

المضمون التربوي الرابع : التبليغ :

وقال ابن منظور: بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغا: وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغا وبلغه تبليغا أوصل الشيء إليه وتبلغ بالشيء: وصل إلى مراده، وبلغ مبلغ فلان ومبلغته، والبلاغ في حديث الاستسقاء " واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين" هو ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب.

والبلاغ (أيضاً) : ما بلغك، والبلاغ: الإبلاغ في قوله تعالى: (إلا بلاغاً من الله ورسالاته) (الجن/٢٣) أي: لا أجد منجى إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به.[١٥٥]

التبليغ : من الصفات التي يجب اعتقادها للرسل الكرام ــ عليهم الصلاة والسلام ــ ، وقد عرَّفه العلماء ، فقالوا :" التبليغ هو : أن يبلغ الرسول كل ما أُمر بتبليغه فلا يخفى منه شيئاً ، ولا يكتمه بحال من الأحوال ، وألا تحمله رهبة على أن يكتم بعضا مما أوحي إليه وأمر بإبلاغه للناس[١٥٦]."

لقد قررت – رضي الله عنها – أن توجه كل اهتمامها بصاحب الدعوة ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وأن تزيد من شد أزره ، وتقوي من عزمه ، وتساعده على تحمل الشدائد

---

[١٥٥] ابن منظور ، لسان العرب ،مصدر سابق: (١/ ١٣١٦)

[١٥٦] الجزائري، أبي بكر بن جابر عقيد ة المؤمن،الرياض، مدار الوطن للنشر ١٤١٦هـ، ص ٢٧٢ .

والأهوال ؛ ففي توفيرها للجو الهادئ له ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بيته ، والتخفيف عليه مما يَلقَى من عناد المشركين وأذاهم ؛ أعظم وسيلة للدعوة إلى الله ، فقد كانت تبذل كل شيء : وقتها ، ومالها ، وجاهها ، ونفسها، له ـ صلى الله عليه وسلم ـ كي يخرج مرة أخرى داعياً إلى الله بنفس هادئة مطمئنة راضية .

كما أنها سعت – رضي الله عنها- سعياً حثيثاً في الدعوة إلى الله بشتى الوسائل ؛ فبدأت بأقرب الناس لها وهن بناتها ، فدعتهن إلى الإيمان بالله ورسوله ، ومن الطبيعي والمسلم به أن تكون بنات خديجة – رضي الله عنها- وزوجها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من السابقات الأوليات ؛ لأنهن ولدن في بيت النبوة ، وواحة الإيمان ، ورضعن لبان العقيدة والإيمان من أصولها .

فقد أكد ابن سعد – رحمه الله – في تراجمه : سبقهن للإسلام ، فقال في كل واحدة : "وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة ، وبايعت حين بايع النساء "[١٥٧].

وتحملت – رضي الله عنها- عبء الدعوة مع زوجها الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ في خطواتها الأولى الصعبة ، وعاصرت : فترة الاصداع بالأمر ، والصراع الضاري بين قوى الحق ، ومخالب الباطل ، وتعهدها بمساندته ومؤازرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وامتثالها ذلك على أتم وأكمل وجه .

وكان نتيجة ذلك الصبر ومواصلة الكفاح ، والجهاد في سبيل انتشار الدعوة وصاحبها ـ عليه الصلاة والسلام ـ في بلاد العرب كلها ، وبدأ الناس يفكرون فيما يدعو إليه محمد بن عبد الله .

وقد أقر الإسلام هذا المبدأ وحث عليه في آيات كثيرة ، منها : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة : المائدة ، آية : ٦٧) ، ويقول أيضاً : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ (سورة : المائدة ، آية : ٩٢) ، وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ (سورة : النحل ، آية : ٨٢) .

---

[١٥٧] ابن سعد، الطبقات الكبرى ، مصدر سابق ، ٣١/٨ .

ولقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحث على البلاغ ؛ فعَنْ أَبِي جَمْرَةَ ، قَالَ : كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَقَالَ : إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوْا النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، فَقَالَ : " مَنْ الْوَفْدُ ؟ ، أَوْ مَنْ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا : رَبِيعَةُ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ ، أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى ، قَالُوا : إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ ؛ فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ ، أَمَرَهُمْ : بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ ، قَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ؟ ، قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَتُعْطُوا الْخُمُسَ مِنْ الْمَغْنَمِ ، وَنَهَاهُمْ عَنْ : الدُّبَّاءِ ، وَالْحَنْتَمِ ، وَالْمُزَفَّتِ ، قَالَ شُعْبَةُ : رُبَّمَا قَالَ : النَّقِيرِ ، وَرُبَّمَا قَالَ : الْمُقَيَّرِ، قَالَ : " احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ "[١٥٨].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ ذَكَرَ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ أَوْ بِزِمَامِهِ ، قَالَ : " أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ ، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ؟ ، قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟ ، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ ؟ ، قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ ، وَأَمْوَالَكُمْ ، وَأَعْرَاضَكُمْ ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ "[١٥٩].

وقد قام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ ؛ فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، قَالَ : " إِنَّمَا أَنَا مُبَلِّغٌ ، وَاللَّهُ يَهْدِي وَقَاسِمٌ ، وَاللَّهُ يُعْطِي ، فَمَنْ بَلَغَهُ مِنِّي شَيْءٌ بِحُسْنِ رَغْبَةٍ وَحُسْنِ هُدًى ، فَإِنَّ ذَلِكَ

---

[١٥٨] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٨٧ ، ٢٦/١ . النيسابوري، صحيح مسلم رقم ١٧ ، ٧٥٥/١ .

[١٥٩] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦٧ ، ٢٤/١ . النيسابوري، صحيح مسلم رقم ١٦٧٩ ، ١٠٨٦/١ .

الَّذِي يُبَارَكُ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ بَلَغَهُ عَنِّي شَيْءٌ بِسُوءِ رَغْبَةٍ وَسُوءِ هُدًى ، فَذَاكَ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ " [١٦٠].

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالُوا : يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ ، وَأَمْوَالَكُمْ ، وَأَعْرَاضَكُمْ ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ ،كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ ، أَلَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَدًا ، وَلَكِنْ سَيَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِي بَعْضِ مَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ؛ فَيَرْضَى بِهَا ، أَلَا وَكُلُّ دَمٍ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَأَوَّلُ مَا أَضَعُ مِنْهَا دَمُ الْحَارِثِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ،كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ ، فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِبًا مِنْ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ، أَلَا يَا أُمَّتَاهُ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " [١٦١].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ ، فَقَالَ : " أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي " [١٦٢].

من أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ التبليغ :

١- أن التبليغ يعود بالأجر على المبلِغ ، وبالنفع على المبلَغ .

٢- بالتبليغ ينتشر العلم والمعرفة .

٣- أن التبليغ أساس نشر الإسلام في شتى بقاع الأرض .

---

[١٦٠] رواه أحمد في مسنده ، مصدر سابق، رقم الحديث ١٦٣٢٨ .

[١٦١] القزويني ، سنن ابن ماجة، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٣٣٤ ، ١٦٠٤/١ ، الترمذي ، سنن الترمذي، مصدر سابق ،رقم الحديث ٣٠٨٧، ٢١١١/١

[١٦٢] السجستاني،سنن أبي داود، مصدر سابق ، رقم الحديث ٤٧٣٤ ، ١٧١١/١ .

المضمون التربوي الخامس : التعاون على البر والتقوى :

التعاون لغة:

مصدر تعاون وهو مأخوذ من "العون" الذي يراد به المظاهرة على الشيء يقال: فلان عوني أي معيني وقد أعنته، والعون أيضاً الظهير على الأمر، الواحد والاثنان والجمع والمؤنث فيه سواء، وقد حكى في تكيسره أعوان، والعرب تقول: أعنته إعانة واستعنته واستعنت به فأعانني وتعاونوا على واعتونوا: أعان بعضهم بعضا، وتعاونا أعان بعضنا بعضا. والمعونة: الإعانة، ورجل معوان حسن المعونة، وكثير المعونة للناس وكل شيء أعانك فهو عون لك، كالصوم عون على العبادة[١٦٣].

وتعرفه الباحثة اصطلاحاً : بأن يعين المسلم أخاه في فعل الخيرات وطاعة الله – عز وجل – ، ويعينه على اجتناب المنكرات ومعصية الله – عز وجل – .

إن التعاون مبدأ إسلامي عظيم حث عليه الإسلام ، فهو سبب من أسباب الألفة ، والمحبة بين الناس ، وثمرة من ثمرات الإيمان .

([١٦٣])ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق (٥/٣١٧٩-٣١٨٠).

ولقد كانت أم المؤمنين السيدة خديجة – رضي الله عنها – مثالاً خيِّراً في التعاون على البر والتقوى في جميع الأحوال ، فقد كانت تشاركه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تعبّده ، وخلوته ، وتقربه إلى خالق الكون والسماء .

كما أشار ابن إسحاق من قبل : " خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى حراء كما كان يخرج ومعه أهله " [١٦٤] .

كما كان دخولها – رضي الله عنها – في الإسلام شيئاً كبيراً لمجتمعها ، فلم تعبأ بما ستواجهه من مجتمع خيَّم عليه الشرك ، والمعتقدات الفاسدة ، بل وقفت صامدة مع زوجها ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضد هذا التيار ترفضه ، وتعاديه بكل ما أوتيت من قوة ؛ فكان لذلك أثره على رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ ورفع معنوياته ، وهو في مرحلة جديدة كان بأمس الحاجة إلى من يناصره ، ويعاونه ، ويشد من أزره .

كذلك كانت أيام الحصار الغاشم مثالاً آخراً على التعاون والتضحية ؛ فقد رضيت – رضي الله عنها – أن تحبس نفسها داخل الحصار المضروب على بني هاشم ، ووضعت مالها في خدمة الإسلام والمسلمين ، ولم تفتأ عن إمداد المحاصرين ، وكسر الحصار ما أمكن ، وهذا ليس بغريب على أم المؤمنين –رضي الله عنها–، حيث لم يعرف عنها البخل والأذى والتنازع ، وحاشاها ذلك– رضي الله عنها –.

كما كانت أموالها خير عون للإسلام والمسلمين ، منذ أن بُعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقد ساعدته على تركيز جل جهوده في الدعوة إلى أن ماتت – رضي الله عنها.

ولقد جاء الإسلام الحنيف ، وأقر هذا المبدأ وحث عليه ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثم وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (سورة : المائدة ، آية : ٢) ، ويقول أيضاً : ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ (سورة : العصر ، آية : ١–٣) .

---

[١٦٤] ابن هشام، السيرة النبوية، مصدر سابق ،١/ ١٣٦ .

كما حث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على التعاون : على البر والتقوى ، في أحاديث كثيرة ، منها : حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ في نزول الوحي ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : " يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : يَا ابْنَ أَخِي ، مَاذَا تَرَى ؟ ؛ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ خَبَرَ مَا رَأَى ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ، قَالَ : نَعَمْ ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا "ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ " [١٦٥] .

وعَنْ وَاصِلٍ الْأَحْدَبِ عَنْ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ ، قَالَ : لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ "[١٦٦] .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ ، قَالَ : " الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ ، قَالَ : ، قُلْتُ : أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ ؟ ، قَالَ : أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا ، قَالَ: ، قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ؟ ، قَالَ : تُعِينُ صَانِعًا ، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ ، قَالَ : ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ ؟، قَالَ : تَكُفُّ شَرَّكَ عَنْ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ " [١٦٧] .

---

[١٦٥] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣ ،١٥/١ .

[١٦٦] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٠ ، ١٩/١ ، . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ١٦٦١ ، ١٠٨٠/١ .

[١٦٧] . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ١٣٦ ، ٧٦٤/١ .

وعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : ، قَالَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : " إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ "[١٦٨] .

وقد قام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ ؛ فعَنْ الْأَسْوَدِ ، قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ : مَا كَانَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ ؟ ، قَالَتْ : " كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ " [١٦٩] .

وعَنْ الْبَرَاءِ بن عازب ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى أَغْمَرَ بَطْنَهُ أَوْ اغْبَرَّ بَطْنُهُ ، يَقُولُ : "

وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ أَبَيْنَا أَبَيْنَا " [١٧٠] .

وعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبَّادَ بْنَ زَاهِرٍ أَبَا رُوَاعٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُثْمَانَ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ يَخْطُبُ ، فَقَالَ : إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فِي السَّفَرِ ، وَالْحَضَرِ ، وَكَانَ : يَعُودُ مَرْضَانَا ، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا ، وَيَغْزُو مَعَنَا ، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ ، وَإِنَّ نَاسًا يُعْلِمُونِي بِهِ عَسَى أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَآهُ قَطُّ " [١٧١] .

من أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ التعاون على البر والتقوى:

١- أنه طريق موصل إلى محبة الله ورضاه .

٢- أنه من أهم أسباب الألفة والمحبة بين الناس .

---

[١٦٨] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٤٨٧ ، ٢٤٩/١ ، . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث مسلم ٢٥٠٠ ، ١٢٤٧/١ .

[١٦٩] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦٠٣٩ ، ٦٠٠/١ .

[١٧٠] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٤١٠٤ ، ٤٠٩/١ ، . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ١٨٠٣ ، ١١١٥/١ .

[١٧١] رواه أحمد في مسنده ، رقم الحديث ٥٠٤ ، ج١ ، ص ٥٣٢ .

٣- يساعد على نـــزع الحقد من القلوب ، كما يزيل الحسد والبغضاء من النفوس .

المضمون التربوي السادس: حسن الخلق :

الحسن في اللغة : (حسن) الحُسْنُ ضدُّ القُبْح ونقيضه الأَزهري الحُسْن نَعْت لما حَسُن حَسُنَ وحَسَن يَحْسُن حُسْناً فيهما فهو حاسِنٌ وحَسَن قال الجوهري والجمع مَحاسِن علـــى غـــير قياس كأَنه جمع مَحْسَن وحكى اللحياني احْسُنْ إن كنتَ حاسِناً فهذا في المســـتقبل وإنـــه لَحَسَن يريد فِعْل الحال وجمع الحَسَن حِسان[١٧٢]

والخلق في اللغة : الخُلْق والخُلُق السَّجيّة يقال خالِصِ المُؤْمنَ وخالِقِ الفاجر وفي الحديث ليس شيء في الميزان أَثْقلَ من حُسن الخُلُق الخُلُقُ بضم اللام وسكونها وهو الدِّين والطبْع والسجية وحقيقته أَنه لِصورة الإِنسان الباطنة وهي نفْسه وأَوصافها ومعانيها المختصةُ بِها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأَوصافها ومعانيها [١٧٣].

---

[١٧٢] ابن منظور ، لسان العرب، مصدر سابق،١١٥/١٣

[١٧٣] المصدر السابق،٨٥/١٠ .

وحسن الخلق في الاصطلاح عبارة عن : هيئة في النفس راسخة ، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجةٍ إلى فكرٍ وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً ، سميت تلك الهيئة : خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة ، سميت الهيئة التي هي المصدر : خلقاً سيئاً [١٧٤].

لقد لقبت – رضي الله عنها- بسيدة نساء قريش وهذا لا يتأتي للفرد بسهولة ، ومن لقب بهذا اللقب ؛ فقد حاز صفات الخير والصلاح ، واجتمع الناس على ما امتازت به أخلاقاً .

فقد كانت -رضي الله عنها – بعيدة عن سوء الخلق ، حيث يصعب على من كانت في مثل مكانتها – رضي الله عنها – أن يبدر منها ما ينقص من شأنها من أخلاق الناقصات ، بل ظلت طوال حياتها العطرة متمسكة بالأخلاق القيمة من حسن معاملة وتواضع وعفو وكلام طيب وغيرها الكثير ، مبتعدة عن توافه الأمور ، منشغلة بعظائمها، هذا قبل الإسلام! فكيف بعد ما جاء الإسلام وأقر هذه الصفات .

ومن حسن خلقها طاعتها لزوجها ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، يقول ابن حجر في ذلك : كان لخديجة – رضي الله عنها – من الاستواء ما ليس لغيرها ، إذ كانت حريصة على إرضائه بكل ما تستطيع من قوة ، فلم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها " [١٧٥].

لذا استحقت – رضي الله عنها – أن يبشرها ربها ببيت في الجنة ؛ وذلك لطاعتها لله عز وجل، ثم طاعتها لزوجها ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما دعاها إلى الإسلام .

يقول ابن حجر في ذلك :" لما دعا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الإسلام ، أجابته في ذلك كما أزالت عنه كل نصب ،وآنسته من كل وحشة ، وهوَّنت عليه كل عسير ، فناسب أن يكون منزلها الذي بشَّرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها "[١٧٦].

---

١٧٤ الغزالي ، أبي حامد محمد بن محمد ، إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٥هـ ، ص ٩٧١ .

[١٧٥]ابن حجر، فتح الباري ، مصدر سابق ، ٧/ ١٣٨ .

[١٧٦] المصدر السابق ، ٧/ ١٣٨ .

ولقد امتد حسن خلقها إلى كل مجتمعها القريب والبعيد ، المسلم والكافر ، وخير دليل على ذلك : حسن معاملتها لجارتها أم جميل ، التي كانت تتفنن في إيذاء الحبيب ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي وزوجها أبي لهب ، كما أمرت ابناها عتبة وعتيبة بتطليق ابنتا خير العالمين رقية وأم كلثوم – رضي الله عنهما- من ثم لحقها وزوجها العار ، حيث لعنت وبخت هي وبعلها في سورة من سور القرآن وهي سورة المسد تظل تُقرأ إلى يوم تقوم الساعة ، وفازت أم المؤمنين – رضي الله عنها – فقد صبرت على الإساءة ، وكظمت غيظها ، و لم تبادرها الانتقام ، أو تسيء إليها بقول أو فعل ، بل صبرت وعفت .

وقد جاء الإسلام الحنيف وأقر هذا المبدأ ، وحث عليه في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة : القلم ، آية :١-٤) ، فقد مدح الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في آية جامعة لكل صفات الكمال الخلقي ، وفيها تأكيد بأكثر من مؤكد ناسب شك الكفار في سلامة عقل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث وصفوه بالجنون والسحر ؛ فجاءت هذه الآيات البليغات لدفع هذا الافتراء عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

كما قال تعالى آمراً بني إسرائيل بالمحافظة على الأخلاق الحسنة والقول الطيب : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (سورة : البقرة ، آية : ٨٣) ، ثم انتقل الله تعالى لمدح الدعاة إليه ، العاملين بشرعه ، القائمين على حدوده وتقواه ، فقال : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة : فصلت ، آية :٣٣) .

كما حث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حسن الخلق في أحاديث كثيرة ، منها : عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " [١٧٧].

---

[١٧٧] الترمذي ، سنن الترمذي، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٩٨٧ ، ١٩٨٩/١ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا " [١٧٨].

وعَنْ عَائِشَةَ - رَضِي اللَّهُ عنها - قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ " [١٧٩].

وقد قام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ ، فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ – رضي الله عنه - قَالَ : إِنْ كَانَتْ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ [١٨٠].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ خَدَمْتُ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا ، وَلَا مَسَسْتُ خَزًّا قَطُّ وَلَا حَرِيرًا وَلَا شَيْئًا كَانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، وَلَا شَمَمْتُ مِسْكًا قَطُّ وَلَا عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ [١٨١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه - قَالَ : قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ " [١٨٢].

ومن أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ حسن الخلق :

١- أن حسن الخلق من كمال الإيمان وحسن الإسلام .

٢- أن أفضل ما يقرب العبد إلى الله هو حسن الخلق .

٣- أن حسن الخلق سبب في حب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقرب منه يوم القيامة .

ومن المضامين التربوية المتفرعة من مضمون حسن الخلق الأتي :

---

[١٧٨] الترمذي ، سنن الترمذي، مصدر سابق ، رقم الحديث ١١٦٢ ، ١٨٩٥/١ .

[١٧٩] السجستاني،سنن أبي داود، مصدر سابق ، رقم الحديث ٤٧٩٨ ، ١٧١٦/١ .

[١٨٠] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦٠٧٢ ، ٦٠٢/١ .

[١٨١] الترمذي ، سنن الترمذي، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٠١٥ ، ١٩٩١/١ .

[١٨٢] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٢٠ ، ٣٨/١ .

أولاً : الأمانة :

الأمانة لغةقال ابن منظور (أمن) الأَمانُ والأَمانةُ بمعنى وقد أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ وآمَنْتُ غيري من الأَمْن والأَمان والأَمْنُ ضدُّ الخوف والأَمانةُ ضدُّ الخِيانة والأَمانةُ والأَمَنةُ نقيضُ الخيانة لأَنه يُؤْمَنُ أَذاه وقد أَمِنَه وأَمَّنَه وأْتَمَنَهُ واتَّمَنه عن ثعلب [١٨٣].

الأمانة في الاصطلاح هي :(كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة ، كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، وأداء الدين ، وقال في موضع آخر : كل ما يؤتمن عليه من أموال وحرم وأسرار فهو أمانة [١٨٤].)

ولقد ذاع صيت أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – بين التجار ، وتحدث الناس عن سيرتها وتجارتها المباركة ؛ (فكانت طريقتها هي اختيار أناس يتاجرون في مالها بعقد بينها وبينهم على أن يكون الربح مقسوماً بربح بحصص شائعة ، كالربع أو الثمن .. ونحو ذلك ، وإذا خسرت تكون الخسارة عليها وحدها ، فكانت – رضي الله عنها – تجارتها مباركة تعود على السيدة خديجة بالمال الوفير، والخير الكثير، فكانت تتمتع بشهرة عظيمة في البلاد التي تصل إليها تجارتها في الشام والعراق واليمن ؛ وذلك لحسن معاملتها لمن وكلتهم على أموالها ، ولجودة مبيعاتها.

وكانت قوافلها التي تصل إلى آلاف من الجمال تنقل التجارة إلى أسواق الهند واليمن وبلاد فارس ؛ فيقبل الأغنياء عليها ، بل لقد كان للسيدة خديجة عمال من الروم ، والغساسنة ، والفرس في دمشق والحيرة ، وفي عاصمة كسرى[١٨٥]) ، فهذا إن دل يدل على عظم أمانتها وإخلاصها في تجارتها، وابتعادها عن الغش والتطفيف .

كذلك في رواية " واستأجرته بسقب يدفعه إليه غلامها ميسرة ، فرأى ميسرة إذا رجع من سفره من يمينه وخلفه البركة في سفره ، والزيادة في الربح ، وما رآه من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، قالت : فأرنيه ؛ فلما أقبلت العير أشار إليه وإذا كسحابة تظله

---

[١٨٣]ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق ، ١٣/٢١-٢٢ .

[١٨٤] الكفوي ، الكليات ، مصدر سابق ، ١٧٦ – ١٨٦ .

[١٨٥] الجمل ، إبراهيم محمد حسن :أم المؤمنين خديجة بنت خويلد المثل الأعلى لنساء العالمين ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٨٧م

وتسير معه ، فأمرت به بسقب آخر "[١٨٦] و فهذا يدل على أمانتها– رضي الله عنـــها – في دفع الأجرة للأجير .

وقد أقر الإسلام هذا المبدأ وحث عليه ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَـــنْ إِنْ تَأْمَنْـــهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (ســـورة : آل عمران، آية ٧٥) ، ويقول أيضاً :﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَـــى أَهْلِهَـــا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (سورة : النساء ، آية ٥٨) ، ويقول كذلك : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًـــا جَهُولًـــا (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّـــهُ عَلَـــى الْمُـــؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (سورة : الأحزاب ، آية : ٧٢ -٧٣) .

وقد حث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الأمانة والاتصاف بها ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَـــذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " [١٨٧].

وعَنْ عبيد الله بن عبد الله : أن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ أَخْبَرَهُ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: " سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّـــلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ قَالَ وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ"[١٨٨].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ رضي الله عنه ــ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : " أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ " [١٨٩] .

---

[١٨٦] الطبري، تاريخ الطبري، مصدر سابق ، ٢/ ٤٢١ .

[١٨٧] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث في البخاري ٣٣ ، ١٩/١ . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث في مسلم ٥٩ ، ٧٦٢/١ .

[١٨٨] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث في البخاري ٢٦٨١ ، ٢٧٠/١ . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث في مسلم ١٧٧٣ ، ١١٠٧/١ .

[١٨٩] السجستاني،سنن أبي داود ، مصدر سابق، رقم الحديث ٣٥٣٥ ، ١٦١٨/١ .

وقد قام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ : فعنّ أَبَا أُمَيّةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرِ بْنِ مَخْزُومٍ ، وَكَانَ عَائِذٌ أَسَنّ قُرَيْشٍ كُلّهَا ؛ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أَوّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيهِ فَفَعَلُوا . فَكَانَ أَوّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَمّا رَأَوْهُ قَالُوا : هَذَا الْأَمِينُ رَضِينَا ، هَذَا مُحَمّدٌ ؛ فَلَمّا انْتَهَى إلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ قَالَ ــ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ــ : " هَلُمّ إلَيّ ثَوْبًا ، فَأُتِيَ بِهِ فَأَخَذَ الرّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ ، ثُمّ قَالَ لِتَأْخُذَ كُلّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنْ الثّوْبِ ، ثُمّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا ، فَفَعَلُوا : حَتّى إذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ ثُمّ بَنَى عَلَيْهِ " [١٩٠] .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ قَالَ : بَعَثَ عَلِيٌّ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ إِلَى النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ بِذُهَيْبَةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْأَرْبَعَةِ : الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ ، ثُمَّ الْمُجَاشِعِيِّ ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ ، وَزَيْدٍ الطَّائِيِّ ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيِّ ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ ، فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ ، وقَالُوا : يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ ، وَيَدَعُنَا ، قَالَ : إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ ؛ فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ نَاتِئُ الْجَبِينِ كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقٌ فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ : مَنْ يُطِعْ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَلَا تَأْمَنُونِي ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ؛ فَمَنَعَهُ فَلَمَّا وَلَّى قَالَ : " إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ "[١٩١].

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ ثَوْبَانِ قِطْرِيَّانِ غَلِيظَانِ فَكَانَ إِذَا قَعَدَ فَعَرِقَ ثَقُلَا عَلَيْهِ ، فَقَدِمَ بَزٌّ مِنْ الشَّامِ لِفُلَانٍ الْيَهُودِيِّ ، فَقُلْتُ لَوْ بَعَثْتَ إِلَيْهِ فَاشْتَرَيْتَ مِنْهُ ثَوْبَيْنِ إِلَى الْمَيْسَرَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ مَا يُرِيدُ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ

---

[١٩٠] التميمي ، محمد بن عبد الوهاب ، مختصر سيرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ط٢، الرياض ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، ١٤٢٣هـ ، ص ٦٩ .

[١٩١] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث في البخاري ٣٣٤٣ ، ١/ ٣٣٦ . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث في مسلم ١٠٦٤ ، ١/ ٩٣٨ .

يَذْهَبَ بِمَالِي أَوْ بِدَرَاهِمِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : " كَذَبَ قَدْ عَلِمَ أَنِّي مِنْ أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ وَآدَاهُمْ لِلْأَمَانَةِ "[١٩٢].

من أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ الأمانة:

١- أن الأمين يحبه الله ويحبه الناس.

٢- بالأمانة تحفظ الدين والعرض والمال والروح..

٣- الأمانة دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام .

ثانياً: الإنفاق :

الإنفاق لغة: مصدر أنفق، يقال: أنفق ينفق إنفاقاً فهو منفق[١٩٣].وقال الجوهري: رجل منفاق أي كثير النفقة[١٩٤].

الإنفاق في الاصطلاح : هو إخراج المال الطيب في الطاعات والمباحات [١٩٥] .

إن الهجرة إلى الحبشة التي أمر بها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أصحابه بعد أن أصابهم العذاب الشديد من قبل المشركين ، كانت تحتاج إلى أموال ، وما كان يمتلك جميع المهاجرين الأموال ؛ (فلو اطلعنا على قائمة المهاجرين إلى الحبشة ، لوجدنا من بينهم فقراء ، مثل : عمار بن ياسر ، وعبد الله ابن مسعود – رضي الله عنه – وغيرهم[١٩٦]).

وليس من المعقول أن يترك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذين هاجرا إلى الحبشة ، رغم كون أكثرهم من الفقراء والضعفاء بدون أن يساعدهم في نفقة السفر ، بل إنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ساعدهم في نفقة السفر من أمواله وأموال خديجة ــ رضي الله عنها ــ .

وقد أقر الإسلام هذا المبدأ وحث عليه ، قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (سورة : البقرة ، آية : ٢١٥) ، وقال أيضاً : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

---

[١٩٢] الترمذي ، سنن الترمذي، مصدر سابق، رقم الحديث ١٢١٣ ، ١٩٠٢/١ .

[١٩٣]ابن منظور ، لسان العرب، مصدر سابق: (٤٥٠٨/٨)

[١٩٤] الجوهري ، الصحاح ، مصدر سابق،١٥٦٠/١

[١٩٥] الصديقي ،مجد بن علان ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، القاهرة ، دار الريان ، ١٤٠٧هـ ، ٥١٤/٢ .

[١٩٦] أنساب الأشراف، مصدر سابق ، ١/ ٢٠٤ .

بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة : البقرة ، آية : ٢٧٤) ، وقال أيضاً : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (سورة : آل عمران ، آية ٩٢) .

ولقد حث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الإنفاق ، فعَنْ عَائِشَةَ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ــ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : " إِذَا أَنْفَقَتْ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ ، وَلِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا كَسَبَ ، وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ لَا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ أَجْرَ بَعْضٍ شَيْئًا" [١٩٧] .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ، قَالَ" وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ وَالْمَسْأَلَةَ الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى ، فَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ"[١٩٨] ، وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لِي أَجْرٌ فِي بَنِي أَبِي سَلَمَةَ أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ وَلَسْتُ بِتَارِكَتِهِمْ هَكَذَا وَهَكَذَا ، إِنَّمَا هُمْ بَنِيَّ ، فَقَالَ : "نَعَمْ لَكِ فِيهِمْ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ " [١٩٩] .

وقد قام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ : فعن جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ أنه قال : بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْفِلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ ؛ فَوَقَفَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَقَالَ : " أَعْطُونِي رِدَائِي لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا "[٢٠٠].

وعَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ " غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ غَزْوَةَ الْفَتْحِ (فَتْحِ مَكَّةَ) ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ ؛ فَنَصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ يَوْمَئِذٍ

---

[١٩٧] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٤٢٥ ، ١٤٧/١ . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث في مسلم ١٠٢٤ ، ٩٣١/١ .

[١٩٨] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٤٢٩ ، ١٤٧/١ . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ١٠٣٣ ، ٩٣٣/١ .

[١٩٩] النيسابوري، صحيح مسلم، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٠٠١ ، ١/ ٩٢٨ .

[٢٠٠] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٨٢٠ ، ٢٨٨/١ .

صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنْ النَّعَمِ ، ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ " [٢٠١].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ : " مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ ، قَالَ : فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ من لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ "[٢٠٢] .

ومن أبرز الثمرات التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ الإنفاق :

١- سبب المحبة لله عز وجل ومحبة الخلق .

٢- سبب بركة المال ونمائه .

٣- وقاية للإنسان من المصائب .

٤- يجعل لصاحبه مكانة اجتماعية مرموقة .

ثالثاً: - الإيثار :

الإيثار مصدر قولهم آثره عليه يؤثره إيثاراً بمعنى فضله وقدمه وآثَرَه أكرمه ورجل أَثِير مكين مُكْرَم والجمع أُثَرَاءُ والأُنثى أَثِيرَة وآثَرَه عليه فضله وفي التنزيل لقد آثرك الله علينا وأَثَرَ أن يفعل كذا أَثَراً وأَثَر وآثَرَ كله فَضّل وقَدّم وآثَرْتُ فلاناً على نفسي من الإيثار الأَصمعي آثَرْتُك إيثاراً أي فَضَّلْتُك وفلان أَثِيرٌ عند فلان وذُو أُثْرَة إذا كان خاصّاً ويقال قد أَخَذه بلا أَثَرَة وبلا إِثْرَة وبلا اسْتِئثارٍ أي لم يستأْثر على غيره و لم يأْخذ الأَجود وقال الحطيئة يمدح عمر رضي الله عنه ما آثَرُوكَ بها إِذ قَدَّموكَ لها لكِنْ لأَنْفُسِهِمْ كانَتْ بها الإِثَرُ أي الخِيَرَةُ والإِيثارُ.[٢٠٣]

و قد عرف القرطبي الإيثار بأنه : تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية ؛ رغبة في الحظوظ الدينية ، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة ، والصبر على المشقة [٢٠٤].

---

[٢٠١] النيسابوري، صحيح مسلم، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٣١٣ ، ١/ ١٢١٣ .

[٢٠٢] النيسابوري، صحيح مسلم، مصدر سابق ، رقم الحديث٢٣١٢. ١/١٢٣، .

[٢٠٣] ابن منظور ، لسان العرب، مصدر سابق (٢٦/١).

[٢٠٤] القرطبي،ابو عبد الله محمد بن احمد ، الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، دار الشعب ، ٢٦/١٨ .

وقد ذكر ابن القيم أن درجات الإيثار ، هي :

- أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يخرم عليك ديناً .
- إيثار رضا الله على رضا غيره ، وإن عظمت فيه المحن .
- أن تنسب إيثارك إلى الله دون نفسك [٢٠٥].

إن إيمان السيدة خديجة – رضي الله عنها- ويقينها بنصر الله ، وما تعلمه من صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تجعلها في استعداد للتضحية والإيثار من أجل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبكل ما أتاها الله من قوة .

فلقد قررت منذ اللحظة الأولى أن تتبع الهدى ، ووقفت في سبيل نصرة الحق بكل ما أوتيت من قوة ، وهيأت لزوجها الجو الذي يساعده على التأمل ، وتلقي رسالة رب الأرض والسماء في إيثار وتضحية نادرة ، فكانت تتحمل بعده عنها وعن أبنائها الأيام الطوال دون أن تتضجر أو تتسخط ، بل كانت راضية بذلك كل الرضا في سبيل تحقيق رغبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، هذا قبل البعثة فضلا عما بعدها.

من هنا نلحظ أن السيدة خديجة – رضي الله عنها – كانت أنموذجا فريداً للمثل الأعلى في التضحية ، ففي سنوات الحصار الغاشم على بني هاشم ، وقفت إلى جوار زوجها في أحلك أوقات المحنة، وأعظم أيام الشدة ، تصبره على احتمال أقوى ألوان الأذى بعد أن

---

[٢٠٥] قال ابن القيم – رحمه الله : الإيثار على درجات:

الأولى: أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يخرم عليك ديناً ، ولا يقطع عليك طريقاً ، ولا يفسد عليك وقتاً : يعني أن تقدمهم على نفسك في مصالحهم ، مثل أن تطعمهم وتجوع .

الثانية: إيثار رضا الله على رضا غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن وضعف عنه الطول والبدن ، وإيثار رضا الله – عز وجل – على غيره : هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته ، ولو أغضب الخلق .

قال الشافعي – رحمه الله – : رضا الناس غاية لا تدرك ، فعليك بما فيه صلاح نفسك فالزمه ، ومعلوم أنه لا صلاح للنفس إلا بإيثار رضا ربها ومولاها على غيره ، ولقد أحسن من قال:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

الثالثة: أن تنسب إيثارك إلى الله دون نفسك ، وأنه هو الذي تفرد بالإيثار لا أنت ، فكأنك سلمت الإيثار إليه ، فإذا آثرت غيرك بشيء ؛ فإن الذي آثره هو الحق لا أنت فهو المؤثر على الحقيقة ، إذ هو المعطي حقيقة . (مدارج السالكين ، مصدر سابق ، ص ٥٧٥-٥٧٦) .

عزمت قريش على إخراج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه وقومه من مكة إلى أحد شعابها ، وكتبوا صحيفة في ذلك وعلقوها في جوف الكعبة ، واتفقوا فيها على أن لا يتعاملوا معهم ببيع أو شراء ، أو أي نوع من أنواع المعاملة ، كما منعوا عنهم الطعام والشراب ، حتى ساءت حالتهم ولجأوا إلى أكل الأوراق والجلود ، وضعفت الأبدان ، ومرضت ، وعجز كثير منها عن المقاومة ؛ فاستسلم للموت ، ويصف ابن سعد حالهم ، بقوله : " حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع [٢٠٦]" .

وظلت أم المؤمنين مع الحبيب ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ذلك الموقف العصيب تتحمل الصعاب من أجله ، وتشد من أزره ، وتشاركه تحمل الأذى ، وتحملت شدة الجوع والعطش مستهينة بذلك كله ، محتسبة ذلك عند الله ، و لم تجزع لما أصابها بل بذلت من مالها ما يعجز كثير من الأثرياء عن إنفاقه ، فقد وضعت جميع مالها في خدمة المسلمين .

وكان مالها – رضي الله عنها- خير عون لهم في هذه الأزمة ، وكان عدد المحصورين في الشعب كبيراً ، وهذا العدد يحتاج إلى طعام ومؤونة ، فكان مال السيدة خديجة – رضي الله عنها – في خدمة الإسلام والمسلمين ؛ فقد ذكرت بعض الروايات : " أن السيدة خديجة – رضي الله عنها – كان لها مال كثير أنفقته في الشعب ، كذلك فعل أبو طالب والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى وصلوا حد الفقر والفاقة [٢٠٧] ".

وقد أجمع علماء السيرة أنه لم يوجد مثلها قط في هذا المضمار، كما أنها أوفت وكفت في تقديم المساعدات المعنوية للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين بلا منازع ، وساندت الدعوة بنفسها وبدنها ، وتركت الغنى والجاه والعز والراحة ، وآثرت وارتضت الفقر والحرمان ، وتركت مكانتها في أسرتها ، ودخلت مع بني هاشم في شعبهم ؛ إذ لم تكن هذه الأشياء تهمها ، فقد أثرت الآجل على العاجل ، وبدلت وضحت لنصرة الله ورسوله رغم ما كلفها ذلك من مشاق .

وقد أقر الإسلام هذا المبدأ وحث عليه ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى

---

[٢٠٦] ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٨٦ .

[٢٠٧] ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ٨٨/٣ .

أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة : الحشر ، آية : ٩) ، وقال أيضاً : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (سورة : النازعات ، آية : ٣٧- ٣٨) .

كما حث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الإيثار في أحاديث كثيرة ، منها : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ ، فَقُلْنَ مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ : أَنَا ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ : أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي ، فَقَالَ : هَيِّئِي طَعَامَكِ ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً ؛ فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا ، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا ، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ : ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا " ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٢٠٨].

وعَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ أَنَّهَا قَالَتْ : جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا ، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً ، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا ، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتْ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا ، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا ؛ فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ : " إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنْ النَّارِ "[٢٠٩].

وقد قام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ :كَانَ يَقُولُ أَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْجُوعِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنْ الْجُوعِ ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمْ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ ،

---

[٢٠٨] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٧٩٨ ، ٣٧٨/١ ، النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ٢٠٥٤، ١١٦٥/١ .

[٢٠٩] النيسابوري، صحيح مسلم، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٦٣٠ ، ١٢٦٧/١ .

ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي ثُمَّ قَالَ : " يَا أَبَا هِرٍّ قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الْحَقْ وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ ، فَأَذِنَ لِي ؛ فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ ، قَالُوا : أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةُ ، قَالَ : أَبَا هِرٍّ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي ، قَالَ : وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا ، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ، وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا ، فَسَاءَنِي ذَلِكَ ؛ فَقُلْتُ وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا ، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ بُدٌّ ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنْ الْبَيْتِ ، قَالَ : يَا أَبَا هِرٍّ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: خُذْ فَأَعْطِهِمْ ، قَالَ : فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ ، فَقَالَ : أَبَا هِرٍّ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ ، بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ، قُلْتُ : صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : اقْعُدْ فَاشْرَبْ ، فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ ، فَقَالَ : اشْرَبْ فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ : اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا ، قَالَ : فَأَرِنِي فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ " [٢١٠].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : " جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ بِبُرْدَةٍ ، فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ : أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : هِيَ الشَّمْلَةُ ، فَقَالَ سَهْلٌ : هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ فِيهَا حَاشِيَتُهَا ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْسُوكَ هَذِهِ ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، فَلَبِسَهَا فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ الصَّحَابَةِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَحْسَنَ هَذِهِ !! ، فَاكْسُنِيهَا، فَقَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ لَامَهُ أَصْحَابُهُ ، قَالُوا : مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ

---

[٢١٠] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦٤٥٢ ، ٦٣٥/١ .

أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعُهُ ، فَقَالَ : رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا " [٢١١] .

من أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ الإيثار :

١- أنه طريق موصل إلى محبة الله ورضوانه .

٢- كما أنه دليل كمال الإيمان ، وحسن الإسلام .

٣- حصول الألفة والمحبة بين الناس .

٤- دليل علو الهمة ، والبعد عن صفة الأثرة الذميمة .

رابعاً : التفاؤل :

(فأل) الفأْل ضد الطِّيَرَة والجمع فُؤول وقال الجوهري الجمع أَفْؤُل وأَنشد للكميت ولا أَسْأَلُ الطَّيرَ عما تقول ولا تَتَخالَجُني الأَفْؤُل وتَفاءلْت به وتفأْل به قال ابن الأَثير يقال تَفاءلْت بكذا وتفأْلت على التخفيف والقلْب قال وقد أُولع الناس بترك همزه تخفيفاً والفَأْل أَن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول يا سالِمُ أَو يكون طالِبَ ضالَّة فيسمع آخر يقول يا واجِد فيقول تَفاءلْت بكذا ويتوجه له في ظنِّه كما سمع أَنه يبرأُ من مرضه أَو يجد ضالَّته وفي الحديث أَنه صلى الله عليه وسلم كان يحبُّ الفَأْل ويكره الطِّيَرَة والطِّيَرَة ضد الفَأْل وهي فيما يكره كالفَأْل فيما يستحَب والطِّيَرَة لا تكون إِلا فيما يسوء والفَأْل يكون فيما يحسُن وفيما يسوء[٢١٢]

وقد عرف الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الفأل ، حيث قَالَ " يُعْجِبُنِي الْفَأْلُ ، قَالُوا : وَمَا الْفَأْلُ ؟ ، قَالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ " [٢١٣] .

ولقد كانت – رضي الله عنها – بشوشة راضية بما قسمه الله تعالى ، متوكلة عليه في جميع أمورها ، بعيدة عن التطير والعبوس ، فمن حسن ظنها بالله تعالى أنها قالت لرسول

---

[٢١١] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦٠٣٦ ، ٥٩٩/١ .

[٢١٢] ابن منظور ، لسان العرب مصدر سابق، (٥١٣/١١)

[٢١٣] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٥٧٧٦ ، ٥٨١/١ ، . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ٢٢٢٤١٧، ١/ ١١٩٧.

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما جاءه الوحي لأول مرة : " وإني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة " [٢١٤].

ففي هذا إشارة حسنة ، بادرته بها – رضي الله عنها – و لم تقنِّطه أو تنفِّره مما حدث ، بل شدت من أزره ، وقوَّت من عزيمته ، و لم تنسب ما حدث إلى ما كان مشهوراً في زمانها من الطيرة أو الكهانة .

هكذا يجب أن يكون المؤمن متفائلاً ؛ اقتداء بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقد كان دائم التفاؤل في حروبه وغزواته التي هي سبيل العزائم القوية ، كما أنها باب من أبواب جلب السعادة إلى النفس والقلب .

وقد حث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الفأل في أحاديث كثيرة ، منها : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، يَقُولُ : " لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ ، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ ؟ ، قَالَ : الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ "[٢١٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَأُحِبُّ الْفَأْلَ الصَّالِحَ " [٢١٦].

ولنا في الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأسوة الحسنة ، فلقد قام بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا سَأَلَ عَنْ اسْمِهِ ؛ فَإِذَا أَعْجَبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا ؛ فَإِنْ أَعْجَبَهُ اسْمُهَا فَرِحَ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهَا رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ " [٢١٧].

ومن أبرز الثمرات التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ التفاؤل :

١- أنه ترويح للمؤمن وسرور له .

٢- في التمسك بالفأل اقتداء بالسنة المطهرة .

---

[٢١٤] ابن هشام، السيرة النبوية، مصدر سابق ، ١٣٧/١ .

[٢١٥] رو البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٥٧٥٧ ، ٥٧٩/١ .

[٢١٦] . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ٢٢٢٣ ، ١/ ١١٩٧ .

[٢١٧] السجستاني،سنن أبي داود ٣٩٢٠ ، ١٦٤٥/١ .

٣- من حسن الظن بالله الأخذ بالفأل وعدم التطير .

خامساً:- التودد :

مصدر تودد إلى فلان، وهو مأخوذ من مادة (و دد) التي تدل على المحبة يقال وددته أحببته يقول ابن منظور : وَدِدْتُ لو تفعل ذاك، ووَدِدْتُ لو أَنَّك تفعل ذاك، أَوَدُّ وَدًّا ووُدًّا ووَدادَةً، ووِداداً أي تمنَّيت. قال الشاعر:

وَدِدْتُ وِدادَةً لو أنَّ حظِّي ... من الخُلاَّنِ أنْ لا يَصْرِموني

ووددت الرجل أوده وداً إذا أحببته.

والوُدُّ والوَدُّ والوِدُّ: المَوَدَّةُ. تقول: بوُدِّي أن يكون كذا. وأمَّا قول الشاعر:

أَيُّها العائِدُ المُسائِلُ عَنَّا ... وبِوِدَّيْكَ لو تَرى أكْفاني

فإنَّما أشبع كسرةَ الدالِ ليستقيم له البيت فصارت ياءً. والوِدُّ: الوَديدُ، والجمع أَوُدٌّ. وهما يتوادَّانِ، وهم أوِدَّاءُ. والوَدودُ: المحبُّ، ورجالٌ وُدَداءُ، يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث لكونه وصفاً داخلاً على وصفٍ للمبالغة. والوَدُّ بالفتح: الوَتِدُ في لغة أهل نجد[٢١٨].

التودد هو : التواصل الجالب المحبة [٢١٩]،وهو دلالة على كمال الإيمان وحسن الإسلام ؛ فقد أحبت- رضي الله عنها – زوجها ـ صلى الله عليه وسلم ـ حبا جمًّا ، وهذا الحب يستلزم حب من أحبه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان ذلك بالفعل ، حيث كانت تحب علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- وتعتبره أحد أبنائها ، (فقد أخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وربَّاه في حجره ، وفي بيت أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها - [٢٢٠]).

وقد أدركت بكمال خلقها ، وصدق إيمانها أن من كمال حبها للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حبها لأقاربه ، فعندما رأت تعلق الرسول ـصلى الله عليه وسلم ـ به اهتمت به وكأنه ابنها .

إذاً فأم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – كانت أمَّاً أخرى لعلي – رضي الله عنه- ، وهو ثمرة من غراسها ، ناله من العاطفة والتربية ما نال أبناءها ، حيث كانت تشمله بالمحبة

---

[٢١٨] لس ابن منظور ، لسان العرب ،مصدر سابق: (٤٥٣/٣)

[٢١٩] ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، ١٧ /١٥٠ .

٢٢٠ ابن هشام، السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ١/ ٢٢٨ .

الكاملة ، والعاطفة الصادقة ، والتربية الحسنة ، حُبًّا لله ، وحُبًّا لما يحبه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

كما كان من صور توددها – رضي الله عنها – إكرامها ثويبة مولاة أبي لهب ، التي أرضعت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند ولادته بلبن ابنها مسروح ؛ فكانت تأتي الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند زواجه من السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ ؛ فيكرمها ، وتكرمها هي ، وبقيت هذه الصلات طيلة حياة السيدة خديجة – عليها السلام – ، وطلبت من أبي لهب أن تشتريها منه لكنه رفض ذلك [٢٢١].

(كذلك كان لها – رضي الله عنها – موقف آخر مع مرضعة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حليمة السعدية – رضي الله عنها – فقد قصدت حليمة – رضي الله عنها – بيت ابنها من الرضاع تشتكي الجدب الذي أصاب البادية في تلك الأيام ، وأصبحت في حاجة إلى المساعدة ، فاتجهت إلى الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ فرحب بها ورحبت بها زوجته ، التي أقبلت عليها هاشة باشة مسرعة تُعِد لها الإبل والأغنام مما يساعدها على اجتياز الأزمة) [٢٢٢].

وقد جاء الإسلام الحنيف وأقر هذا المبدأ ، وحث عليه ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة : الروم ، آية :٢١) .

وقال أيضاً : ﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (سورة : الشورى ، آية : ٢٣) .

وقال أيضاً : ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة : المجادلة ، آية : ٢٢) .

---

٢٢١ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مصدر سابق ، ١ /١٠٨ .

٢٢٢ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مصدر سابق ،١٠٩/١ .

كما حث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على التودد في أحاديث كثيرة ، منها : عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " [٢٢٣] .

وعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ؛ فَقَالَ : إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ وَإِنَّهَا لَا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا ؟ ، قَالَ : " لَا ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ : تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ " [٢٢٤].

وقد قام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ ، فعن ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : " وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُوا فِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَلَا آذَنُ ثُمَّ لَا آذَنُ ثُمَّ لَا آذَنُ إِلَّا أَنْ يُرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي يُرِيبُنِي مَا أَرَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا " [٢٢٥] .

وعَنْ أَنَسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : رَأَى النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ مُقْبِلِينَ ، قَالَ : " حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ : مِنْ عُرُسٍ فَقَامَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مُمْثِلًا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ " [٢٢٦].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، قَالَ : " لِأَبِي طَلْحَةَ الْتَمِسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِي وَأَنَا غُلَامٌ رَاهَقْتُ الْحُلُمَ ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِذَا نَزَلَ فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ، ثُمَّ قَدِمْنَا خَيْبَرَ ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا وَكَانَتْ عَرُوسًا ؛ فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لِنَفْسِهِ ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ

---

[٢٢٣] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٥٨٦ ، ٢٥٨٦/١ .

[٢٢٤] السجستاني،سنن أبي داود، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٠٥٠ ، ١٥٠١/١ .

[٢٢٥] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٥٢٣٠ ، ٥٣٢/١ .

[٢٢٦] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٧٨٥ ، ٣٧٧/١ .

فَبَنَى بِهَا ، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطَعٍ صَغِيرٍ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ ، فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَى صَفِيَّةَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، قَالَ : فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ ، فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ نَظَرَ إِلَى أُحُدٍ ، فَقَالَ : هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا بِمِثْلِ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ " [٢٢٧] .

من أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ التودد :

١- أن هذا العمل يقرب بين الناس وينشر الرأفة والألفة والرحمة بين الناس.

٢- يقوى العلاقات الاجتماعية في المجتمع المسلم ، ويزيل الحقد والضغائن من النفوس.

سادساً:- الرحمة :

الرحمة في اللغة : الرَّحْمة الرِّقَّةُ والتَّعَطُّفُ والمرْحَمَةُ مثله وقد رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمْتُ عليه وتَراحَمَ القومُ رَحِمَ بعضهم بعضاً والرَّحْمَةُ المغفرة وقوله تعالى في وصف القرآن هُدىً ورَحْمةً لقوم يؤمنون أَي فَصَّلْناه هادياً وذا رَحْمَةٍ وقوله تعالى ورَحْمةٌ للذين آمنوا منكم أَي هو رَحْمةٌ لأَنه كان سبب إِيمانهم رَحِمَهُ رُحْماً ورُحُماً ورَحْمةً ورَحَمَةً حكى الأَخيرة سيبويه ومَرحَمَةً وقال الله عز وجل وتَواصَوْا بالصَّبْر وتواصَوْا بالمَرحَمَةِ أَي أَوصى بعضُهم بعضاً بِرَحْمَة الضعيف والتَّعَطُّف عليه [٢٢٨].

وفي الاصطلاح قيل أن الرحمة هي : حالة وجدانية تَعرِض غالباً لمن به رقة القلب ، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان [٢٢٩].

قال ابن القيم : (ومما ينبغي أن يعلم أن الرحمة : صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها ، فهذه هي الرحمة الحقيقية ، فأرحم الناس بك من شقَّ عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك .

---

[٢٢٧] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٨٩٣ ، ٢٩٤/١ .

[٢٢٨] ابن منظور ، لسان العرب، مصدر سابق،٢٣٠/١٢

[٢٢٩]المكفوي ، الكليات ، مصدر سابق ،: ٣٧٦/٢ .

فمن رحمة الأب بولده : أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل ، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره ، ويمنعه شهواته التي تَعُودُ بضرره ، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به ، وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه ويريحه ؛ فهذه رحمة مقرونة بجهل كرحمة الأم .

ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين : تسليط أنواع البلاء على العبد فإنه أعلم بمصلحته ؛ فابتلاؤه له ، وامتحانه ، ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته : من رحمته به ، ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلائه ، ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه ، وامتحانه"

ويقول في موضع آخر " قال ابن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – : نعم العدلان ، ونعمت العلاوة ؛ فبالهدى خلصوا من الضلال ، وبالرحمة نجوا من الشقاء والعذاب ، وبالصلاة عليهم نالوا منزلة القرب والكرامة ، والضالون حصل لهم ضد هذه الثلاثة : الضلال عن طريق السعادة ، والوقوع في ضد الرحمة من الألم والعذاب ، والذم واللعن الذي هو ضد الصلاة ، ولما كان نصيب كل عبد من الرحمة على قدر نصيبه من الهدى ، كان أكمل المؤمنين إيماناً أعظمهم رحمة كما قال تعالى في أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " محمدٌ رَسُولُ اللهِ وَالذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم " (سورة : الفتح ، آية : ٢٩) ، وكان الصديق – رضي الله عنه – من أرحم الأمة ، وقد رُوِىَ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر " (رواه : الترمذي) ، وكان أعلم الصحابة باتفاق الصحابة ، كما قال أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه– :وكان أبو بكر –رضي الله عنه – أعلمنا به يعني النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فجمع الله له بين سعة العلم والرحمة)[٢٣٠].

وقد كانت — رضي الله عنها– رقيقة القلب ، عطوفة بالناس ، محبة لهم ، حسنة المعاملة للكبير والصغير ، ولم تذكر كتب السيرة أنها كانت : قاسية ، أو جافة ، أو سيئة المعاملة — رضي الله عنها —، وتظهر رحمتها بوضوح في موقف نزول الوحي ، حيث دخل عليها بعد عودته من الغار في خوف شديد ، ترتعد فرائصه ؛ فأشفقت عليه ، وغمرته بحنانها وعطفها مطمئنة له مهدأة إياه ، فلم تكن سيئة المعاملة معه ، أو قاسية القلب ، كما لم تتهم

---

[٢٣٠] ابن القيم،شمس الدين محمد بن أبي بكر : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، بيروت ،دار المعرفة ، ١٤٣/٣ .

بما كان شائعاً في زمانها من الكهانة والسحر ، بل طمأنته، وذكَّرته بنعمة الله عليه ، وأنَّ من كانت له جميل الخصال والأخلاق فلن يصيبه الله بمكروه .

فالرحمة مطلب إسلامي جميل تزيد محبة الله للعبد ،وكذا محبة الناس ،وهو دليل على رقة القلب.

كما تذكر كتب التاريخ (أن امرأة وقع بينها وبين زوجها خصام ؛ لأنها حامل وتضع إناثاً ، وهدد امرأته بقتلها وقتل ابنتها إن وضعت أنثى ؛ فأشار إليها بعض الناس أن تذهب إلى : ورقة بن نوفل؛ لحل مشكلتها فأكرمها ، وجعل لها مأوى عند نساء قريش إلى أن وضعت ابنتها بينهن ، عند ذلك علم الزوج بذلك ، فعاد إلى رشده ، وذهب إلى ورقة بن نوفل معتذراً عما بدر منه ، وإنَّ ما كان منه بسبب الفقر وضيق اليد ، فقال له ورقة : انطلق أنت وامرأتك وابنتك إلى ابنة عمي خديجة بنت خويلد في مكة ، فإنها امرأة خيِّرة ، رقيقة ، وهي فوق ذلك أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً، فإذا لقيتها ، فقل لها: إن ابن عمك ورقة أوفدني إليك ؛ لأكون في جملة الرجال الذين تبعثين بهم إلى الشام في تجارتك .

وقد فعل الرجل ، فاتجه إلى بيت خديجة ، ومعه أهله ، فلما دخل عليها وقصَّ عليها الخبر رحبت به وبزوجته ، وأكرمت وفادتهما ، وألحقت الرجل بعمل يدر عليه ما يستطيع أن يعيش به هو وزوجته)[٢٣١].

كما كانت – رضي الله عنها – قمة في السخاء والرحمة بالضعفاء .

وقد جاء الإسلام الحنيف وأقرَّ هذا المبدأ ، وحث عليه في آيات كثيرة ، منها : قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة : الروم ، آية :٢١) ، فكانت الرحمة هنا من أسباب استمرار الحياة الزوجية ؛ لأن الود والرحمة يتناسبان مع السكن والاستقرار الذي يسعى إليه الزوجان .

وقد قال تعالى واصفاً الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالرحمة : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة :

---

[٢٣١] الجمل ، مرجع سابق ،ص٦٢.

التوبة ، آية : ١٢٨) ، وقد برزت هذه الصفة في النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ في العديد من المواقف التي غلبت فيها رحمته بأمته .

كما قال تعالى مادحاً أصحاب النبي ـصلى الله عليه وسلمـ بالقوة والشدة على أعداء الله، والرحمة والود فيما بينهم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (سورة : الفتح ، آية : ٢٩) .

كما حث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الرحمة في أحاديث كثيرة ، منها : عَنْ أُسَامَةَ ابْنِ زَيْدٍ – رَضِيَ اللَّهُ عنهما – كان رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْأُخْرَى ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ، ثُمَّ يَقُولُ : " اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا " [٢٣٢].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ " [٢٣٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: " جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ " [٢٣٤].

وقد قام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ في حياته الشريفة ؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ

---

[٢٣٢] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦٠٠٣ ، ٥٩٧/١ .

[٢٣٣] الترمذي ، سنن الترمذي، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٩٢٤ ، ١٩٨٣/١ .

[٢٣٤] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦٠٠٠ ، ١/ ٥٩٧ .

قَالَ : " إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ " [٢٣٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ : ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ! ، قَالَ : " إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَة " [٢٣٦].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ ولده – عَلَيْهِ السَّلَام – ؛ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ تَذْرِفَانِ ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ : " يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى ، فَقَالَ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ " [٢٣٧].

من أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ الرحمة :

١- الفوز بسعادتي الدنيا والآخرة ؛ لما فيه من الاقتداء بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

٢- بالرحمة تدوم المحبة بين الناس ، ويصل العبد لنيل رضا الله سبحانه وتعالى .

٣- حرص النبي ـصلى الله عليه وسلم ـعلى تعليم أمته بالتطبيق الفعلي على نفسه أولاً .

سابعاً : الصبر :

الصبر لغة: مصدر صبر يصبر وهو مأخوذ من مادة (ص ب ر) التي تدل بحسب وضع اللغة على معان ثلاثة: الأول الحبس: والثاني: أعالي الشيء، والثالث: جنس من الحجارة، وقد اشتق الصبر المراد هنا من المعنى الأول وهو الحبس، يقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها.

---

[٢٣٥] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٧٠٧ ، ١/ ٨١ .

[٢٣٦] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٥٩٩ ، ١/ ١٢٦٢ .

[٢٣٧] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٣٠٣ ، ١/١٣٥ .

وقيل: أصل الكلمة من الشدة والقوة، ومنه الصبر للدواء المعروف بشدة مرارته وكراهته.فالصابر يجمع نفسه، ويضمها عن الهلع.والتصبر: تكلف الصبر[٢٣٨].

الصبر في الاصطلاح : هو : حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي ، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما ، قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ﴾ (سورة : الكهف ، آية: ٢٨) [٢٣٩].

وقال ابن القيم : "الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام : صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها ، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها ، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها ، وهذه الأنواع الثلاثة هي التي قال فيها الشيخ عبد القادر في (فتوح الغيب) : لا بد للعبد من أمر يفعله ، ونهى يجتنبه ، وقدر يصبر عليه"[٢٤٠] .

وكان لصبرها – رضي الله عنها – مواقف كثيرة ، منها :

١-تحملها لمشاق الدعوة ؛ بتخفيفها على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــكل ما كان يلقاه من أذى المشركين .

٢- صبرها على قضاء الله في وفاة أبنائها ، واحتسابها في ذلك الأجر من الله عز وجل، فعَنْ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ – رضي الله عنهما – قال : لما تُوُفِّيَ الْقَاسِمُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَتْ خَدِيجَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَرَّتْ لُبَيْنَةُ الْقَاسِمِ فَلَوْ كَانَ اللَّهُ أَبْقَاهُ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِضَاعَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : " إِنَّ إِتْمَامَ رَضَاعِهِ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَتْ : لَوْ أَعْلَمُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَهَوَّنَ عَلَيَّ أَمْرَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ إِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ تَعَالَى فَأَسْمَعَكِ صَوْتَهُ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلْ أُصَدِّقُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ " [٢٤١].

كذلك كان صبرها على مكابدة المعاهدة الظلوم التي حوصر فيها المسلمون ، ومعهم رسول اللهــ صلى الله عليه وسلم ــ في شعب أبي طالب .

([٢٣٨])ابن منظور ، لسان العرب مادة" ص ب ر" (٤٣٨/٤).

[٢٣٩] ابن القيم ،مدارج السالكين ، مصدر سابق ،٤٨١.

[٢٤٠]ابن القيم ،شمس الدين محمد بن أبي بكر : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، تحقيق نعيم زوزو ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،٦/١ .

[٢٤١] القزويني، سنن ابن ماجة، سبق تخريجه .

وكذلك صبرها على فراق ابنتها رقية – رضي الله عنها – عند هجرتها إلى الحبشة مع زوجها عثمان بن عفان – رضي الله عنه – فراراً بدينها من أذى قريش ، وفي هذا أعظم موعظة لكل مؤمن و مؤمنة ، ولكل داعٍ وداعية في الصبر على الدعوة إلى الله وتحمل مشاقها .

وقد جاء الإسلام الحنيف وأقر هذا المبدأ ، وحث عليه في القرآن ، قال تعالى :﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (سورة : البقرة ، آية :٤٥) ، حيث قرن الله تعالى الصبر مع الصلاة في دائرة واحدة ، وبيَّن أنهما مهمان للعبد الخاشع مع صعوبة المحافظة عليهما من غيره .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (سورة : آل عمران ، آية :١٢٠) نلحظ أن المؤمن ينال بصبره النصر والتمكين على أعدائه ، فلا يؤثر فيه كيد الكائدين .

وقال تعالى كذلك : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة : آل عمران ، آية :١٤٦) ، وفي هاتين الآيتين بيان لكبير فضل الصابرين ،وأن الله يكون معهم في كل وقت وحين ؛ فلا يضرهم كيد الكائدين الماكرين .

كما حث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الصبر في أحاديث كثيرة ، منها : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – عَنْ النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ ، قَالَ : " لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا " [٢٤٢] .

وعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ أَنْ يُقْطِعَ مِنْ الْبَحْرَيْنِ ، فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ : حَتَّى تُقْطِعَ لِإِخْوَانِنَا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَ الَّذِي تُقْطِعُ لَنَا ، قَالَ : " سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي " [٢٤٣] ، فقد بيَّن الأنصار حبهم الكبير لإخوانهم المهاجرين ، وإيثارهم على أنفسهم .

---

[٢٤٢] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٠٢٦ ، ٣٠٥/١ .

[٢٤٣] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٣٧٦ ، ٢٣٦/١ .

وعَنْ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ : أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، قُلْتُ : بَلَى، قَالَ : هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَتْ : إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ؛ فَادْعُ اللَّهَ لِي!! ، قَالَ : " إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ ، قَالَتْ : أَصْبِرُ ، قَالَتْ : فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لَهَا " [٢٤٤] ، من هذا الحديث نلحظ حرص المسلمين الزائد على معرفة سمات أهل الجنة الحقيقية ؛ ليتبينوا سبب فوزهم بهذه الرفعة فيقدموا على التأسي بها .

وقد قام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ في حياته الشريفة ، فعَنْ عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجَ النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ، قَالَ : " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ؛ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ؛ فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ ، فَنَادَانِي ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ : ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " [٢٤٥] ، وهذا القول من النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ خير دليل على حرص النبي وخوفه على أمته ، وأنه ما مكث في دعوتهم متحملاً إيذاءهم له ولصحبه إلا لإرادته الخير لهم .

وعَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : " أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ ، فَقُلْتُ : ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ أَجَلْ ، ثُمَّ قَالَ

---

[٢٤٤] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٥٦٥٢ ، ٥٧٠/١ .

[٢٤٥] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٧٩٥ ، ١١١٢/١ .

رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذىً مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا "[٢٤٦] ، من ثم ضرب لنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المثل الأعلى في تحمل الآلام والصبر عليها ؛ لنيل جميل ثواب الله سبحانه وتعالى ، وأنه من ذكر الله للعبد المؤمن كثرة ابتلاؤه واختباره .

وعَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ قَالَ : دَمِيَتْ إِصْبَعُ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ ، فَقَالَ : " هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ "[٢٤٧].

ومن أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ الصبر والمصابرة :

١- ضبط النفس ؛ لتحمل المتاعب الجسدية ، والآلام النفسية .

٢- أنه يعين على ضبط النفس وصونها عن الاندفاع وراء الأهواء والشهوات .

٣- أنه يضبط النفس ويحفظها عن الخوف ، ويعينها على الصبر على ابتلاء الله ومراده .

ثامناً: الكرم :

قيل: الكرم هو الإعطاء بسهولة ، والكريم من يوصل النفع بلا عوض[٢٤٨].

تذكر كتب التاريخ أن السيدة خديجة – رضي الله عنها – كانت تمتلك بيوتاً في مكة، منها البيت الذي أعطته إلى أبي العاص بن الربيع ابن أختها هالة بعد زواجه من ابنتها زينب[٢٤٩]، وهذه صورة مبسطة من صور كرمها وجودها – رضي الله عنها – للقريب.

كذلك فإنها أكرمت البعيد دون تردد أو امتناع ، فقد (ورد أن امرأة وقع بينها وبين زوجها خصام ؛ لأنها حامل وتضع إناثاً ، وقد هددها بالقتل هي وابنتها المولودة ، إن كانت أنثى ؛ فأشار إليها الناس أن تذهب إلى ورقة بن نوفل ؛ لحل مشكلتها ، فأكرمها وجعل لها مأوى عند نساء قريش إلى أن وضعت ابنتها بينهن ، عند ذلك علم الزوج بسوء فعله مع زوجه فعاد إلى رشده ، وذهب إلى ورقة ابن نوفل معتذراً عما بدر منه ، موضحا له الدافع وراء فعله وهو العقر وضيق اليد ، فقال له ورقة : " انطلق أنت وامرأتك وابنتك إلى

---

[٢٤٦] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٥٦٦٠ ، ٥٧١ .

[٢٤٧] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٨٠٢ ، ٢٨٦ .

[٢٤٨] الجرجاني ، التعريفات ، مصدر سابق ، ص ٢٦٥

[٢٤٩] الأزرقي، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار ، تحقيق : رشدي الصالح ملحس ، لبنان ، الشركة العصرية، ١٤٢٣هـ، ٢/ ٢٤٣ .

ابنة عمي خديجة بنت خويلد في مكة ، فإنها امرأة خيِّرة رقيقة ، وهي فوق ذلك من أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً ، وأكثرهن مالاً ، فإذا لقيتها ، فقل لها : إن ابن عمك ورقة أوفدني إليك ؛ لأكون في جملة الرجال الذين تبعثين بهم إلى الشام في تجارتك .

وقد أخذ الرجل بنصيحة ورقة بن نوفل ، فاتجه إلى بيت خديجة ، ومعه أهله ، فلما دخل عليها وقص عليها الخبر رحَّبت به وبزوجته ، وأكرمت وفادتهما وألحقته بعمل يدر عليه ما يستطيع أن يعيش به هو وزوجته وابنته) [٢٥٠].

ولقد كانت – رضي الله عنها – قمة في السخاء والكرم والرحمة بالضعفاء ، وهذه صفة يحبها الله ورسوله وهي الكرم والبذل والعطاء .

فقد ضربت أروع الأمثلة في تقديم المساعدات للمسلمين سواء كانت مادية أو معنوية ، فقد كانت الممول الأساسي للدعوة ، وللنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ طيلة سنوات عمرها ، وخير مثال على ذلك دخولها – رضي الله عنها – مع زوجها ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبني هاشم في شعب أبي طالب بتحملها تبعات ذلك الحصار الذي فرضه المشركون عليهم ، محاولة كسر الحصار ما أمكن ، حيث بلغ من بداخل الشعب إلى درجة كبيرة من الجهد والبلاء ، " حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاعون من وراء الشعب من الجوع" [٢٥١].

وكان عدد المحصورين في الشعب كبيراً – في سابقة من المشركين لم يسبقهم فيها غيرهم – ، ويحتاج جميعهم إلى طعام ومئونة ، فرصدت – رضي الله عنها – ما تملك لمساعدة المحاصرين في الشعب، من ثم كان مال السيدة – خديجة – رضي الله عنها – خير عون لهم في هذه الأزمة .

وقد حث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على وجوب التحلي بالكرم في أحاديث كثيرة، منها : عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ : سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَقَالَ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ ، قَالَ : وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّه؟

---

[٢٥٠] الجمل ، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد المثل الأعلى لنساء العالمين، مرجع سابق ، ص ٦٢ .

[٢٥١] ابن سعد، الطبقات الكبرى ، مصدر سابق ، ٢٠٩/١ .

، قَالَ : يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ " [٢٥٢] ، وقد بيَّن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لصحابته الخطوط العريضة للضيافة ، وحثهم على المسارعة على التحلي بها تقرباً إلى الله وحده لنيل رضاه ، والفوز بإكرام الله له في الآخرة .

فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا أَهَانَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [٢٥٣].

وقد قام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ في حياته الشريفة ، فعَنْ سَهْلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ ؟ ، قَالُوا : الشَّمْلَةُ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لِأَكْسُوَكَهَا فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ فَحَسَّنَهَا فُلَانٌ ، فَقَالَ : اكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا!! ، قَالَ الْقَوْمُ : مَا أَحْسَنْتَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ ، قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهُ إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي ، قَالَ سَهْلٌ : فَكَانَتْ كَفَنَهُ " [٢٥٤].

وعن جُبَيْرِ بْنُ مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، فَقَالَ : " أَعْطُونِي رِدَائِي لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا " [٢٥٥].

ومن أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ الكرم :

١- أن الكرم من حسن الإسلام وكمال الإيمان .

٢- أنه يبعث على التكافل الاجتماعي والتواد بين الناس .

---

[٢٥٢] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦٠١٩ ، ٥٩٨/١ .

[٢٥٣] رواه أحمد، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٩٥٣٨ .

[٢٥٤] رواه البخاري ، سبق تخريجه .

[٢٥٥] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٨٢١ ، ٢٨٨/١ .

٣- أن الكرم من صفات الأتقياء والصالحين تقرباً لله وحده .

المضمون التربوي السابع : الحياء :

الحياء في اللغة : والحياءُ التوبَة والحِشْمَة وقد حَيِيَ منه حَياءً واستَحْيا واسْتَحَى، قال ابن بري شاهد الحياء بمعنى الاستحياء قول جرير لولا الحَياءُ لَعَادني اسْتِعْبارُ ولَزُرْتُ قَبرَكِ والحبيبُ يُزارُ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنه قال الحَياءُ شُعْبَةٌ من الإيمان قال بعضهم كيف جعَل الحياءَ وهو غَرِيزةٌ شُعْبةً من الإيمان وهو اكتساب ؟ والجواب في ذلك أَن المُسْتَحي ينقطع بالحَياء عن المعاصي وإن لم تكن له تَقِيَّة فصار كالإيمان الذي يَقْطَعُ عنها ويَحُولُ بين المؤمن وبينها [٢٥٦].

وفي الاصطلاح : خُلُق خلق يبعث على اجتناب القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق[٢٥٧] ، ولهذا جاء في الحديث " الْحَيَاء خَيْر كُلّه " [٢٥٨].

---

[٢٥٦] ابن منظور ، لسان العرب، مصدر سابق،٢١٧/١٤

[٢٥٧] ابن حجر،فتح الباري ، مصدر سابق ، ٥٣٢/١٠.

[٢٥٨] . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ٦١، ٧٥٨/١ .

وذكر ابن حجر في الفتح أنواع الحياء : والحياء نوعان : حياء غريزي ، وحياء مكتسب ، قال أبو العباس القرطبي : قد جمع للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ النوعان ، حيث كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الغريزي أشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان في المكتسب في الذروة العليا [٢٥٩] ، كما يعد الحياء خصلة من خصال الإيمان ، وصفة من صفات الأنبياء والصالحين ، والحيي : يكون حسن الاستقامة والإيمان ، عفيف عن اقتراف المحارم ، غاض لبصره ، مراقب الله في جميع أموره[٢٦٠] .

ومثال ذلك : عند خطبة السيدة خديجة للرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسلت إليه صديقتها نفيسة ، ولم تعرض عليه الزواج منها مباشرة بنفسها ، حيث أورد الواقدي " عن نفيسة بنت منية " أن خديجة بنت خويلد كانت امرأة حازمة ، جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذٍ أوسط قريش نسباً ، وأعظمهم مالاً ، وكل قوامها حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، وقد طلبوها وبذلوا لها الأموال ؛ فأرسلتني دسيساً إلى محمد بعد أن رجع عيرها من الشام ، فقلت : يا محمد، ما يمنعك أن تتزوج ؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج به ، قلت : فإن كفيت ودعيت إلى الجمال ، والمال ، والشرف ، والكفاءة ألا تجيب ؟ قال: فمن هي ؟ قلت : خديجة ، قال : وكيف لي بذلك ؟ قلت : عليّ ، قال : فأنا أفعل ، فذهبت ؛ فأخبرتها ، فأرسلت إليه أن ائت ساعة كذا وكذا ، وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها ، فحضر ودخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عمومته فزوجه أحدهم ، فقال عمرو بن أسد : هذا البضع لا يقرع أنفه ، وتزوجها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ابن خمسة وعشرين سنة "[٢٦١].

وقد جاء الإسلام الحنيف وأقر هذا المبدأ ، وحث عليه في آيات كثيرة ، منها : قوله تعالى : ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة : القصص ، آية : ٢٥) ، وقال أيضاً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ

---

[٢٥٩] ابن حجر،فتح الباري ، مصدر سابق ،: ٥٣٣/١٠ .

[٢٦٠] المصدر السابق ، ٥٢٢/١٠ .

[٢٦١] ابن سعد ، الطبقات ، مصدر سابق ، ١٣١/١-١٣٢ .

فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً ﴾ (سورة : الأحزاب ، آية : ٥٣) .

كما حث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الحياء في أحاديث كثيرة ، منها : عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ الْحَيَاءُ وَالتَّعَطُّرُ وَالسِّوَاكُ وَالنِّكَاحُ " [٢٦٢].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ لِلْأَشَجِّ الْعَصَرِيِّ : " إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمَ وَالْحَيَاءَ " [٢٦٣]، ونلحظ هنا أن هذه الصفة متوارثة بين الرسل والصالحين إلى أن تقوم الساعة .

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ " إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ " [٢٦٤].

وقد قام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ في حياته الشريفة ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمُزَنِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَتْنِي حَفْصَةُ ابْنَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ وَضَعَ ثَوْبَهُ بَيْنَ فَخِذَيْهِ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى هَيْئَتِهِ، ثُمَّ عُمَرُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ ، ثُمَّ عَلِيٌّ ، ثُمَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَالنَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَى هَيْئَتِهِ ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ ، فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ ؛ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَتَجَلَّلَهُ ، فَتَحَدَّثُوا ، ثُمَّ خَرَجُوا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَاءَ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعَلِيٌّ ، وَسَائِرُ أَصْحَابِكَ ، وَأَنْتَ عَلَى هَيْئَتِكَ ، فَلَمَّا جَاءَ عُثْمَانُ تَجَلَّلْتَ بِثَوْبِكَ ، فَقَالَ : " أَلَا أَسْتَحْيِي مِمَّنْ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ " [٢٦٥].

وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ :كَيْفَ أَغْتَسِلُ مِنْ الْمَحِيضِ؟ ،قَالَ : " خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَوَضَّئِي ثَلَاثًا ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ـ صَلَّى

---

[٢٦٢] الترمذي ، سنن الترمذي، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٠٨٠ ، ١٨٨٤/١ .

[٢٦٣] القزويني ، سنن ابن ماجة، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٥، ٧٥٤/١ .

[٢٦٤] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦١٢٠ ، ٦٠٦/١ .

[٢٦٥] رواه أحمد ، مصدر سابق رقم الحديث ٢٥٢٦١ .

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ اسْتَحْيَا فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ ، أَوْ قَالَ : تَوَضَّئِي بِهَا ؛ " فَأَخَذْتُهَا فَجَذَبْتُهَا فَأَخْبَرْتُهَا بِمَا يُرِيدُ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "[٢٦٦].

وعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ ، فَأُرْسِلْتُ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا ، فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ ، قَالَ: ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ ، وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَانْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَقَالَتْ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ ؟ فَتَقَرَّى حُجَرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ ، وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَإِذَا ثَلَاثَةٌ مِنْ رَهْطٍ فِي الْبَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ شَدِيدَ الْحَيَاءِ فَخَرَجَ مُنْطَلِقًا نَحْوَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَمَا أَدْرِي آخْبَرْتُهُ أَوْ أُخْبِرَ أَنَّ الْقَوْمَ خَرَجُوا فَرَجَعَ حَتَّى إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أُسْكُفَّةِ الْبَابِ دَاخِلَةً وَأُخْرَى خَارِجَةً أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَأُنْزِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ[٢٦٧].

ومن أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ الحياء :

١- أن الحياء شعبة من شعب الإيمان ، وحسن الإسلام .

٢- أن صاحب الحياء محبوب من الله ومن الناس .

٣- أنه صفة من صفات الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين .

٤- الحياء لا يأتي إلا بخير .

ويتفرع من مضمون الحياء المضامين الآتية :

أولاً : الحجاب :

الحجاب لغة : لفظ الحجاب يستعمل في اللغة مرادا به أحد أمرين:

الأول : أن يكون مصدرا، ومعناه حينئذ المنع ويرادفه الحجب، يقال: حجب الشيء يحجبه حجباً وحجاباً منعه، وقال الراغب: الحجب والحجاب: المنع من الوصول.

---

[٢٦٦] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣١٥ ، ٤٦/١ .

[٢٦٧] ر البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٤٧٩١ ، ٤٨٤/١ .

الثاني: أن يكون اسماً ، ويراد به: الستر أو الساتر .

ويقال: احتجب الملك عن الناس (في معنى امتنع) واستحجبه ولاه الحجابة (أي جعله حاجبا له)، ويقال: قد احتجب وتحجب إذا اكتن من وراء حجاب.وامرأة محجوبة قد سترت بستر.

والحجاب: اسم ما احتجب به ، وكل ما حال بين شيئين.حجاب، والجمع حجب لا غير .

وقوله تعالى: (ومن بيننا وبينك حجاب) معناه: ومن بيننا وبينك حاجز في النحلة والدين.

وفي حديث أبي ذر – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله يغفر للعبد ما لم يقع الحجاب" قيل: يا رسول الله، وما الحجاب ؟ قال: " أن تموت النفس، وهي مشركة، كأنها حجبت بالموت عن الإيمان".

وقال ابن شميل في حديث ابن مسعود : من اطلع الحجاب واقع ما وراءه، أي إذا مات الإنسان واقع ما وراء الحجابين: حجاب الجنة وحجاب النار لأنهما قد خفيا [٢٦٨].

والمقصود من الحجاب في الاصطلاح : ستر الوجه وسائر البدن ستراً كاملاً بحيث لا يبين منه شيء[٢٦٩] .

([٢٦٨])ابن منظور ، لسان العرب، مصدر سابق، ٢٩٨/١-٣٠٠. مختار الصحاح ، مصدر سابق ، ١١٢/١.

[٢٦٩] قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي في قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (سورة : النور، آية: ٣١) ، وهذا لكمال الاستتار، ويدل ذلك على أن الزينة التي يحرم إبداؤها يدخل فيها جميع البدن ، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ (سورة : النور، آية : ٣١) ،كالثياب الجميلة، وجميع البدن كله من الزينة. (تفسير الكريم المنان : ٢٠١/٥- ٢٠٢) .

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – على وجوب احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب ، فقال في الفتاوى المطبوعة أخيراً : (ص ١١٠ ، جـ ٢ من الفقه ، و٢٢ من المجموع): "وحقيقة الأمر أن الله جعل الزينة زينتين: زينة ظاهرة ، وزينة غير ظاهرة ، ويجوز لها إبداء زينتها الظاهرة لغير الزوج ، وذوي المحارم ، وكانت النساء قبل أن تنزل آية الحجاب يخرجن بلا جلباب ، فيرى الرجل وجهها ويديها، وكانت إذ ذاك يجوز لها أن تظهر الوجه والكفين ، وكان حينئذٍ يجوز النظر إليها؛ لأنه يجوز لها إظهاره ، ثم لما أنزل الله آية الحجاب بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ (سورة الأحزاب، آية: ٥٩) حجب النساء عن الرجال ، ثم قال: والجلباب وهو الإزار الكبير الذي يغطي رأسها وسائر بدنها ثم قال فإذا كن مأمورات بالجلباب؛ لئلا يعرفن وهو ستر الوجه أو ستر الوجه بالنقاب كان الوجه واليدان من الزينة التي أمرت أن لا تظهرها للأجانب، فما بقى يحل للأجانب النظر أي إلى الثياب الظاهرة .(بن باز ،عبد العزيز بن عبدالله :مجموعة رسائل في الحجاب والسفور، الرياض، الرئاسة العامة للافتاءص: ٩٨-٩٩) .

والذي يبدو لي أن السيدة خديجة – رضي الله عنها – ماتت قبل نزول آية الحجاب ، وليس معنى ذلك أنها قد اعتراها نقص قبل موتها ، لكنها امتازت بصفات – كالحياء ، وطيب النسب ، وعراقة الأصل .... - جعلتها في بُعد عن الرجال رغم ممارستها التجارة ، هذا والمتمعن في سيرة السيدة خديجة ، يجد أنها كانت تستأجر الرجال للتجارة في مالها عن طريق غلامها ميسرة ، و لم تكن خرَّاجة ولَّاجة كغيرها من بعض نساء قومها ؛ فهي بالفعل كانت في شبه حجاب عن الرجال قبل فرضية الحجاب .

وقد كانت ـ رضي الله عنها –تلقب بالطاهرة في الجاهلية وحصولها على هذا اللقب لم يكن بسهولة بالتأكيد ، فهي بعيدة كل البعد عما كان يحصل في مجتمعها من تبرج وسفور ومخالطة للرجال تتمتع بحسن الصيت والسمعة متحلية بثياب الحشمة والمروءة والتقوى ، ومما يدل على ارتدئها للحجاب رواية ابن اسحاق " إنه حدث عن خديجة – رضي الله عنها – عن خديجة أنها قالت لرسول الله فيما يثبته فيما أكرمه الله به من نبوته يا بن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك قال نعم قالت فإذا جاءك فأخبرني به فجاءه جبرئيل عليه السلام كما كان يأتيه فقال رسول الله لخديجة يا خديجة هذا جبرئيل قد جاءني فقالت نعم فقم يا بن عم فاجلس على فخذي اليسرى فقام رسول الله فجلس عليها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاقعد على فخذي اليمنى فتحول رسول الله فجلس عليها فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم فتحسرت فألقت خمارها ورسول الله جالس في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا فقالت يا بن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هو بشيطان"[٢٧٠]

وقد جاء الإسلام الحنيف وأقر هذا المبدأ وحث عليه ، قال تعالى : ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ

[٢٧٠] ابن هشام، السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ٢/٧٥ .

النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة : النور، آية :٣١) .

كما حث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الحجاب في أحاديث كثيرة ، منها : عَنْ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – قَالَتْ : اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ أَفْلَحُ أَخُو أَبِي الْقُعَيْسِ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ ، فَقُلْتُ : لَا آذَنُ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ فِيهِ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَإِنَّ أَخَاهُ أَبَا الْقُعَيْسِ لَيْسَ هُوَ من أَرْضَعَنِي ، وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ ؛ فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَفْلَحَ أَخَا أَبِي الْقُعَيْسِ اسْتَأْذَنَ فَأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " وَمَا مَنَعَكِ أَنْ تَأْذَنِي عَمُّكِ ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ ، فَقَالَ : ائْذَنِي لَهُ فَإِنَّهُ عَمُّكِ تَرِبَتْ يَمِينُكِ ، قَالَ عُرْوَةُ: فَلِذَلِكَ كَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ حَرِّمُوا مِنْ الرَّضَاعَةِ مَا تُحَرِّمُونَ مِنْ النَّسَبِ " [٢٧١].

وعَنْ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : إِنَّ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ عَهِدَ إِلَى أَخِيهِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنْ يَقْبِضَ إِلَيْهِ ابْنَ وَلِيدَةِ زَمْعَةَ ، قَالَ عُتْبَةُ : إِنَّهُ ابْنِي فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ زَمَنَ الْفَتْحِ أَخَذَ سَعْدٌ ابْنَ وَلِيدَةِ زَمْعَةَ ؛ فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَأَقْبَلَ مَعَهُ بِعَبْدِ بْنِ زَمْعَةَ ، فَقَالَ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا ابْنُ أَخِي عَهِدَ إِلَيَّ أَنَّهُ ابْنُهُ، فَقَالَ عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَخِي ابْنُ وَلِيدَةِ زَمْعَةَ وُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِلَى ابْنِ وَلِيدَةِ زَمْعَةَ فَإِذَا هُوَ أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ " هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ بْنَ زَمْعَةَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وُلِدَ عَلَى فِرَاشِ أَبِيهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ احْتَجِبِي مِنْهُ يَا سَوْدَةُ بِنْتَ زَمْعَةَ مِمَّا رَأَى مِنْ شَبَهِهِ بِعُتْبَةَ " وَكَانَتْ سَوْدَةُ زَوْجَ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ [٢٧٢] .

---

[٢٧١] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦١٥١ ،٦٠٩/١.

[٢٧٢] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٥٣٣ ، ٢٥٤/١، . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ١٤٥٧.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ : " الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ "[٢٧٣] ، وقد قام نساء الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونساء الصحابة بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ في حياته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فعَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ مُحْرِمَاتٌ فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ [٢٧٤].

وعَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كَانَتْ تَقُولُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ : أَخَذْنَ أُزُرَهُنَّ فَشَقَّقْنَهَا مِنْ قِبَلِ الْحَوَاشِي فَاخْتَمَرْنَ بِهَا [٢٧٥].

ومن أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ الحجاب :

١-أن الحجاب يرضى الله عز وجل ، ويسخط الشيطان .

٢-طهارة تلحق بقلب المؤمن والمؤمنة .

٣-سمة للحرائر تميزهن عن غيرهن من الإماء ، والتبرج والسفور سمة للإماء .

٤-يمنع إيذاء المؤمنات بقصد أو بغير قصد .

٥-المحافظة على الحجاب ، والدعوة إليه دليل على : عفة النفس ، وتحصينها من مكائد الشيطان .

٦- الحجاب مظهر من مظاهر تمييز الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم .

ثانياً : حفظ الفرج :

الفرج في اللغة : (فرج) الفَرْجُ الخَلَلُ بين الشيئين والجمع فُرُوجٌ لا يكسَّر على غير، والفَرْجُ العَوْرَة والفَرْجُ شِوارُ الرجل والمرأَة والجمع فُرُوج والفَرْجُ اسم لجمع سَوآت الرجال والنساء والفِتْيان وما حَوالَيْها كله فَرْج وكذلك من الدَّوابِّ ونحوها من الخَلْق وفي التنزيل والحافِظِين فُرُوجَهُم والحافِظات وفيه والذين هم لِفُرُوجِهِم حافِظون إِلا على أَزواجِهم قال الفراء أَراد على فُروجِهِم يُحافِظون [٢٧٦].

---

[٢٧٣] الترمذي ، سنن الترمذي، رقم الحديث ١٨٩٦ ، ١٨٩٦/١ .

[٢٧٤] السجستاني،سنن أبي داود، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٨٣٣ ، ١٤٨٦/١ .

[٢٧٥] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٤٧٥٩ ، ١/ ٤٨٠ .

[٢٧٦] ابن منظور ، لسان العرب، مصدر سابق، ٣٤١/٢.

وفي الاصطلاح :قال البغوي – رحمه الله – في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ (سورة: المؤمنون ، الآية : ٥) ، أن الفرج : اسم يجمع سوءة الرجل والمرأة ، وحفظ الفرج : التعفف عن الحرام [٢٧٧] .

ولقد امتدح المولى عز وجل الحافظين فروجهم والحافظات ، وجعل ذلك من علامات الفوز في الدار الآخرة ، فقال تعالى﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ{١} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ{٢} وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ{٣} وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ{٤} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (سورة : المؤمنون، آية :١-٥) ،

ثم وعد الله سبحانه وتعالى هؤلاء المفلحين بقوله : ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ{١٠} الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة : المؤمنون، آية :١٠-١١) ، فحفظ الفرج هنا المقصود به صيانته وعدم استعماله فيما حرم الله ، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – يَقُولُ جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا ، فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ؟! ، فقَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ؛ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، ويقول ابن حجر في تفسير قَوْله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) ،" الْمُرَاد بِالسُّنَّةِ الطَّرِيقَة لَا الَّتِي تُقَابِل الْفَرْض ، وَالرَّغْبَة عَنْ الشَّيْء الْإِعْرَاض عَنْهُ إِلَى غَيْره ، وَالْمُرَاد مَنْ تَرَكَ طَرِيقَتِي وَأَخَذَ بِطَرِيقَةِ غَيْرِي فَلَيْسَ مِنِّي ، وَلَمَّحَ بِذَلِكَ إِلَى طَرِيق الرَّهْبَانِيَّة فَإِنَّهُمْ الَّذِينَ اِبْتَدَعُوا التَّشْدِيد كَمَا وَصَفَهُمْ اللَّه تَعَالَى وَقَدْ عَابَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَا وَفُّوهُ بِمَا اِلْتَزَمُوهُ ، وَطَرِيقَة النَّبِيّ ـ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الْحَنِيفِيَّة السَّمْحَة ؛ فَيُفْطِر لِيَتَقَوَّى عَلَى الصَّوْم ، وَيَنَام لِيَتَقَوَّى عَلَى الْقِيَام ، وَيَتَزَوَّج لِكَسْرِ الشَّهْوَة وَإِعْفَاف النَّفْس وَتَكْثِير النَّسْل . وَقَوْله فَلَيْسَ مِنِّي إِنْ كَانَتْ الرَّغْبَة

---

[٢٧٧] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود : معالم التنزيل ، دار طيبة ، المدينة المنورة ، ط٤ ، ١٤١٧ هـ ، ج٥ ، ص٤١٠ .

بِضَرْبٍ مِنْ التَّأْوِيل يُعْذَر صَاحِبه فِيهِ فَمَعْنَى " فَلَيْسَ مِنِّي " أَيْ ليس عَلَى طَرِيقَتِي ، وَلَا يَلْزَم أَنْ يَخْرُج عَنْ الْمِلَّة، فَلا يعقل أن يكون المعنى (لَيْسَ مِنِّي) لَيْسَ عَلَى مِلَّتِي ؛ لِأَنَّ اِعْتِقَاد ذَلِكَ نَوْع مِنْ الْكُفْر ، وَفِي الْحَدِيث دَلَالَة عَلَى فَضْلِ النِّكَاح وَالتَّرْغِيب فِيهِ ، وَفِيهِ تَتَبُّع أَحُول الْأَكَابِر لِلتَّأَسِّي بِأَفْعَالِهِمْ ، وَأَنَّ مَنْ عَزَمَ عَلَى عَمَل بِرّ وَاحْتَاجَ إِلَى إِظْهَاره حَيْثُ يَأْمَن الرِّيَاء لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَمْنُوعًا ، وَفِيهِ تَقْدِيم الْحَمْد وَالثَّنَاء عَلَى اللَّه عِنْد إِلْقَاء مَسَائِل الْعِلْم ، وَبَيَان الْأَحْكَام لِلْمُكَلَّفِينَ ، وَإِزَالَة الشُّبْهَة عَنْ الْمُجْتَهِدِينَ ، وَأَنَّ الْمُبَاحَات قَدْ تَنْقَلِب بِالْقَصْدِ إِلَى الْكَرَاهَة وَالِاسْتِحْبَاب ، وَاَللَّهُ أَعْلَم "[٢٧٨].

وقد تمثلت أم المؤمنين – رضي الله عنها – هذه الآيات في حياتها ، واجتنبت إتباع الهوى والتبرج والفحش ، والتزمت العفة والحجاب والنزاهة وغض البصر، وخير دليل على ذلك : إطلاق لقب الطاهرة عليها في الجاهلية ، (وإطلاق صفة خاصة على فرد من الأفراد تكون شاهداً صادقاً على تحلّيه بها ، وهذا ليس أمرا سهلاً ، فحصول الإنسان عليه يقتضي منه أن يسلك سلوكاً خاصاً[٢٧٩].)

كما أنها عملت في التجارة التي كانت مهنة معظم القرشيين وجميعهم رجال ، فلم تشترك معهم في اجتماعاتهم ، وإنما كان يقوم بأمور تجارتها عبيدها وعلى رأسهم ميسرة ، ولم تخالط الرجال في ذلك ، بل كانت تصدر أوامرها لهم وتشرف على تجارتها بنفسها دون أن تخرج لمحاكاة الرجال في ميدان العمل .

لم تبين الروايات أسماء من عمل معها في التجارة سوى حكيم بن حزام ابن أخيها ، حيث ذكرت الروايات أنه اشترى زيداً بن حارثة لعمته خديجة – رضي الله عنها – بأربعمائة درهم من سوق عكاظ [٢٨٠] ، وربما كان يعمل معها في تجارة منظمة ومستمرة لا سيما أنه كان يذهب إلى سوق تهامة القريب من مكة ؛ ليشتري لها بعض السلع [٢٨١].

وقد جاء الإسلام الحنيف وأقر هذا المبدأ وحث على حفظ الفرج في آيات كثيرة ، منها : قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ

---

[٢٧٨] ابن حجر ،فتح الباري ، مصدر سابق ، ج١٤ ، ٢٩٠ .

[٢٧٩] الجمل ، مرجع سابق ، ص٧.

[٢٨٠] أنساب الأشراف ، مصدر سابق ، ٤٦٧/١ .

[٢٨١] ابن سعد ،الطبقات الكبرى، مصدر سابق ٤١/٣ .

إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ ﴾ (سورة : النور، آية ٣٠-٣١)، وفي هذه الآية بيان لعدة أوامر بينها الله سبحانه وتعالى ليقطع مقدمات الزنا ، وليظهر فضل تحصين الفرج،مع إبراز المسموح لهم تجاوزاً برؤية النساء دون الوقوع في إثم،وكذا يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(سورة: الأحزاب، آية : ٣٥) ، وقد بين الله الفضل العظيم الذي يلحق هذه الفئات الإيمانية النادرة ، من مغفرة الله وعفوه والفوز برضوانه .

كما حث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حفظ الفرج في أحاديث كثيرة ، منها : فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، قِيلَ لَهَا : ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ " [٢٨٢] .

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : " اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ : اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ " [٢٨٣] .

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : إِنَّ فَتًى شَابّاً أَتَى النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا ؛ فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ ، قَالُوا : مَهْ مَهْ ، فَقَالَ : ادْنُهْ !! فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ، قَالَ : فَجَلَسَ قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟ قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلَا

---

[٢٨٢] رواه أحمد ،مصدر سابق رقم الحديث ١٥٧٣ .

[٢٨٣] رواه أحمد ،مصدر سابق رقم الحديث ٢١٦٩٥ .

النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ، قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ ؟ قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ، قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[٢٨٤].

ومن أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ حفظ الفروج :

١- الفلاح والفوز برضوان الله عز وجل في الدنيا والآخرة .

٢- يزيد في الحسنات ويرفع الدرجات .

٣- يحمي المسلم من الأمراض الفتاكة التي تصيب الفرد عند تعرضه للحرام .

المضمون التربوي الثامن : الشورى :

الشورى في اللغة : الشُّورَى والمَشُورَة بضم الشين مَفْعُلَة ولا تكون مَفْعُولَة لأَنها مصدر والمَصادِر لا تَجِيء على مثال مَفْعُولة وإن جاءت على مِثال مَفْعُول وكذلك المَشْوَرَة وتقول منه شَاوَرْتُه في الأَمر واسْتشرته بمعنى وفلان خَيِّرٌ شَيِّرٌ أَي يصلُح لِلْمُشاورَة وشاوَرَه مُشاوَرَة وشِوَاراً واسْتَشاره طَلَب منه المَشُورَة وأَشار الرجل يُشِيرُ إِشارَةً إِذا أَوْمَأَ بيديْه[٢٨٥] .

الشورى في الاصطلاح : هي استنباط المرء الرأي من غيره فيما يعرض له من مشكلات الأمور ، ويكون ذلك في الأمور الجزئية التي يتردد المرء فيها بين فعلها وتركها[٢٨٦].

فالشورى من مبادئ الإسلام السمحة بين الحاكم والمحكومين في نظام الحكم ، و لم تكن محصورة في هذا النظام وفقط ، بل أيضاً بين أفراد المجتمع .

---

[٢٨٤] المصدر السابق ، رقم الحديث ٢١١٨٥ .

[٢٨٥] ابن منظور ، لسان العرب، مصدر سابق،٤/٤٣٤.

[٢٨٦] الراغب الأصفهاني ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٠م ، ص٢٩٤ .

ولقد طبقت أم المؤمنين هذا المبدأ عندما شاورت ابن عمها ورقة بن نوفل في شأن الوحي ، فهو رجل دين وعلم ، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المستشار ؛ فالشورى تقوِّي الأخوة ، وهو : تعاون على البر والتقوى ، وفيه نظام اجتماعي إسلامي .

وقد تمثلت أم المؤمنين – رضي الله عنها – هذا المبدأ ، ولم تتكاسل في التعامل مع خوف واضطراب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند نزول الوحي لأول مرة ، بل واسته وثبتته ، ثم أخذته بعد ذهاب ما به من وجل وخوف إلى ابن عمها ؛ لكبر سنه ، وكثرة خبراته ، وغزارة علمه ، فهو أهل للاستشارة .

وقد جاء الإسلام الحنيف وأقر هذا المبدأ ، وحث عليه في القرآن ، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (سورة : آل عمران ، آية :١٥٩) وفي هذه الآية أمر صريح من الله لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ باتخاذ مبدأ الشورى شعار الدولة ، ولا يجعل القيادة للأهواء ، التي تورِّث حب الذات والميل عن الصواب ومجافاة الأتباع .

وقال أيضاً ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (سورة : الشورى ، آية : ٣٨) ، ففي هذه الآية مدح واضح لعباد الله المحافظين على شعائر الله ، والتابعين هدي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في اتخاذ الشورى منهجا ثابتا لمحاوراتهم .

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السَّلَمِيِّ أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ ، فَقَالَ : "هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ: فَالْزَمْهَا ! فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا " [٢٨٧] .

وعَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – قَالَتْ : قُلْتُ : " يَا رَسُولَ اللَّهِ، يُسْتَأْمَرُ النِّسَاءُ فِي أَبْضَاعِهِنَّ، قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : فَإِنَّ الْبِكْرَ تُسْتَأْمَرُ فَتَسْتَحْيِي فَتَسْكُتُ ، قَالَ : سُكَاتُهَا إِذْنُهَا " [٢٨٨] .

---

[٢٨٧] النسائي، سنن النسائي، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣١٠٤ ، ٢٤٧٣/١ .

[٢٨٨] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦٩٤٦ ، ٦٧٩/١ .

وقد قام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ في حياته الشريفة ؛ فعَنْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ، قَالَ : نَظَرَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِلَى أَصْحَابِهِ ، وَهُمْ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَنَيِّفٌ ، وَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ ؛ فَإِذَا هُمْ أَلْفٌ وَزِيَادَةٌ ، فَاسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الْقِبْلَةَ ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ وَعَلَيْهِ رِدَاؤُهُ وَإِزَارُهُ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَيْنَ مَا وَعَدْتَنِي ؟ ، اللَّهُمَّ أَنْجِزْ مَا وَعَدْتَنِي! ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَلَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا ، قَالَ : فَمَا زَالَ يَسْتَغِيثُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَدْعُوهُ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَرَدَّاهُ ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُئِذٍ وَالْتَقَوْا ؛ فَهَزَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُشْرِكِينَ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا وَأُسِرَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا ، فَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَبَا بَكْرٍ وَعَلِيًّا وَعُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَؤُلَاءِ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةُ وَالْإِخْوَانُ، فَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ الْفِدْيَةَ ، فَيَكُونُ مَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ فَيَكُونُونَ لَنَا عَضُدًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ ، قَالَ : قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَرَى مَا رَأَى أَبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنِي مِنْ فُلَانٍ قَرِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتُمَكِّنَ عَلِيًّا – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتُمَكِّنَ حَمْزَةَ مِنْ فُلَانٍ أَخِيهِ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ ، حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَتْ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ هَؤُلَاءِ صَنَادِيدُهُمْ وَأَئِمَّتُهُمْ وَقَادَتُهُمْ، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ ؛ فَأَخَذَ مِنْهُمْ الْفِدَاءَ ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنْ الْغَدِ ، قَالَ عُمَرُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – غَدَوْتُ إِلَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ وَأَبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ، وَإِذَا هُمَا يَبْكِيَانِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مَاذَا يُبْكِيكَ أَنْتَ وَصَاحِبَكَ ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا ، قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ الْفِدَاءِ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ إِلَى قَوْلِهِ لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ ﴾ مِنْ الْفِدَاءِ ، ثُمَّ

أُحِلَّ لَهُمْ الْغَنَائِمُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ مِنْ الْعَامِ الْمُقْبِلِ : عُوقِبُوا بِمَا صَنَعُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ أَخْذِهِمْ الْفِدَاءَ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَفَرَّ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَنْ النَّبِيِّ ـصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ ، وَهُشِمَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾الْآيَةَ بِأَخْذِكُمْ الْفِدَاءَ [٢٨٩].

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ "رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ : إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا ، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا ، قَالَ : فَنَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ النَّاسَ ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا ، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ ، وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الْحَجَّاجِ فَأَخَذُوهُ ، فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ ، فَيَقُولُ : مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ وَلَكِنْ هَذَا : أَبُو جَهْلٍ ، وَعُتْبَةُ ، وَشَيْبَةُ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ هَذَا أَبُو سُفْيَانَ ، فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ ؛ فَقَالَ مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ ، وَشَيْبَةُ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ فِي النَّاسِ ، فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَائِمٌ يُصَلِّي ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ ، قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ وَتَتْرُكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ ، قَالَ : وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ هَاهُنَا هَاهُنَا قَالَ فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ " [٢٩٠].

كما حث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الشورى في أحاديث كثيرة ، منها : عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ : " إِنِّي سَأَعْرِضُ عَلَيْكِ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تُشَاوِرِي أَبَوَيْكِ ، فَقُلْتُ : وَمَا هَذَا الْأَمْرُ ، قَالَتْ : فَتَلَا عَلَيَّ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

---

[٢٨٩] رواه أحمد ، مصدر سابق، رقم الحديث ٢٠٣ .

[٢٩٠] . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ١٧٧٩ ، ١١٠٩/١ .

فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : ، فَقُلْتُ: وَفِي أَيِّ ذَلِكَ تَأْمُرُنِي أُشَاوِرُ أَبَوَيَّ ، بَلْ أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ، قَالَتْ : فَسُرَّ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَأَعْجَبَهُ ، وَقَالَ : سَأَعْرِضُ عَلَى صَوَاحِبِكِ مَا عَرَضْتُ عَلَيْكِ ، قَالَتْ : ،فَقُلْتُ لَهُ : فَلَا تُخْبِرْهُنَّ بِالَّذِي اخْتَرْتُ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا قَالَ لِعَائِشَةَ ، ثُمَّ يَقُولُ : قَدْ اخْتَارَتْ عَائِشَةُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : قَدْ خَيَّرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَلَمْ نَرَ ذَلِكَ طَلَاقًا " [٢٩١].

من أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ الشورى :

١-أن مبدأ الشورى من مبادئ الإسلام السمحة في نظام الحكم العادل .

٢-لا يستشار إلا من عرف بالأمانة والعلم ، والإخلاص لله .

٣- أن مبدأ الشورى مفهوم عام يشمل جميع أفراد المجتمع حكام أو محكومين .

المضمون التربوي التاسع : علو الهمة :

العلو في اللغة : مصدر (علا) عُلْو كلّ شيء وعِلْوه وعَلْوُه وعُلاوَتُه وعالِيه وعالِيَتُه أَرْفَعُه يَتَعَدَّى إليه الفعلُ بحَرْف وبغير حَرْف كقولك قَعَدْتُ عُلْوه وفي عُلْوِه قال ابن السكيت سِفْلُ الدار وعِلْوُها وسُفْلُها وعُلْوُها وعلا الشيءُ عُلُوًّا فهو عَليٌّ وعَلِيَ وتَعَلَّى وقال بعض الرُّجَّاز وإنْ تَقُلْ يا لَيْتَه اسْتَبلاً مِن مَرَضٍ أَحْرَضَه وبَلاً تَقُلْ لأَنْفَيْهِ ولا تَعَلَّى وفي حديث ابن عباس فإذا هو يَتَعَلَّى عنِّي أَي يَتَرَفَّع عليَّ وعَلاه عُلُوّاً واسْتَعْلاه واعْلَوْلاه وعَلا به وأَعْلاهُ وعَلاَّهُ وعالاه وعالَى به قال كالثِّقْلِ إذ عالَى به المُعَلِّي ويقال عَلا فلانٌ الجَبَلَ إذا رَقِيَه يَعْلُوه عُلُوّاً وعَلا فلان فلاناً إذا قَهَرَه [٢٩٢].

والهمة في اللغة : والهَمُّ ما همّ به في نَفْسِه تقول أَهَمَّني هذا الأَمرُ والهَمَّةُ والهِمَّةُ ما هَمَّ به من أَمر ليفعله وتقول إِنه لَعظيمُ الهَمّ وإِنه لَصغيرُ الهِمّة وإِنه لَبَعيدُ الهِمَّةِ والهَمّةِ بالفتح والهُمامُ الملكُ العظيم الهِمّة وفي حديث قُسٍّ أَيها الملكُ الهُمامُ أَي العظيمُ الهِمَّة يقول ابن سيده : الهُمام اسمٌ من أَسماء الملك لِعِظمِ هِمّته وقيل لأَنه إِذا هَمَّ بأَمر أَمْضاه لا يُرَدُّ عنه بل يَنْفُذ كما أَراد وقيل

---

[٢٩١] رواه أحمد ، مصدر سابق، رقم الحديث ٢٤٣٤٢ .

[٢٩٢] ابن منظور ، لسان العرب، مصدر سابق،٨٣/١٥ .

الهُمامُ السيِّدُ الشجاعُ السَّخيّ ولا يكون ذلك في النساء والهُمامُ الأَسدُ على التشبيه وما يَكادُ ولا يَهُمُّ كَوْداً ولا مَكادَةً وهَمّاً ولا مَهَمَّةً.[٢٩٣]

وفي الاصطلاح علو الهمة : الهمة فعلة من الهم ، وهو مبدأ الإرادة ولكنها اختصت بنهاية الإرادة ، فالهم : مبدؤها ، والهمة : نهايتها ، فخلص لنا أن الهمة هي حقيقة الإرادة، وعلوها هو : طلب أسمى ما يراد ، والمقصود بها : هو استصغار كل ما دون القمة، وهو صدق العزم على بلوغ الغاية، وهو لزوم الرقي على كل حال.. [٢٩٤].

وقيل : عظم (علو)الهمة هو : توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق لحصول الكمال له أو لغيره [٢٩٥] .

---

[٢٩٣] المصدر السابق ،٦١٩/١٢

[٢٩٤] مجلة البيان ، العدد الأول ،المنتدى الإسلامي ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٧ .

[٢٩٥] الجرجاني ،التعريفات، مصدر سابق ، ٣٤١ .

مجالات علو الهمة:

ذكر محمد المقدم في كتاب (علو الهمة) أن لهذا العلو مجالات خمس (: علو همة في طلب العلم ، علو همة في العبادة والاستقامة ، علو همة في البحث عن الحق ، علو همة في الدعوة إلى الله تعالى ، علو همة في الجهاد في سبيل الله ، وسنوجز القول في المجال الأول كما يلي :

المجال الأول: طلب العلم : يتمثل علو الهمة في طلب العلم في:

١. غيرة على الوقت أن ينفق في غير فائدة .
٢. عزم يبلى الجديدان وهو صارم صقيل .
٣. حرص لا يشفي غليله إلا أن يفترق من موارد العلوم بأكواب طافحة .
٤. غوص في البحث لا تحول بينه وبين نفائس العلوم وُعُورة المسلك ، ولا طول مسافة الطريق .
٥. ألسنة مهذبة لا تقع في لغو ولا مهاترة ؛ لأنها شغلت بالحق فأشغلها عن الباطل .

ولقد كان السلف الصالح – رضوان الله عليهم – المثل الأعلى في علو الهمة في طلب العلم ، وكان على رأسهم عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عباس ، ومحمد بن إدريس الشافعي ،وأحمد بن حنبل، وغيرهم كثير، فعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان يتناوب مع جار له من الأنصار النزول إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، يقول ابن الخطاب: فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك ، وها هو ابن عباس- رضي الله عنهما – يحدث عن علو همته في طلب العلم فيقول: كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل[٢٩٥] ، فأتوسد ردائي على بابه ، يسفي الريح علي من التراب ، فيخرج فيراني ، فيقول: يا ابن عم رسول الله، ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ما جاء بك ؟ هلا أرسلت إليَّ فآتيك ؟. فأقول: لا ، أنا أحق أن آتيك .

ومن مظاهر ذلك أيضا سهرهم الليالي في طلب العلم وعدم الخلود إلى راحة النوم، يقول ابن كثير: كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه، فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره ، ثم يطفئ سراجه، ثم يقوم مرة أخرى

فهو خلق موصل إلى محبة الله ومحبة الناس ، وهو يحقق السعادة للفـــرد والمجتمـــع ، ولقد بلغت – رضي الله عنها – أعلى لدرجات في طاعتها لزوجها ، وتحمل مسؤولية بيتها ومجتمعها ، ووصلت إلى الذروة في البذل والعطاء من أجل الدين ، لا تبالي براحتها ، فهـــي ترجو رضا الله ، ثم رضا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، حيث لم تهتم بصغار الأمور تاركة عظائمها ، و لم تعرف الكسل واليأس بل كانت – رضي الله عنها – ذات قوة إرادية هائلة فكم ضحَّت !! ، وكم عانت من أجل ثبات هذا الدين العظيم!! .

ومما يدل على علو همتها ، محاولاتها المستمرة في إكثار مالها قبل زواجها من النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالتجارة والربح الحلال ، فقد وجدت بين يديها ثروة ، ومال بحاجة إلى تنمية ؛ فعملت بالتجارة ، وقامت بنفسها على إدارتها والإشراف عليها ، فقد فقدت أم المؤمنين – زوجها الأول ، ثم الثاني ، وفقدت أباها ، وأخذت تتصرف في أموالها وتجارتهـــا والاستعانة ببعض الأشخاص للعمل معها على رأسهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي اختارته لأمانته ، وصدق حديثه ، وحسن خلقه، ثم نمت تجارتها ، وازداد ربحها ، و لم يكن لأحد من عائلتها سلطان عليها ؛ لقوة شخصيتها وصلاحها ، وشرفها .

وبعد زواجها من الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عرفت رغبته ، فكـــان يخلـــو بنفسه بعيداً عن مكة في غار حراء يتأمل ويتعبد ، ويفكر في ملكوت الســـموات والأرض ، وسر الوجود وخالقه إلى أن اصطفاه الله تعالى نبياً ، فما كان من أم المؤمنين – رضـــي الله عنها – إلا أن أدركت ذلك ، فشجعته عليه ، ورغم حبها الشديد له إلا أنها لم تقف حائلاً بينه وبين خلوته في ذلك المكان الموحش ، الذي خلا من الأنيس والجليس ، كمـــا كانـــت كثيراً ما تقلق عليه من ذلك المكان النائي ؛ فترسل إليه من يطمئنها عليه أو تـــذهب إليـــه بنفسها ، ثم تعود إلى بيتها ؛ لتكمل مسؤولية رعاية بيتها تنتظر عودته ــ صـــلى الله عليـــه وسلم ــ ؛ لتقابله دون تضجر أو تسخط .

كما تظهر مسؤوليتها وعلو همتها تجاه بناتها ، فها هي تنير الطريق أمامهن إلى الإيمان بالله ورسوله ، والسبق إلى تصديقه ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وأخرى ، حتى كان يتعدد منه ذلك قريباً من عشرين مرة)، (المقدم ،محمد بن إسماعيل ، علو الهمة ، القـــاهرة ، دار ابن الجوزي ، ٢٠٠٥م ، ١٤١- ٢٠٧) .

وقضت – رضي الله عنها – في كنف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشق مراحل الدعوة ، حيث بذلت من مالها الكثير من أجل الإسلام والمسلمين ، خاصةً في شعب بني هاشم في سبيل فك الحصار ، فقد علمت أن هذه المصيبة مسؤولية الجميع ، وعلى كل من له يد فيها أن يبذل جهده وطاقته ما استطاع لذلك سبيلا .

فقد روي (أن حكيم بن حزام بن خويلد أدخل المساعدات إلى بني هاشم ، فلقيه أبو جهل وهو يحاول إدخال ناقة محملة بالشعير والقمح إلى الشعب فمنعه ، لكن أبا البحتري بن هشام بن أبي الحارث أفشل محاولة أبي جهل) [٢٩٦].

وفي رواية أخرى أن السيدة خديجة – رضي الله عنها –(أرسلت إلى ابن عمها زمعة بن الأسود تشكو أبا جهل؛لأنه كان يمنعها من شراء ما تحتاج إليه من طعام فزجره زمعه) [٢٩٧].

علما بان أبا البحتري وزمعة أبناء عمومة السيدة خديجة – رضي الله عنها-

وكانت – رضي الله عنها – تشارك القريب والبعيد فيما تشتريه من احتياجات ، ولم تستأثر نفسها دون قومها بشيء ، واستمرت المقاطعة ثلاث سنوات كانت السيدة خديجة – رضي الله عنها – مثالاً في التضحية وقوة التحمل والصبر وعلو الهمة .

كما كان لعائلتها دور مهم في كسر المقاطعة، إذن لقد كان للسيدة خديجة – رضي الله عنها – يداً في تحطيم المقاطعة والقضاء عليها ، وبهذا تكون قد بذلت أقصى ما استطاعت ولو كان بيدها أكثر من ذلك لبذلته .

وقد حث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على علو الهمة في أحاديث كثيرة ، منها : أنَّ خَبَّاباً ، قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا قَيْنًا فَعَمِلْتُ لِلْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ ، فَاجْتَمَعَ لِي عِنْدَهُ ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ ؛ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ، فَقُلْتُ : أَمَا وَاللَّهِ حَتَّى تَمُوتَ ، ثُمَّ تُبْعَثَ فَلَا ، قَالَ : وَإِنِّي لَمَيِّتٌ ثُمَّ مَبْعُوثٌ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لِي ثَمَّ مَالٌ وَوَلَدٌ فَأَقْضِيكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [٢٩٨].

---

[٢٩٦] ابن هشام، السيرة النبوية، مصدر سابق ، ٢/ ٢٠٤ .

[٢٩٧] البلاذري ، أنساب الأشراف ، مصدر سابق ، ص ٢٣٥/١ .

[٢٩٨] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٢٧٥ ، ٢٢٣/١ .

وعَنْ حُسَيْنِ بن عَلِيٍّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وأَشْرَافَهَا ، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا " [٢٩٩].

وقد قام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ في حياته الشريفة ، فقد روي أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجَ النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَتْ : لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ طَرَفَيْ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً ، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ ، وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ ، فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي ، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ : فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ ، إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ؛ فَأَنَا لَكَ جَارٌ ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ ، فَرَجَعَ ..... قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ تُرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي ، فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالنَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ لِلْمُسْلِمِينَ إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ ، وَهُمَا الْحَرَّتَانِ فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ وَهُوَ الْخَبَطُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : ، قَالَ عُرْوَةُ : ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي ، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ ، قَالَتْ : فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ــ

---

[٢٩٩] رواه الطبراني في المعجم الكبير ، رقم الحديث ٢٨٢٦ .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لِأَبِي بَكْرٍ : أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصّحبَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: نَعَمْ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : بِالثَّمَنِ ... الحديث " [٣٠٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : " بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، فَقَالَ : مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ ، فَقَالَ : عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ ، فَقَالَ : مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ ،قَالَ : مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حَتَّى كَانَ مِنْ الْغَدِ ، فَقَالَ: مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ ، فَقَالَ : عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ ! ، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ ،وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ ، فَمَاذَا تَرَى ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ : أصبئت ؟ ، فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ـ

---

[٣٠٠] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٩٠٥ ، ٣٨٨/١ .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ " [٣٠١].

من أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ علو الهمة :

١- أنه يحقق للمرء السعادة في الدنيا والآخرة .

٢- يوصل إلى محبة الله ومحبة الناس .

٣ـ يملئ وقت المرء بما يفيد دنياه وأخراه .

المضمون التربوي العاشر : الولاء والبراء :

الولاء لغة: مصدر والي يوالى وهو مأخوذ من مادة (و ل ى) التي تدل على القرب، يقال تباعد بعد ولي أي قرب، وجلس مما يليني أي يقاربني، والولي: المطر يجيء بعد الوسمي، سمي بذلك لأنه يليه، قال ابن فارس: ومن الباب المولى: المعتق والمعتق، والصاحب والحليف، وابن العم والناصر والجار، كل هؤلاء من الولي، وهو القرب، وكل من ولي أمر آخر فهو وليه. وفلان أولى بكذا، أي أحرى وأجدر[٣٠٢].

والبراء في اللغة : وقال أبو إسحق المعنى في البراء أي ذو البراء منكم ونحن ذوو البراء منكم وزاد الأصمعي نحن برآء على فعلاء وبراء على فعال وأبرياء وفي المؤنث إنني بريئة وبريئتان وفي الجمع بريئات وبرايا الجوهري رجل بريء وبراء مثل عجيب وعجاب وقال ابن بري المعروف في براء أنه جمع لا واحد وعليه قول الشاعر

---

[٣٠١] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٤٣٧٢ ، ٤٣٢/١ .

[٣٠٢] ابن فارس ، مقاييس اللغة، مصدر سابق (١٤١/٦).

رأيت الحرب يجنبها رجال ... ويصلى حرها قوم براء[٣٠٣]

ومعنى الولاء والبراء في الاصطلاح : أن يحب أهل التوحيد والإخلاص ويوالهم ، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم ، وذلك من ملة إبراهيم والذين معه ، الذين أمرنا بالاقتداء بهم[٣٠٤] ، حيث يقول سبحانه وتعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ سورة : الممتحنة ، آية : ٤.

ويوضح ذلك أن المؤمنون إخوة في الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم ؛ فهم إخوة متحابون يقتدى آخرهم بأولهم ، ويتبادلون الدعاء والاستغفار ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(سورة : الحشر ، آية : ١٠) .

(وللولاء والبراء مظاهر تدل عليهما :

أولاً - من مظاهر موالاة الكفار :

١ ــ التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما ؛ لأن التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما ، يدل على محبة المتشبه به ، ولهذا قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "من تشبه بقوم فهو منهم "[٣٠٥]....

٢ ــ الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين ؛ لأجل الفرار بالدين ؛ لأن الهجرة بهذا المعنى ، ولهذا الغرض واجبة على المسلم ؛ لأن إقامته في بلاد الكفر تدل على موالاة الكافرين - ومن هنا حرَّم الله إقامة المسلم بين الكفار عند قدرته على الهجرة ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً،

---

[٣٠٣] ابن منظور ، لسان العرب، مصدر سابق،٣١/١ .

[٣٠٤] الفوزان، صالح الفوزان، الإرشاد إلى تصحيح الاعتقاد ، مرجع سابق ، ص٤٢٢ .

[٣٠٥] السجستاني،سنن أبي داود، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٤٤١ ، وقال الألباني : حديث حسن صحيح .

فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (سورة : النساء ، آية : ٩٧-٩٩) .

٣ ــ السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس ، فالسفر إلى بلاد الكفار مُحرَّم إلا عند الضرورة - كالعلاج والتجارة وتعلم التخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم - فيجوز بقدر الحاجة ، وإذا انتهت الحاجة وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين.

٤ ــ الاستعانة بهم والثقة بهم ، وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين ، واتخاذهم بطانة ومستشارين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ، هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ﴾(سورة : آل عمران ، آية : ١١٨-١٢٠) .

٥ ــ إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ، ومدحهم والذب عنهم ، وهذا - من نواقض الإسلام ، وأسباب الردة - نعوذ بالله من ذلك ؛ فهذه الآيات الكريمة تشرح دخائل الكفار وما يكنونه نحو المسلمين من بغض وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة وما يحبونه من مضرة المسلمين وإيصال الأذى إليهم بكل وسيلة، وأنهم يستغلون ثقة المسلمين بهم فيخططون للإضرار بهم والنيل منهم.....

٦ ــ التأريخ بتاريخهم خصوصًا التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي .

ولتجنب هذا يجب علينا التأريخ بالعام الهجري اقتداءً بالسلف ؛ فحينما أراد الصحابة - رضي الله عنهم - وضع تاريخ للمسلمين في عهد الخليفة عمر - رضي الله عنه - عدلوا عن تواريخ الكفار وأرّخوا بهجرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مما يدل على وجوب مخالفة الكفار في هذا وفي غيره ، مما هو من خصائصهم - والله المستعان.

٧ ــ مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها ، أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها ، وقد فسر ذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ (سورة : الفرقان ، آية : ٧٢) .

٨ ــ مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة ، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم ، دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد، قال تعالى : ﴿ ولاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرُ وَأَبْقَى ﴾ (سورة : طه ، آية : ١٣١) ، وليس معنى ذلك أن المسلمين لا يتخذون أسباب القوة من تعلم الصناعات ، ومقومات الاقتصاد المباح ، والأساليب العسكرية ، بل كل ذلك مطلوب ، قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (سورة : الأنفال ، آية : ٦٠) .

٩ ــ التسمِّي بأسمائهم : بحيث يسمي بعض المسلمين أبناءهم وبناتهم بأسماء أجنبية ، ويتركون أسماء آبائهم ، وأمهاتهم ، وأجدادهم ، والأسماء المعروفة في مجتمعهم ، وقد قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن "[٣٠٦] ، وسبَّبَ تغيير الأسماء والتسمي ببعض الأسماء الغربية : انفصال بين هذا الجيل والأجيال السابقة ، وقطع التعارف بين الأسر التي كانت تعرف بأسمائها الخاصة.

١٠ ــ الاستغفار لهم والترحم عليهم ، وقد حرَّم الله ذلك بقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (سورة : التوبة ، آية : ١١٣) ؛ لأن هذا يتضمن حبهم وتصحيح ما هم عليه.

ثانيًا – من مظاهر موالاة المؤمنين :

١ ــ الهجرة إلى بلاد المسلمين وهجر بلاد الكافرين ، والهجرة هي الانتقال من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين ؛ لأجل الفرار بالدين ، والهجرة بهذا المعنى ، ولأجل هذا الغرض واجبة وباقية إلى طلوع الشمس من مغربها عند قيام الساعة ، وقد تبرأ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، من ثم يحرم على المسلم الإقامة في بلاد الكفار إلا إذا كان لا يستطيع الهجرة منها، أو كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام .

---

[٣٠٦] رواه احمد ، مصدر سابق، رقم الحديث١٧٦٤٣، ٤/ ١٧٨.

٢ ــ مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس ، والمال ، واللسان ، فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم ، قال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (سورة : التوبة ، آية : ٧) .

٣ ــ التألم لألمهم والسرور بسرورهم ، قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم ،كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "[٣٠٧] ، وقال أيضًا ــ عليه الصلاة والسلام ــ: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا وشبك بين أصابعه ــ صلى الله عليه وسلم ــ " [٣٠٨].

٤ ــ النصح لهم ومحبة الخير لهم وعدم غشهم وخديعتهم ، قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " [٣٠٩] .

٥ ــ احترامهم وتوقيرهم وعدم تنقصهم وعيبهم ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة : الحجرات آية : ١١-١٢) .

٦ ــ أن يكون معهم في حال العسر واليسر والشدة والرخاء ، بخلاف أهل النفاق الذين يوالون المؤمنين في حالة اليسر والرخاء ويخالفونهم في حال الشدة ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة : النساء ، آية : ١٤١) .

٧ ــ زيارتهم ومحبة الالتقاء بهم والاجتماع معهم ، وفي الحديث القدسي : (حقَّت محبتي للمتزاورين فيَّ) [٣١٠] ، وفي حديث آخر: (أن رجلاً زار أخًا له في الله فأرصد الله على

---

[٣٠٧] . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ، ج ٤ ، ص ١٩٩٩ ، رقم الحديث ٢٥٨٦.

[٣٠٨] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ج٢ ، ص٨٦٣ ، رقم الحديث ٤٦٧، . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ،مصدر سابق،رقم الحديث ٦٧٥٠ .

[٣٠٩] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ، ج١ ، ص ١٤ ، رقم الحديث ١٣ ، . النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ، ج١ ، ص٤٩ ، رقم الحديث ١٧٩ .

مدرجته ملكًا – فسأله أين تريد؟ قال أزور أخًا لي في الله ، قل: هل لك عليه من نعمة تربها عليه ، قال : لا ، غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه) [٣١١] .

٨ ــ احترام حقوقهم ، فلا يبع على بيعهم ، ولا يسوم على سومهم ، ولا يخطب على خطبتهم ، ولا يتعرض لما سبقوا إليه من المباحات ، قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " ألا لا يبع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبته " [٣١٢] ، وفي رواية : "ولا يسم على سومه".

٩ ــ الرفق بضعفائهم ، كما قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا " [٣١٣]، وقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ : "هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم " [٣١٤].

١٠ ــ الدعاء لهم والاستغفار لهم،قال تعالى:﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾(سورة:محمد، آية:١٩).

تنبيه :

بالنظر في قوله تعالى: { لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(سورة : الممتحنة ، آية : ٨) ، نجد معناه أن من كف أذاه من الكفار فلم يقاتل المسلمين ، ولم يخرجهم من ديارهم ؛ فإن المسلمين يقابلون ذلك بمكافأته بالإحسان والعدل معه في التعامل الدنيوي ولا يحبونه بقلوبهم ؛ لأن الله قال: {أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ}، ولم يقل توالوهم وتحبوهم ؛ ولأن في الصلة ، وحسن المعاملة : ترغيبًا للكافر في الإسلام ، فهما من وسائل الدعوة ، بخلاف المودة ، والموالاة فهما : يدلان على إقرار الكافر على ما هو عليه والرضا عنه ، وذلك يسبب عدم دعوته إلى الإسلام .

---

[٣١٠] مسند الإمام أحمد ، مصدر سابق ، ج ٣٦ ، ص ٣٨٤ ، رقم الحديث ٢٢٠٦٤ .

[٣١١] . النيسابوري، صحيح مسلم ، ج٤ ، ص١٩٨٨ ، رقم الحديث ٢٥٦٧ .

[٣١٢] . النيسابوري، صحيح مسلم ، ج ٢ ، ص١٠٣٢ ، رقم الحديث ١٤١٢ .

[٣١٣] مسند الإمام أحمد ، مصدر سابق ، ج ١١، ص ٥٢٩، رقم الحديث ٦٩٣٧ .

[٣١٤] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، ج ٧، ص ٣٧٥ ، رقم الحديث ٢٨٩٦ .

وكذلك تحريم موالاة الكفار لا تعني تحريم التعامل معهم بالتجارة المباحة ، واستيراد البضائع والمصنوعات النافعة ، والاستفادة من خبراتهم ومخترعاتهم ، فالنبي – صلى الله عليه وسلم– استأجر ابن أريقط الليثي ؛ ليدله على الطريق ، وهو كافر ، واستدان من بعض اليهود .

وما زال المسلمون يستوردون البضائع والمصنوعات من الكفار ، وهذا من باب الشراء منهم بالثمن ، وليس لهم علينا فيه فضل ومِنَّة ، وليس هو من أسباب محبتهم وموالاتهم ، فإن الله أوجب محبة المؤمنين وموالاتهم وبغض الكافرين ومعاداتهم .

أقسام الناس فيما يجب في حقهم من الولاء والبراء :

الناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام :

القسم الأول – من يحب محبة خالصة لا معادة معها : وهم المؤمنون الخلّص من الأنبياء ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وفي مقدمتهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإنه تجب محبته أعظم من محبة : النفس ، والولد ، والوالد ، والناس أجمعين ، ثم زوجاته أمهات المؤمنين ، وأهل بيته الطيبين ، وصحابته الكرام – خصوصًا الخلفاء الراشدين وبقية العشرة والمهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان – ثم بقية الصحابة – رضي الله عنهم – أجمعين ، ثم التابعين والقرون المفضلة وسلف هذه الأمة وأئمتها – كالأئمة الأربعة ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة : الحشر ، آية : ١٠) ، ولا يبغض الصحابة وسلف هذه الأمة من في قلبه إيمان ، وإنما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام ؛ كالرافضة والخوارج نسأل الله العافية .

القسم الثاني – من يبغض ويعادي بغضًا ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما : وهم الكفار الخلَّص من : المشركين ، والمنافقين ، والمرتدين ، والملحدين على اختلاف أجناسهم ، كما قال تعالى: { لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ }(سورة : المجادلة ، آية: ٢٢) ، وقال تعالى مُوبِّخاً بني إسرائيل: { تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ

أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ، وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ }(سورة : المائدة ، آية:٨٠-٨١).

القسم الثالث : من يحب من وجه ويبغض من وجه : فتجتمع فيه المحبة والعداوة ، وهم : عصاة المؤمنين ، يُحَبون ؛ لما فيهم من الإيمان ، ويُبغَضون لما فيهم من المعصية ، التي هي دون الكفر والشرك ، ومحبتهم تقتضي : مناصحتهم والإنكار عليهم ، فلا يجوز السكوت على معاصيهم ، بل ينكر عليهم ويؤمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وتقام عليهم الحدود والتعزيرات ، حتى يكفوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم ، ولكن لا يُبغضون بغضًا خالصًا ويتبرأ منهم ، كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك ، وقد تغير الوضع وصار غالب موالاة الناس ومعاداتهم لأجل الدنيا ، فمن كان عنده طمع من مطامع الدنيا وَالُوه ، وإن كان عدوًّا : لله ، ولرسوله ، ولدين المسلمين ، ومن لم يكن عنده طمع من مطامع الدنيا عادوه ، ولو كان موالياً لله ولرسوله عند أدنى سبب ، وضايقوه واحتقروه...)[٣١٥]

من هنا نلحظ أن الولاء والبراء صفة أولياء الله ؛ فهو تعالى وليهم وناصرهم ومعينهم، ومجيب دعوتهم ، ولقد كانت – رضي الله عنها- قوية الإيمان ، مطيعة لله ورسوله ، سريعة الاستجابة للدين الإسلامي ، مبغضة لأهل الشرك والضلال ، غير متبعة الهوى أو مبتدعة ، و لم يثبت أنها شاركت قومها عبادة الأوثان أو تقربت لشيء منها بشيء ؛ ففي رواية عفيف الكندي ، كما سبق في مبدأ الإيمان أنها: صلت مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عند الكعبة غير آبهة بما قد يحدث لها من قومها ، معلنة معارضتها لعبادة الأوثان جهراً بعد رفضها سراً .

كما كانت مقاطعتها لأخيها نوفل بن خويلد دليلاً آخراً على براءتها من الشرك وأهله فقد كان شديد العداء للإسلام وهو الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفنا شر ابن العدوية "[٣١٦].

---

[٣١٥] الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، مرجع سابق ، ص ٤٢٤- ٤٤٧

[٣١٦] البيهقي، ابي بكر احمد بن الحسن: دلائل النبوة للبيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، القاهرة دار الريان ،١٤٠٨هـ، ٣٧/٢

وكذلك تركت مكانتها في أسرتها ودخلت مع بني هاشم في شعبهم ، تاركة الترف والغنى ، وارتضت الفقر والنبذ والحرمان في سبيل الفوز بحب الله ورسوله ، من ثم رضيت بالبقاء إلى جوار زوجها ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وقد جاء الإسلام الحنيف وأقر هذا المبدأ ، مبيناً أن الموالاة لا تكون إلا لله وحده ؛ لذا يجب موالاة المؤمنين، ونبذ الكافرين ، من ثم حث الإسلام على الولاء والبراء ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة : البقرة ، آية :٢٥٧) فلا خير من موالاة الله للمؤمنين، ولا أذل وأحط من موالاة الشيطان لحزبه ، وقال أيضاً : ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾(سورة: النساء ،آية :٨٩)،وبيَّنت هذه الآية رغبة الكافرين الكامنة في قلوبهم من تحول المسلمين إلى الكفر بعد الإيمان ، فيصيرون في الكفر سواء ، كذا يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(سورة : المائدة ، آية :٥٥).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ لأَبِي ذَرٍّ " أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَظُنُّهُ قَالَ: أَوْثَقُ؟ ، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ:الْمُوَالاةُ فِي اللَّهِ ، وَالْمُعَادَاةُ فِي اللَّهِ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ " [٣١٧].

كما حث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الولاء والبراء في أحاديث كثيرة ، منها : عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ لِنَوْفَلٍ " اقْرَأْ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنْ الشِّرْكِ " [٣١٨] .

وقد قام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالتطبيق الفعلي لهذا المبدأ : فعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ أَنَّهَا قَالَتْ : " خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قِبَلَ بَدْرٍ فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ ،

---

[٣١٧] الطبراني ، المعجم الكبير ، مصدر سابق، رقم الحديث ١١٣٧٢ .

[٣١٨] السجستاني،سنن أبي داود، مصدر سابق ، رقم الحديث ٥٠٥٥ ، ١٧٣٣/١ .

فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حِينَ رَأَوْهُ فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قَالَ : لَا ، قَالَ : فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ ، قَالَتْ : ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، قَالَ : فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ ، قَالَ : ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ : تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَانْطَلِقْ "[٣١٩].

وعَنْ قَيْسٍ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ سَرِيَّةً إِلَى خَثْعَمٍ ؛ فَاعْتَصَمَ نَاسٌ مِنْهُمْ بِالسُّجُودِ ، فَأَسْرَعَ فِيهِمْ الْقَتْلَ ، قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَأَمَرَ لَهُمْ بِنِصْفِ الْعَقْلِ ، وَقَالَ : أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ قَالَ لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا "[٣٢٠].

من أبرز الثمرات التربوية التي يجنيها المسلم عند تطبيق مبدأ الولاء والبراء :

١- أنه صفة من صفات أولياء الله وأحباؤه .

٢- إن الله مع أوليائه المؤمنين ناصرهم ، ومؤيدهم ، ومجيب دعوتهم .

٣- بالولاء والبراء يتحقق إخلاص العبادة لله .

---

[٣١٩] النيسابوري، صحيح مسلم رقم الحديث ١٨١٧ ، ١١١٩/١

[٣٢٠] ا السجستاني،سنن أبي داود، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٦٤٥ ،١/ ١٥٤٦

الفصل الرابع :

دور وسائط التربية في تفعيل المضامين التربوية :

ويتكون هذا الفصل من مبحثين :

- **المبحث الأول : الأسرة .**
- **المبحث الثاني : المدرسة.**

إن لكل مشروع ناجح وسائل تناسبه وتحقق أهدافه ؛ فإنشاء مصـــنع يحتـــاج إلى : آليات، ومهندسين ، وعمال ، وتأسيس صرح تعليمي يحتاج إلى : مبنى في موقع متميز ذي كثافة سكانية عالية، وإدارة ناجحة ، ومدرسين أكفاء ، وإشراف تربوي بنَّاء ، وكذلك فإن تطبيق المضامين التربوية المستنبطة من سير الصالحين وخصوصاً سيرة أم المؤمنين خديجـــة – رضي الله عنها – على الناشئة والجيل الجديد ؛ فإنه مشروع كبير يحتاج إلى وسائل مادية ، وبشرية ذات أثر معنوي عظيم كالمسجد ، والأسرة ، والمدرسة ، والمجتمع ، والمعلـــم ، أو المربي ، والإعلام ، والمناهج ، وغيرها من الوسائط التي يمكن تفعيل تلـــك المضـــامين مـــن خلالها.

وسنعرض في هذا الفصل إن شاء الله تعالى وسيلتين مهمتين من وسائل تنمية هـــذا المشروع، وهما : الأسرة ، والذي يمثلها الوالدين ، والمدرسة ، والتي يمثلها في بحثنـــا هـــذا المعلم.

المبحث الأول – الأسرة :

إن الأسرة : هي الخلية الأولى لبناء المجتمع الصالح ، لذا اهتم الإسلام بها اهتماماً كبيراً ، فكان أول من أمر الله رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إبلاغه هم أقرب الناس إليه ، قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ (سورة : الشعراء ، آية : ٢١٤) ، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (سورة : طه ، آية : ١٣٢) ، ومن اهتمام الإسلام أن وضع لها فقه خاص بأحكام الأسرة من قبل بداية الزواج إلى الوفاة .

التعريف بالأسرة :

الأسرة في اللغة :الأُسْرة : الدرع الحصينة ، وأسرة الرجل : عشيرته ورهطه الأدنون ؛ لأنه يتقوى بهم ، والأسرة عشيرة الرجل وأهل بيته " [٣٢١] ، ويقول صاحب القاموس المحيط : الأُسرة بالضم الدرع الحصينة، من الرجل الرهط الأدنون "[٣٢٢].

وبتوجيه النظر لهذا التعريف اللغوي يتبين ، " أن أسرة الرجل بمثابة القوة له ، وهي سبب في حمايته وصيانته عن كل ما يسوؤه ، كما يتضح أن لفظ الأسرة يطلق ويراد به قرابة الرجل وأهل بيته ممن تلزمه نفقتهم من أب وأم وزوجة وولد .

كما يلحظ أن الأسرة في الإسلام لا يمكن تكوينها إلا عن طريق الزواج الشرعي ، الذي أكرم الله به أهل الإسلام من لدن آدم – عليه السلام– ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها " [٣٢٣] .

الأسرة في الاصطلاح : هي عشيرة الرجل وأهل بيته ؛ لأنه يتقوى بهم [٣٢٤] ، وقيل هي : الوحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني ، وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجماعي والقواعد التي تقررها المجتمعات المختلفة [٣٢٥].

---

[٣٢١] ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق ج٤ ، ص ١٩– ٢٠ .

[٣٢٢] الفيروزبادي، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، بيروت ، دار الرسالة، ٤٣٨/١.

[٣٢٣] الحدري ، خليل عبدا لله عبد الرحمن : التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها ، مطابع جامعة أم القرى ، ١٤١٨هـ ، ص٣٣٣ .

[٣٢٤] ابن الأثير، ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، بيروت ، المكتبة العلمية ، ١٣٩٩هـ، ٤٨/١ .

[٣٢٥] الجرجاني ، كتاب التعريفات ، مصدر سابق ، ص ٨١ .

فالأسرة لبنة من لبنات المجتمع الإسلامي ، وبها قوامه ، ففيها تلتقي النفوس على المودة والرحمة، والتعاطف والستر ، وفي كنفه تنبت الطفولة.

وقد يكون أقرب التعاريف هو: أنها الجماعة التي تعيش في محيط مكاني واحد وتربطهم صلة قرابة [٣٢٦].

أركان الأسرة :

إن الأسرة في الإسلام تتكون من ثلاثة أركان : وهي الأب ، والأم ، والأطفال ، وهذه هي الأسرة التي اهتم الإسلام بها وبعلاقة أفرادها بعضهم البعض ، قال الله تعالى في علاقة الأبناء بآبائهم: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾ (سورة : الإسراء ، آية : ٢٣) ، فحث الله الأبناء بالإحسان للآباء في كبرهما مقابل إحسان الآباء لهم في صغرهم ، ومن الإحسان لهما عدم التفوُّه لهما ولو بجزء من كلمة يدل على الضيق من طلباتهما .

ويقول أيضاً: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (سورة : لقمان ، آية : ١٤) ، فقد ربط تعالى شكر الوالدين بشكر الله ؛ لأن الفضل أولاً للخالق ، ثم إلى الوالدين اللذان أولاك الحماية والرعاية ، فهما أحق بالشكر ورد بعض الجميل لهما بعد كبرهما .

ويقول تعالى في توضيح مدى علاقة الوالدين بأولادهم وهم في سن الرضاعة : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة : البقرة، آية : ٢٣٣) .

---

[٣٢٦] الحازمي،خالد بن حامد: المشكلات التربوية الأسرية والأساليب العلاجية، الطبعة الثالثة، دار الزمان، المدينة المنورة ١٤٢٨هـ، ص١١ .

أهمية الأسرة في الإسلام :

(لقد اهتم الإسلام بالأسرة اهتماماً بالغاً ، وجعلها الخلية الأولى في المجتمع ، وأوضح جميع ما تحتاج إليه ، وبيَّن أنها المأوى الطبيعي للناشئة الصاعدة ، التي تشب فيها على مشاعر : المحبة ، والرحمة ، والتكافل – وهذه المشاعر الثلاثة هي ركائز الإسلام – لتصبح هذه الركائز جزءاً من طبيعتها ، وخلقاً أصيلاً يكيِّف ويضبط سلوكها ؛ ليبنى على أساسها مجتمع التقوى والعمل الصالح .

فإذا قام الأبوان بدورهما كاملاً في تنشئة أبنائهما على تشرب روح التعاليم الإسلامية ، وحرصاً على تفادي عناصر التفكك الأسري ،كانت هذه الخلية صالحة وأنبتت رجالاً ونساءً صالحين ، يسهمون في إسعاد أنفسهم ، وتقدم مجتمعهم نحو الأفضل .

ومن هنا تبرز لنا الآية الكريمة : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة : الحجرات ، آية : ١٣) .

وبهذا تخرج البشرية من طور الفردية إلى رحابة الإنسانية ؛ لتدخلها من أوسع أبوابها ، وهو باب التعارف : الذي يعود إلى التعاون والحركة ، وغيرها من المصالح المرسلة) [٣٢٧] .

من ثم ينبغي للأسرة أن تعي دورها جيداً ، وتعمل وفق منهج التربية الإسلامية ، وتحمل كامل المسؤولية من كل فرد امتثالاً لما جاء في الحديث النبوي : " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " [٣٢٨] .

"وقد يكتسب الفرد الصفات النفسية من البيئة المحيطة به ، سواء من محيط الأسرة أو في محيط المجتمع ، فكل خلل في ذلك المحيط ينعكس على سلوك وتصرفات ذلك الفرد ، حتى تصبح جزءاً من تكوينه وتركيبه النفسي، ويُعد الفشل في الحياة الأسرية من أهم الأسباب المؤدية إلى جنوح الأفراد واكتسابهم بعض الصفات السيئة" [٣٢٩] .

---

[٣٢٧] خوجه ، عبد المقصود محمد سعيد :التعامل مع الإرهاب العنف والتطرف، مصدر الكتاب : موقع الإسلام http://www.al-islam.com ، ص ٩-١٣ .

[٣٢٨] رواه البخاري ، مصدر سابق رقم الحديث٨٩٣ ، ١/ ٩٦

[٣٢٩] السدلان ، صالح بن غانم :أسباب الإرهاب والعنف والتطرف مصدر الكتاب :موقع الإسلام http://www.al-islam.com ، ص ٣٢ .

وظيفة الأسرة :إن قيام أفراد الأسرة بوظائفهم التي أقرتها التربية الإسلامية تنعكس نتائجها على الأسرة وعلى المجتمع ومن ابرز هذه الوظائف :

١- مراعاة حقوق الله عز وجل : " وتتمثل هذه الوظيفة في تمسك الأب والأم بالعقيدة الصحيحة ، ومراقبتهما حدود الخالق ، وتطبيق قواعد الشريعة فيما يتعلق بعلاقة كل منهما بالآخر ، وبفعل ذلك يرسمان أنموذجاً إسلامياً للطفل، يتربى في أحضانها حيث يستمع الأخير ويرى ويطبق ما يراه ويسمعه من عبارات والديه ، وينشأ على العقيدة الإسلامية التي هي شريعة الله ، وطريقة تعامل أبويه بمثابة تحصين له ضد الانحراف إلى مسالك الفساد ودروب الجريمة" [٣٣٠].

٢- إشباع ما فطر عليه الإنسان من غريزة [٣٣١]، قال الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (سورة : آل عمران ، آية : ١٤).

٣- (الإنجاب ، وذلك اتباعاً لسنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعن معقل بن يسار قال : جاء رجل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَقَالَ : إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا فَنَهَاهُ ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَنَهَاهُ ، فَقَالَ :" تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُم[٣٣٢] ".

٤- تحصين الإنسان من الوقوع في المحرم كالزنا ، قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ "[٣٣٣].

٥- إرواء عاطفة الأبوة حيث أن الإنسان مفطور على ذلك [٣٣٤]، قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ

---

[٣٣٠] الحقيل ، سليمان بن عبد الرحمن :متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا مصدر الكتاب : موقع الإسلام http://www.al-islam.com ، ص ٩٥ .

[٣٣١] عمر ، كوثر محمد :عوامل استقرار الأسرة في الإسلام ، لبنان ، دار حضر ، ١٤١٧هـ ، ص٣١. .

[٣٣٢] الترمذي، سنن الترمذي ، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٢٢٧ ، ٢٤٨٤/٢ .

[٣٣٣] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٥٠٦٤ ، ٥١٧/١ .

الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (سورة : آل عمران ، آية : ١٤) .

٦-" إرواء الحاجة إلى المحبة عند الأطفال : فالرحمة بالأولاد من أهم الغرائز التي فطر عليها الإنسان والحيوان ، وجعلها الله أساساً من أسس الحياة النفسية والاجتماعية والطبيعية لكثير من الكائنات الحية..، فإذا لم تتحقق المحبة للأولاد بالشكل الكافي المتزن نشأ الطفل منحرفاً في مجتمعه لا يحسن التآلف مع الآخرين"[٣٣٥] .

٧- صون فطرة الطفل من الزلل والانحراف ، وقد أحال الإسلام كل انحراف يغيِّر فطرة الطفل ويحوِّله إلى طريق مضاد لتعاليم الدين ومبادئه بأن مصدره الأول : الأبوان أو من يقوم مقامهما من المربين ؛ وذلك لأن الطفل يولد صافي السريرة سليم الفطرة [٣٣٦]، وفي هذا المعنى المعنى يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما رواه عنه أبو هريرة — رضي الله عنه - : " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- :﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٣٣٧]" .

٨- (تكوين البناء الإنساني روحياً ، وعقلياً ، وجسدياً ، ووجدانياً ، وانفعالياً ، واجتماعياً ، لذا نجد أن الإسلام قد حرص على هذا التكوين ووضع أسسه في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ " [٣٣٨] ؛ وذلك ليضمن سلامة النسل من الأمراض الوراثية التي تنجب أولاداً معتوهين ومعوقين .

أما البناء الروحي والعقائدي للإنسان بعد مولده في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :" مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ

---

[٣٣٤] الحازمي، المشكلات التربوية الأسرية والأساليب العلاجية ، مرجع سابق ، ص١١- ١٤ .

[٣٣٥] النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، الطبعة الثانية،بيروت، دار الفكر ،١٤١٦هـ.

، ص ١٣٦ .

[٣٣٦] السابق ، ص ١٣٩ .

[٣٣٧] البخاري ، صحيح البخاري ، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٣٥٩ ، ١٤٠/١ .

[٣٣٨] القزويني ،سنن ماجة ، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٩٦٨ ،٢٨٧٩/٢ .

بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْـــهُ – :﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾" [٣٣٩].

ويقصد بالتربية الروحية : ترسيخ حب الله في قلوب الناشئة ، حيث يجعلهم يحرصون على إرضائه في كل أقوالهم ، وأعمالهم ، وسلوكياتهم ، وتصرفاتهم ، والاجتناب عن كل ما يغضبه ؛ فالتربية الروحية مستمدة من : الإيمان ، والعمل ، والعقيدة ، والأخلاق ، والموازنة بين مطالب الدنيا والآخرة بلا إفراط ، والقرآن الكريم أعطى للتربية الروحية كل صحيح ، وأضفى عليها كل عناصر الكمال والجلال، التي تجعلها صالحة لتكوين المؤمن الكامل روحياً ، وعقلياً ، ودينياً ، وخلقياً ، واجتماعياً ، ودينياً في الدنيا والآخرة ، وذلك وفقـــاً لقولـــه تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ {١} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ {٢} وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ {٣} وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ {٤} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ {٥} إِلَّـــا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ {٦} فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ {٧} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {٨} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَـــلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {٩} أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ {١٠} الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِـــدُونَ﴾ (سورة : المؤمنون ، آيات : ١-١١) .

أما التربية الخلقية : فهي عبارة عن مجموعة المبادئ الخلقية ، والفضـــائل الســـلوكية والوجدانية، التي يجب أن يتلقاها الطفل ويكتسبها ، ويعتاد عليها من تمييزه وتعلقه ، إلى أن يصبح مكلفاً ، إلى أن يندرج شاباً ، إلى أن يخوض خضم الحياة) [٣٤٠].

وترى الباحثة أن المسئولية الأولى في غرس هذه المبادئ والقيم الأخلاقية ، وتنميتـــها في النفوس تقع على الأسرة ؛ باعتبارها الموجه الأول ، والأساس ، والمسئول عن التربيـــة ، وغرس الفكر الصحيح ، وتنمية القيم ؛ فهي النواة الأولى للمجتمع ، بصـــلاحها يكـــون صلاح المجتمع ، وبفسادها فساده .

لذلك كان دور الأسرة في تنمية القيم الخلقية في نفوس أبناءها عظيم ؛ لأن تنشـــئة الأبناء تنشئة صحيحة على الأسس الإسلامية منذ بداية حياتهم ، وتربيتهم عليها يرسِّـــخ في

---

[٣٣٩] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٣٥٩ ، ١/١٤٠ .

[٣٤٠] علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام ، ط٢١، القاهرة ، دار السلام ، ١٤٢١هـــ،١/ ١٧٧.

نفوسهم تلك المبادئ ، والقيم ؛ فيسهل عليهم تقبلها ، والعمل بها ، وقد ذكر الزنتاني أن " الأسرة في نظر علماء النفس والتربية هي : المكان الأول ذو الخطورة الكبيرة في التنشئة الأخلاقية التي تتعدى تأثيراتها مرحلة الطفولة، وتمتد حتى فترة اكتمال نضج الفرد العقلي ،والنفسي ،والاجتماعي" [٣٤١].

ويقصد بالتربية العقلية : "تكوين فكر الولد بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية ، والثقافية العلمية والعصرية ،والتوعية الفكرية والحضارية ،حتى ينضج الولد فكرياً،ويتكون علمياً وثقافياً "[٣٤٢].

"ويقصد بها تأديب الولد منذ نعومة أظافره على التزام آداب اجتماعية فاضلة ، وأصول نفسية نبيلة ، تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة والشعور الإيماني العميق ؛ ليظهر الولد في المجتمع على خير ما يظهر به من حسن التعامل والأدب ، والعقل الناضج ، والتصرف الحكيم "[٣٤٣].

أما تربيته جسمياً ، فالمقصود منها :" عملية يقوم الفرد أو من يرعاه خلالها بنشاط جسمي منظم، بهدف تنمية قدرات الجسم المختلفة وزيادة كفاءته الحركية" [٣٤٤].

أما التربية الوجدانية :" فتشمل الانفعالات والعواطف والاتجاهات والميول ونحوها"، ويعبر عنها البعض بالتربية النفسية :" وهي تربية الولد منذ أن يعقل على : الجرأة ، والصراحة ، والشجاعة ، والشعور بالكمال ، وحب الآخرين ، والانضباط عند الغضب ، والتحلي بكل الفضائل النفسية والخلقية على الأخلاق" [٣٤٥].

---

[٣٤١] الزنتاني ، عبد الحميد الصيد ، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨٤م ، ص ٦٦١.

[٣٤٢] العلوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، مرجع سابق ، ١/٢٥٥ .

[٣٤٣] السابق ، ١/ ٣٥٣ .

[٣٤٤] أحمد ، المبروك عثمان : تربية الأولاد في الإسلام ، بيروت ، دار قتيبة ، ١٤١٣هـ ، ص ٦٣ .

[٣٤٥] العلوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، مرجع سابق ، ١/ ٣٠١ .

الحقوق والواجبات في الأسرة :

إن الزواج في الإسلام بناء قد يستمر مئات السنين ، والمسلم حين يتصور هذا الأمر فإنه يحسن الخطوة الأولى في تأسيس هذا البناء على تقوى من الله ورضوان ؛ لأن البناء إن لم يتأسس على ذلك فهو مهدد بالانهيار .

كذا فإن الزواج في الإسلام مودة ورحمة ومعاشرة بالمعروف ، ولا تستقيم الأسرة المسلمة إلا إذا عرف أفرادها ما لكل من الحقوق ، وما عليهم من الواجبات ، وسوف نورد في هذا المبحث إن شاء الله تعالى بعض الحقوق على سبيل الإجمال :

أولاً – حقوق الزوج على زوجته :

١ – **الطاعة** : فطاعة المرأة لزوجها واجبة عليها شرعاً ؛ لأن الزوج له حق القوامة عليها بنص القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ (سورة : النساء ، آية : ٣٤) .

ولقد جعل الإسلام طاعة المرأة لزوجها من أوجب الواجبات ، بل لقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن من أسباب دخول الجنة ، جملة من الأعمال الصالحة ، منها طاعة المرأة لزوجها ؛ فقد قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ " [٣٤٦].

يقول ابن تيمية:" إن المرأة لا تكون صالحة إلا إذا كانت مطيعة لزوجها وهذا يقتضي أن كل امرأة تكون صالحة فهي لا بد وأن تكونن قانتة مطيعة "[٣٤٧].

وتتمثل الطاعة في إجابة الزوج إذا دعاها إلى فراشه ولا يحق لها الامتناع إلا لعذر شرعي ، لذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة عن صوم التطوع إلا بإذن الزوج لما في ذلك من تفويت لحقه ، وتلمس الزوجة أثر الطاعة في الدنيا صفاء للجو العائلي و في الأخر نعيما

---

[٣٤٦] رواه الإمام أحمد في مسنده ،مصدر سابق ،ج٣ ، ص ١٩٩، رقم الحديث ١٦٦١، وصححه الألباني في صحيح الجامع،ج١،ص١٧٤.

[٣٤٧] مجموع فتاوي شيخ الإسلام احمد ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن النجدي، الرياض ، مطابع الرياض، ١٣٨٣هـ (٢٦٠/٣٢)

مقيما في الجنة ، وحدود هذه الطاعة أن لا تكون في معصية الله إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

"إن الإسلام يرسم للزوجة حق طاعتها لزوجها ؛ لتنتقل إلى بيت الزوجية ، وقد أيقنت وأدركت حقوقه عليها ؛ فتقوم بها على أكمل الوجوه ، تعبُّداً لله تعالى الذي أوجب عليها ذلك ، وفي هذا وقاية للأسرة من الفتن والقلاقل والنزاعات التي تذهب بالراحة والألفة ، وتحول البيت إلى جحيم دائم "[٣٤٨].

٢- الأمانة : فعلى الزوجة أن تحفظ زوجها عند غيبته في نفسها وماله وولده ، قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ (سورة : النساء ، آية: ٣٤) ، أي مطيعات لأزواجهن يحفظن أنفسهن وأموال أزواجهن وأولادهم في غيبتهم ، ويقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما يرويه البخاري : " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا،وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، قَالَ : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ : وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ "[٣٤٩].

يقول الإمام الرازي :" إى حافظات بمواجب الغيب وذلك من وجوه: أحدهما أنها تحفظ نفسها عن الزنى لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ولئلا يلتحق به الولد المتكون من نطفة غيره،وثانيها حفظ ماله من الضياع ،وثالثها حفظ مترله عما لا ينبغي "[٣٥٠].

"وكذلك يدخل في ذلك أن لا تأذن لأحد دخول مترل زوجها إلا بإذنه سواء كان رجلا أو امرأة من محارم المرأة أو غير ذلك "[٣٥١].

فالزوج صاحب القوامة وصاحب الدار فمن الواجب ان تراعي مشاعره فلا تدخل أحد في بيته ممن يكره إلا بإذنه.

---

[٣٤٨] الحدري ، التربية الوقائية في الإسلام ، ، مرجع سابق ، ص٣٩٦ .

[٣٤٩] البخاري ، صحيح البخاري،، مصدر سابق ، رقم الحديث ٨٩٣ ، ١/ ٩٦ .

[٣٥٠] الفخر الرازي: التفسير الكبير ، ، بيروت ،دار التراث العربي، د.ت ٩٢/٥)

[٣٥١] النووي، محي الدين أبو زكريا بن شرف: المنهاج في شرح صحيح مسلم المسمى شرح النووي على مسلم ، دار الفكر ، بيروت،١٣٩٢هـ .(١٨٤/٨)

٣- حسن العشرة : يجب على الزوجة معاشرة زوجها بالمعروف ، فلا تؤذيه باللفظ ، أو الفعل ، ولا تشق عليه ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ "[٣٥٢] فمن المعاشرة بالمعروف طاعتها لزوجها فكلما زادت طاعتها لزوجها ازداد الحب والولاء بينهما، فالمرأة الصالحة تجد في الأسرة سعادتها فهي خير ما في الدنيا من نعم فهي قوة الرجل وعدته يأوي إليها بعد التعب فيجد فيها الراحة من آلام تعبه وتخفف عنه همومه وأحزانه وتجدد فيه النشاط، واهم القدوات في ذلك أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها حيث كانت رضي الله عنها تثبت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم وتهدئ خاطره من عوامل القلق والحرج التي كانت تساوره صلى الله عليه وسلم في بعض فتراته الأولى فأخذت تدخل السكينة في قلبه وتفتح له أمامه أبواب الأمل بكلمات رقيقة حيث تقول:" كلا والله لا يخزيك الله أبد انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نواب الحق".

وكانت رضي الله عنها تدافع عنه وتؤازره بنفسها ومالها وما كان صلى الله عليه وسلم يسمع شيئاً يكرهه منها، حتى أنه قال عنها صلى الله عليه وسلم بعد وفاتها " والله ما أبدلني الله خيرا منها " وقال كذلك" إني قد رزقت حبها" وقد مدحها في أحاديث كثيرة.

٤- حق التأديب : للزوج الحق في تأديب زوجته عند نشوزها أو عصيانها لأمر في غير معصية الله، قال تعالى: ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً ﴾ (سورة : النساء ، آية :٣٤) ، ويكون هذا الحق بالطرق المشروعة المذكورة في الآية ، حيث بدأ بالوسيلة الأولى : الوعظ ، ثم انتقل إلى الهجر في المضطجع ، ثم انتقل إلى الضرب غير المبرح ، وقد سئل ابن عباس عن الضرب غير المبرح قال : بالسواك .

٥- الحداد على الزوج إذا مات : والعدة هي المدة التي تنظر فيها المرأة وتمتنع عن الزواج بعد وفاة زوجها أو فراقه لها وهي واجبة .

وذلك إظهاراً من الزوجة لحب زوجها ، واعترافاً بالفضل والجميل ، وذلك بأن تتجنب الطيب والزينة ، وأن تلتزم بيت الزوجية مدة أربعة أشهر وعشرا ، قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ

---

[٣٥٢] النيسابوري، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٤٦٧، ١٠٢٦/١.

يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (سورة : البقرة ، آية : ٢٣٤) .

ثانياً – حقوق الزوجة على زوجها :

١– حسن المعاشرة : قال الله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ (سورة : النساء ، آية : ١٩) .

وحسن العشرة يكون باللين والرفق في المعاملة ، وأن يصبر عليها ، يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (سورة : النساء ، آية : ١٩) ، أي: طيِّبُوا أقوالكم لهن، وحَسِّنُوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ سورة البقرة:٢٢٨، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهْلِهِ، وأنا خَيْرُكُم لأهْلي" وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جَمِيل العِشْرَة دائم البِشْرِ، يُداعِبُ أهلَه، ويَتَلَطَّفُ بهم، ويُوسِّعُهُم نَفَقَتَه، ويُضاحِك نساءَه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يَتَوَدَّدُ إليها بذلك. قالت: سَابَقَنِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَسَبَقْتُهُ، وذلك قبل أن أحملَ اللحم، ثم سابقته بعد ما حملتُ اللحمَ فسبقني، فقال: "هذِهِ بتلْك" ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى مترلها. وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كَتِفَيْه الرِّداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل مترله يَسْمُر مع أهله قليلا قبل أن ينام، يُؤانسهم بذلك صلى الله عليه وسلم[٣٥٣] وقد قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ سورة الأحزاب: ٢١.

إن هذه الآية الكريمة التي تأمر بمعاشرة النساء بالمعروف ، قد جمعت كل بر وخير ، وحذرت من كل شر وضير ، فالزوج مطالب بحسن عشرته لزوجته ، بالتزام الأدب بالأقوال والأفعال والتصرفات التي تدخل السرور على النفس ، واجتناب كل ما يجرح

---

[٣٥٣] ابن كثير، تفسير القران العظيم ، مصدر سابق ، ص ٧٠١/١

الفؤاد ، ويثير الحفيظة ، وقاية للأسرة من كل ما من شأنه أن يزعزع كيانها ، ويقوض دعائمها ، ولا يقف الأمر عند مجرد حسن القول والفعل ، بل حتى في الهيئة والشكل ، فإن الزوج مطالب بأن يتجمل لزوجته ، في جسده ، وملبسه ، ورائحته ، فلا ترى منه إلا ما يسر النظر ، ويبهج الفؤاد ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة : البقرة ، آية : ٢٢٨) .

٢- **العدل** : ويكون من الزوج المعدِّد أي : المتزوج بأكثر من واحدة ، فيعدل بين أزواجه جميعاً في المعاملة ، والمطلوب هو : العدل الظاهر ، قال تعالى : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (سورة : النساء ، آية : ١٢٩) .

أما المتزوج بالواحدة فيكون العدل بأن : يطعمها مما يطعم ، ويكسوها مما يلبس ، ويسكنها السكن اللائق بها .

يقول الشيخ سيد قطب[٣٥٤] :(والعدل المطلوب هو العدل في المعاملة والنفقة والمعاشرة والمباشرة . أما العدل في مشاعر القلوب وأحاسيس النفوس فلا يطالب به أحد من بني الإنسان ، لأنه خارج عن إرادة الإنسان . . وهو العدل الذي قال الله عنه في الآية الأخرى في هذه السورة : { ولن تستيطعوا أن تعدلوا بين النساء - ولو حرصتم - فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة } هذه الآية التي يحاول بعض الناس أن يتخذوا منها دليلاً على تحريم التعدد . والأمر ليس كذلك . وشريعة الله ليست هازلة حتى تشرع الأمر في آية وتحرمه في آية بهذه الصورة التي تعطي باليمين وتسلب بالشمال! فالعدل المطلوب في الآية الأولى؛ والذي يتعين عدم التعدد إذا خيف ألا يتحقق؛ هو العدل في المعاملة والنفقة والمعاشرة والمباشرة وسائر الأوضاع الظاهرة بحيث لا ينقص إحدى الزوجات شيء منها؛ وبحيث لا تؤثر واحدة دون الأخرى بشيء منها . . على نحو ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو أرفع إنسان عرفته البشرية يقوم به . في الوقت الذي لم يكن أحد يجهل من حوله ولا من نسائه أنه يحب عائشة - رضي الله عنها - ويؤثرها بعاطفة قلبية خاصة لا تشاركها فيها غيرها . . فالقلوب ليست ملكاً لأصحابها . إنما هي بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها

---

[٣٥٤] سيد قطب : في ظلال القران ، دار الشروق ، ١٤٠٢هـ ، ٥٨٢/١.

كيف يشاء . . وقد كان – صلى الله عليه وسلم – يعرف دينه ويعرف قلبه . فكان يقول : " اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك"[٣٥٥]).

٣- **المهر** : وهو حق واجب للزوجة ؛ فيجب أن يؤديه على ما اتفق عليه ، ولا يجوز أن يستولى عليه أو ينكرها في مهرها ، قال الله تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾ (سورة : النساء ، آية : ٤) .

ونلحظ أن الأمر في الآية للوجوب ؛ فقد أوجب الله تعالى على الزوج وعلى الولي أن يعطي المرأة حقها الذي فرضه الله لها ، دون أن يبخس منه شيئاً ، وأخبر سبحانه وتعالى أن المرأة إن طابت نفسها عن شيء من صداقها لوليها أو غيره فلا بأس ، فقد أباح له القرآن الكريم أن يأكله هنيئاً مريئاً.

٤- **النفقة** : وهي كفاية من يمونه خبزا وإداماً وكسوة وسكنا وتوابعها كماء شرب وطهارة وإعفاف من يجب إعفافه ممن تجب نفقته والقصد هنا بيان ما يجب على الإنسان من النفقة بالنكاح وما يتعلق بذلك "[٣٥٦] .

النفقة واجبة للزوجة على زوجها بالكتاب والسنة والإجماع، وهي تجب على الزوجة اذا لم تكن ناشزاً.

والأصل في ذلك ، قول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ " دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِى رَقَبَةٍ وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِى أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ " [٣٥٧] ، فقد بين النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ " المصارف الشرعية للنفقة ، ثم كان أعظمها الدينار الذي ينفقه على أهله ، أي على من تلزمه نفقتهم من أم وأب وزوجة وولد ؛ فيكون هذا أفضل من تلك الدنانير التي أنفقت في الجهاد والرقاب وعلى الفقراء والمساكين ، وما ذاك إلا لعظم أثر هذا الإنفاق الذي تدخل به السرور على الأسرة ؛ فيظل بنيانها متماسكاً ، وعطاؤها مستمراً " [٣٥٨] ، وكذا قال الله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ

---

[٣٥٥] السجستاني ،سنن أبي داود ، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢١٣٤.، ١/١٥٠٧.

[٣٥٦] البهوتي ، منصور بن يونس : شرح منتهى الإرادات ،بيروت، عالم الكتب ، ١٤١٤هـ ٣/٢٢٥

[٣٥٧] النيسابوري، صحيح مسلم، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٣٥٨ ، ٣/ ٧٨ .

[٣٥٨] الحدري ، التربية الوقائية في الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٩٨ .

فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾(سورة : النساء ، آية : ٣٤) ، فالنفقة تشمل : الطعام ، والكسوة ، والسكن على قدر اليسار والإعسار ، قال الله تعالى: ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾ (سورة : الطلاق ، آية : ٧) ، وقد دعا الله أصحاب المال بالإنفاق والبذل والعطاء ، ولكن من قدر عليه رزقه و لم يملك من المال ما يساعده على الإنفاق على أهله ؛ فليصبر حتى يفرج الله همه ويوسع رزقه .

وقد سئل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما حق زوجة أحدنا عليه ، قال : " أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ " ، قَالَ أَبُو دَاوُد : وَلَا تُقَبِّحْ أَنْ تَقُولَ قَبَّحَكِ اللَّهُ " [٣٥٩].

ثالثاً – حقوق الأبناء على الآباء :

الأولاد هم الثمرة المرجوة من الزواج والإنجاب ، وهو المقصد الأهم من مقاصد النكاح ؛ لأن الأولاد هم الذين يُحفظ بهم النسل الإنساني واستمراره عبر الزمان ، وقد يخطأ كثير من الناس حينما يظن أن حقوق الأولاد تقتصر على النفقة فقط فيقصر في الأمور الأخرى ، من أجل ذلك اعتنى الإسلام بشأن الأولاد ، وجعل لهم حقوقاً على آبائهم ، منها على سبيل الايجاز :

١ – اختيار الأم الصالحة: وذلك بحسن اختيار أمه قال تعالى﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور آية ٣٢)

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ" تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ"رواه البخاري ومسلم

وبذلك يكون قد بدأ بتربية ولده قبل ولادة ابنه بعشرين عاما أو أكثر بإحسان اختيار أمه وفي هذا يقول بعض الحكماء " ابدأ بتربية ابنك قبل ولادته بعشرين عاماً".

---

[٣٥٩] السجستاني ،سنن أبي داود ، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢١٤٢ ، ١٥٠٨/١ .

فالأم تعتبر الركن الأهم في تربية الطفل وذلك لأن الأب يكون مشتغلا أغلب وقته خارج البيت وكما أن الأم أكثر التصاقا بالطفل وعاطفتها أكبر من عاطفة الأب نحو ابنه، لذلك حرص الإسلام على اختيار الزوجة الصالحة.

" روى أن رجلا جاء إلى أمير االمؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه ونسيانه لحقوقه فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب (أي القراءة). قال الولد: يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك. أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي وقد سماني جعلاً (أي خنفساً) و لم يعلمني من الكتابة حرفا واحدا. فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إلي تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك " [٣٦٠]

٢ – ثبوت النسب لآبائهم ، قال الله تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (سورة : الأحزاب ، آية :٥) .

٣– الرضاعة ، فقد أوجب الدين على الوالدين إرضاعاً لولدهما : فالأب يدفع أجرة الرضاعة إذا امتنعت الأم عن الرضاعة بسبب مانع ، والأم يجب عليها إرضاع ولدها ديناً فيما بينها وبين الله عز وجل ، قال تعالى﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة البقرة آية ٢٣٣) .

٤–الحضانة ، وهي تربية الولد ورعاية شؤونه ، وهي مبيَّنة في كتب الفقه .

٥– ملاطفتهم وملاعبتهم: إن ملاطفة الطفل وملاعبته لها أثر كبير في نشأة الطفل النشأة السليمة بإذن الله، لأن اللعب جزء لا يتجزأ من حياته وفيه فوائد كثيرة للطفل والطفل

---

[٣٦٠] العلوان ، تربية الأولاد، مرجع سابق ، ٣١٨/١ .

النشيط الذكي هو من يكثر من اللعب والحركة، وقد ورد في السنة ما يدل على ذلك فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي "[٣٦١]، وروى البخاري في صحيحه عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ " عَقَلْتُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ " ، وروى كذلك عنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ أَحْسِبُهُ فَطِيمًا وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ " يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ " نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا "[٣٦٢] ، و وروى كذلك عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ قَالَ فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ قَالَ ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ " .

و روى احمد في سننه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُفُّ عَبْدَ اللَّهِ وَعُبَيْدَ اللَّهِ وَكَثِيرًا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ثُمَّ يَقُولُ " مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقَعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ فَيُقَبِّلُهُمْ وَيَلْزَمُهُمْ " [٣٦٣] رواه احمد

وخرج الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ١١٠ : عن أبي هريرة رضي الله عنه" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدلع لسانه للحسن بن علي فيرى الصبي حمرة لسانه فيبهش إليه " .

٦-حسن التربية ، وذلك بإعدادهم إعداد صحيحاً : عقدياً ، وأخلاقياً ، وجسدياً ، ووجدانياً ، قال الإمام أحمد - رحمه الله - : وأما التعليم والتأديب ، فوقتهن أن يبلغ المولود من السن والعقل مبلغاً يحتملها ، وذلك يتفرع ، فمنها : أن ينشئه على أخلاق صلحاء المسلمين ويصونه عن مخالفة المفسدين ، ومنها : أن يعلمه القرآن الكريم ، ولسان العرب ، ويسمعه السنن ، وأقوال السلف ، ويعلمه من أحكام الدين ما لا غنى به عنه،

---

[٣٦١] الترمذي، سنن الترمذي ، مصدر سابق ، رقم الحديث٣٨٩٥. ٢٠٠١/١.

[٣٦٢] البخاري ، صحيح البخاري،، مصدر سابق ، رقم الحديث٦١٢٩، ٦٠٦/١.

[٣٦٣] رواه احمد، مصدر سابق ، رقم الحديث١٨٣٧، ٢١٤/١

ومنها : أن يرشده من المكاسب إلى ما يحمد ويرحب أن يرد عليه كفايته ، فإذا بلغ أحدهم حد العقل عرف البارئ جل جلاله إليه بالدلائل التي توصله إلى معرفته [٣٦٤].

قال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (سورة التحريم آية٦) عن الحسن ، في قوله : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) ، قال : يأمرهم بطاعة الله ويعلمهم الخير، وعن علي رضي الله عنه ، قال : علموهم وأدبوهم[٣٦٥] .

وقد حث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على تعليم الأولاد وتأديبهم ، منها قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ " [٣٦٦]، وقال أيضاً ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ " [٣٦٧] ، ويقول كذلك : " لَأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ كُلَّ يَوْمٍ بِنِصْفِ صَاعٍ"[٣٦٨] ، وفي ذلك إبراز مزية تربية الأولاد وتقديمها على سائر الأوليات ، وما كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليحثنا ويرشدنا إلا لما فيه الخير لنا ولأولادنا .

٧-العدل بين الأولاد ، قال الله تعالى : ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة : المائدة ، آية : ٨) ، وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ "[٣٦٩].

٨-حسن اختيار الاسم له ، وقد حث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أن يختار الأب لولده اسماً حسناً ، قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ

---

[٣٦٤] البيهقي ، شعب الإيمان مصدر سابق، ١/ ٣٩٧.

[٣٦٥] البيهقي، شعب الايمان ، مصدر سابق،رقم الحديث، ٣٩٧/٦.

[٣٦٦] السجستاني ،سنن أبي داود ،، مصدر سابق ، رقم الحديث ٤٩٤ ، ١٣٨٤/١ .

[٣٦٧] الترمذي ، سنن الترمذي ، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٩٥٢ ، ١٩٨٦/١ .

[٣٦٨] البيهقي ، شعب الإيمان ، مصدر سابق ، رقم الحديث ، ٣٩٩/٦ .

[٣٦٩] روا البخاري ، صحيح البخاري،، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٥٨٧ ، ٢٥٩/١ .

الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ " [٣٧٠] ، وقال أيضاً _عليه الصلاة والسلام _ : " إِنَّ أَحَبَّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ "[٣٧١].

بعض صفات الزوجة الصالحة المستنبطة من سيرة السيدة خديجة – رضي الله عنها – :

إن الْمَرْأَةَ سَكَنٌ لِلزَّوْجِ وَحَرْثٌ لَهُ ، وَأَمِينَتُهُ فِي مَالِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَوْضِعُ سِرِّهِ، وَعَنْهَا يَرِثُ أَوْلَادُهَا كَثِيرًا مِنَ الصِّفَاتِ ، وَيَكْتَسِبُونَ بَعْضَ عَادَاتِهِمْ مِنْهَا ، لِهَذَا حَضَّتِ الشَّرِيعَةُ عَلَى حُسْنِ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ ، وترى الباحثة أن من صفات الزوجة الصالحة المستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ما يلي :

أ- تقوى الله عز وجل والبعد عن المعاصي :

إن المعاصي تهلك الدول وتزلزل الممالك.. فالزوجة العاقلة الطائعة لله ورسوله ، تحافظ على بيتها بفعل الطاعات ونبذ المنكرات ، فلا تترك الصلاة أو تأخرها ، ولا تجالس أصحاب الغيبة والنميمة ، وتهتم بتربية الأبناء ، و لا تقلد الكافرات ، ولا تصاحب أهل الفسق والفجور..

ولا يخفى على أحد قوة إيمان أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – وصمودها ضد أهل الشرك والضلال ، فمنذ بزوغ شمس الإسلام لم تتوان فكانت أول المسلمين إسلاماً ، وقبل ذلك لم تنسى كتب السيرة وقوفها مع النبي _ صلى الله عليه وسلم _ وتثبيتها له _ صلى الله عليه وسلم _ عند نزول الوحي عليه أول مرة ، فقد أوتيت إيماناً ويقيناً ثابتاً ثبوت الجبال الراسيات لا تهزها الرياح أو الأعاصير، واستمرت تعطي وتبذل كل غالٍ ونفيس في سبيل نشر الدعوة ، والوقوف بجانب زوجها الحبيب _ صلى الله عليه وسلم _ بكل تفانٍ وإخلاص .

ب- التعرف على خِلال الزوج :

أن تتعرف المرأة على زوجها ، تعرف ماذا يحب فتحاول أن تلبيه ، وتعرف ماذا يكره فتحاول أن تجتنبه، ما لم يكن في التلبية أو الاجتناب لأمره معصية لله ؛ فعندئذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولنا في السيدة خديجة – رضي الله عنها- الأسوة الحسنة ، حيث

---

[٣٧٠] السجستاني ،سنن أبي داود ،، مصدر سابق ، رقم الحديث ٤٩٤٨ ، ١٧٢/١ .

[٣٧١] الترمذي ، سنن الترمذي ، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٨٣٤ ، ٢٠٨٢/١ .

ذكر لنا التاريخ أنها حينما تزوجت بالرسول الكريم ـصلى الله عليه وسلم ـ عرفت عادته ، وهي خلوه بنفسه في غار حراء الليالي الطوال، فاحترمت رغبته وساعدته ، فكانت تزوِّده بالمئونة بنفسها ، وكثيراً ما تقلق عليه فتذهب للاطمئنان عليه، ثم تعود إلى بيتها .

ت- طاعة الزوج وحسن المعاشرة :

إن حق الزوج على زوجته عظيم.. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه - عَنْ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : " لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا " [٣٧٢] ، وأول هذه الحقوق : الطاعة في غير معصية الله ، وحسن عشرته ، وعدم معصيته ، فعن ابن عمر- رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ " اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما : عبد آبق من مواليه حتى يرجع ، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع " [٣٧٣] ؛ لذلك قالت عائشة أم المؤمنين تعظ النساء : ".. يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها " [٣٧٤].

وبطاعة الزوج وحسن معاشرته تكون الزوجة خير النساء ، قيل يا رسول الله أي النساء خير؟، قال: " الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ " [٣٧٥]، إذن فلتعلم المرأة أنها إن قامت بذلك فهي من أهل الجنة بإذن الله ؛ لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، قِيلَ لَهَا : ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ " [٣٧٦].

ولقد كانت - رضي الله عنها - تحاول بكل وسيلة ممكنة إدخال السرور إلى قلب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإرضائه وطاعته بصورة منقطعة النظير ، حتى قيل : أنها

---

[٣٧٢] رواه أحمد والترمذي ، وصححه الألباني ، برقم ٥٢٩٤ .

[٣٧٣] رواه الطبراني والحاكم في المستدرك ، وصححه الشيخ الألباني، في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٨٨.

[٣٧٤] الذهبي ، شمس الدين كتاب الكبائر ،ط٢ ، لبنان ،مؤسسة الريان، ١٤١٧هـ ،ص ١٧٤،.

[٣٧٥] النسائي ، سنن النسائي ، ج ٦ ، ص ٦٨ ، رقم الحديث ٣٢٣١.

[٣٧٦] رواه أحمد ، إسناده حسن ، ج٣ ، ص ١٩٩ ، رقم الحديث ١٦٦١.

كانت حريصة على رضاه بكل ممكن ، و لم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها "[٣٧٧].

من ثم استحقت بكل جدارة أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب؛ لأنها وفرت للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الهدوء التام في بيته ، وساندته في الدعوة دون معارضة بل بدافع إيماني من ذات نفسها ، وتحملت معه ـصلى الله عليه وسلم ـ كل الضغوط والآلام من أجله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن أجل الدعوة الإسلامية فكانت نعم الزوجة ونعم الأم على مدى خمس وعشرين عاماً من الزواج المبارك .

ث- القناعة:

على المرأة المسلمة أن ترضى بما يقسم لها من الله قل أو كثر ، فلا تطلب من زوجها مالا قدرة له عليه ، فقد ورد في الأثر عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – عَنْ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : " أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَئُونَةً "[٣٧٨] ، فليست المرأة المسلمة من تنفق الأموال لإشباع رغباتها ، أو تنفقها لتلبس أغلى الثياب ولو كلفها الأمر اقتراض زوجها ثمنها من بعض الأصحاب ؛ بل على المرأة المسلمة مراعاة أحوال زوجها المادية والمعنوية ، ولا ترهق ثاقله بالمتطلبات الكمالية التي لا داعي لها.

لقد وضعت أم المؤمنين – رضي الله عنها – أموالها تحت تصرف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ و لم ترهقه بكثرة المتطلبات والكماليات .

ج- حسن تدبير شؤون البيت :

من حسن التدبير أن تضع المرأة مال زوجها في أحسن موضع ؛ فلا تسرف في الزينة والكماليات وتخل بالضروريات ، كذلك من حسن التدبير نظافة البيت ، وحسن تربيته ، وإعداد الطعام في الوقت المناسب ، وتوفير الجو الهادئ لراحته وسعادته .

(لقد كانت – رضي الله عنها – بارعة في توفير البيت المريح بكل احتياجاته ومتطلباته ؛ فقد وفرت – رضي الله عنها – للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ السكون والهدوء ؛ لتتركه لتأملاته وعبادته في المكان المناسب ، فقد جعلت جناحا خاصا من البيت

---

[٣٧٧] ابن حجر، فتح الباري ، مصدر سابق ، ١٣٨/٧ .

[٣٧٨] رواه أحمد في مسنده ، مصدر سابق ، ١٣٣/٤.

للزوج الحبيب لا يقترب أحد منه في أثناء خلوته، وإن اقترب يلتزم بالسكينة ، وخفض الصوت ، وقلة الحركة .

وكانت أم المؤمنين - رضي الله عنها - تهتم اهتماماً غير عادي بطعامه _ صلى الله عليه وسلم_ وشرابه ، فعرفت ما يحبه _ صلى الله عليه وسلم _ وتعد له الطعام الذي يستطيبه ، وتقلل من البصل والثوم مما يعافه _ صلى الله عليه وسلم _.

ولقد كان _ صلى الله عليه وسلم _ ممن يعني بنظافة ثيابه وتطييبه، فهو يجب أن يظهر للناس نظيف الثياب حسن الهيئة طيب الرائحة عرفت – رضي الله عنها – ذلك فيمن أحبته أو تفانت في سبيله، فحققت له كل ما أراد وأشار إليه)[٣٧٩] .

ح- تربية الأبناء:

تربية الأطفال تربية إيمانية وعدم تركهم للخادمات أو المربيات والاعتناء بهم نفسيا وجسمياً ، وعدم التشبه بالغربيين في تربية أبناءهم سواء في مشربهم أو ملبسهم أو سكنهم.

لقد سطرت أم المؤمنين – رضي الله عنها- أعظم درس في التربية ؛ فأخذت تنير الطريق أمام بناتها إلى الإيمان بالله ورسوله والسبق إلى تصديقه _ صلى الله عليه وسلم _ منذ بداية الدعوة ، وأكد ابن سعد على ذلك في ترجمة كل واحدة منهن " وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة ، وبايعت حين بايع النساء " .

خ- حسن معاشرة أهل الزوج وأقاربه:

وذلك يكون بالإحسان إليهم وزيارتهم ، والسؤال عنهم ، وإكرامهم ، وتحمل أخطائهم، ما استطاعت الزوجة إلى ذلك سبيلاً ، وخاصة والدي الزوج ؛ لأنهما أحق الناس بولدهما ، وتقديراً لجهدها تجاه ابنهما ، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان .

د- مشاركة الزوج أحاسيسه ومشاعره ومقاسمته همومه وأحزانه :

إذا أرادت المرأة أن تعيش في قلب زوجها فعليها أن تعيش همومه وأحزانه ، ولعل في سيرة أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها – ما يوضح ذلك ؛ فقد ظلت - رضي الله عنها - تعيش في قلب زوجها المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ حتى بعد موتها .. ولم تنه السنون حبها أو تمح أثرها في قلبه .. فقد ظل يذكرها ويذكر مشاركتها له في محنته

---

[٣٧٩] الجمل ،خديجة المثل الأعلى ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ .

وشدته.. في ابتلائه وكربته ، ظل يحبها حبا غارت منه زوجته أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – التي تزوجها بعدها ؛ فقالت.. ما غرت على أحد من نساء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ولكن كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكثر ذكرها " [٣٨٠].

وفي رواية ، قالت عائشة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن ذكر خديجة.. " كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ " [٣٨١].

وجاء في تفسير (كانت وكانت) أي: آمنت بي حين كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد " [٣٨٢].

أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – التي لا ينسى أحد تثبيتها للنبي ـ صلى الله عليه وسلمـ وتشجيعها إياه ، ووضعها كل ما تملك تحت تصرفه من أجل تبليغ نبي الله .

كذلك لا ينسى أحد مقولتها المشهورة التي جعلت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مطمئناً بعد اضطراب ، وفرحاً بعد اكتئاب،لما نزل عليه الوحي لأول مرة:" كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ " [٣٨٣]؛ فلتحرص كل امرأة مسلمة أن تكون مثل أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ .

ذ- شكر الزوج على جميل صنيعه : وعدم نسيان فضله ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ، فَقُلْنَ : وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ : تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكن " [٣٨٤]. وكفران العشير .. جحود فضل الزوج وعدم القيام بحقه.

---

[٣٨٠] البخاري ، صحيح البخاري، ، سبق تخريجه.

[٣٨١] المصدر السابق سبق تخريجه.

[٣٨٢] ابن حجر ،فتح الباري ، مصدر سابق ، ١٣٣/١١ .

[٣٨٣] البخاري ، صحيح البخاري، سبق تخريجه .

[٣٨٤] البخاري ، صحيح البخاري، ،مصدر سابق ، رقم الحديث١٣٠٤، ص٤٥ .

وشكر الزوج يكون بابتسامة رقراقة تهون عليه بعض ما يلقاه في عمله ، أو بكلمة حانية صافية تعيد الألفة بين الطرفين ، أو بالتجاوز عن خطأ تجاه زوجته.

ولنا في أم المؤمنين خديجة- رضي الله عنها – المثل الأعلى في ذلك ، فحين قابلت زوجها ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد نزول الوحي لأول مرة فطمأنته وهدأت من روعه وغمرته بعطفها وحنانها وبشرته بكلماتها العظيمة التي أثلجت صدره وانسكبت كالماء البارد على فؤاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشريف ، وكان لها الأثر العظيم في تثبيته وتصبيره على تحمل أذى المشركين.

ر- كتمان أسرار الزوج وستر عيوبه:

الزوجة موطن سر الزوج ، وأقرب الناس إليه وأعرفهم بخصائصه ، لذا كان إفشاء السر من الصفات الذميمة عند صدوره من أي شخص كان ، واتصاف الزوجة به أشد وأعظم ، وفي هذا خطر جسيم ؛ لذلك عندما أفشت إحدى زوجات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سراً من أسراره ، جاء العقاب صارماً ، وآلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على نفسه ألا يقربها شهرا كاملا ، وأنزل الحق عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (سورة : التحريم ، آية : ٣) .

فعلى المرأة المسلمة أن تحافظ على أسرار زوجها ، ولا تظهرها إلا لمصلحة شرعية ، كالتظلم عند قاضي أو من ترجو نصحه ، ولا تكشف عيوب زوجها وتفضع أمره ، فلقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ " إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا " [٣٨٥].

وقد أظهرت السيدة خديجة في العديد من المواقف براعتها في معالجة العديد من المواقف ، وصبرها على تبعات الرسالة ، وتحملت مع زوجها أثقال الدعوة في أخطر أوقاتها ، حيث ضحت بمتعتها وسعادتها ، فوهبت نفسها لله ولرسوله ، وعلمت أن ما عند الله خير وأبقى ، فوقفت بمالها ونفسها خلف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تشد من أزره ، وتقوي

---

[٣٨٥] النيسابوري، صحيح مسلم، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٤٣٧ ، ١٠١٨/١

من عضده ، حتى لقيت ربها وهو راض عنها ولا خير من ذلك ؛ فكانت بحق مثالاً نموذجياً للزوجة الصالحة .

المبحث الثاني – المدرسة :

(لم تصل الإنسانية إلى إيجاد المدرسة على الشكل الذي نراه اليوم ، إلا بعد أن مرت بمراحل طويلة وتجارب عديدة .

فقد كان الطفل في الحياة البدائية يتعلم من أبويه ، ومجتمعه كل شيء بأسلوب غير مقصود وغير منظم ، كما كان للدين الفضل الأول في إيجاد تربية هادفة مقصودة ، ولها هدف واضح ومحدود وهو : عبادة الله وحده ، والتعريف به ، والإيمان به في جميع الأديان السماوية ، والمنهج أو المادة الفكرية والسلوكية المعنية المقصودة وهي الاستسلام لتشريع الله وأوامره .

من ثم تتابعت الأجيال تتناقل شريعة الله ، وأوامره ، وأسلوب عبادته : بالحفظ ، والتعليم، والتقليد ، والإتباع فرداً عن فرد ، وجمعا عن فرد ، وجمعاً عن جمع ، في : الساحات ، والمواسم ، والبيع ، والمساجد ، ولم تكن الكتابة انتشرت فكان التعليم مقصوراً على المشافهة .

فكان الصغار والكبار يتلقون التعاليم من رسل الله وأتباعهم ويلقونها لأبنائهم ومن يليهم، ولم يخصص للتعليم أماكن خاصة .

ثم اشتق من المعابد أماكن ملحقة تخصص لتخريج مختصين بالدعوة إلى الدين ، ينقطعون للعبادة ويزهدون بالدنيا، وهكذا كانت المعابد القنوات الأولى للمدارس أو للتربية المقصورة (المحدودة) .

وهكذا استمر انتشار دور التربية الدينية ، وكان ذلك بين مد وجزر ؛ لأن الصراع كان دائماً بين الكفر والإيمان، وبقي الأمر كذلك حتى ظهر الإسلام واستقر حكمه في المدينة ؛ فكان المسجد أول مدرسة جماعية منظمة عرفها العرب ؛ لتعليم الكبار ، والصغار ، ولتربية الرجال والنساء ، وبقي المسجد يؤدي وظيفتيْ العبادة والتربية الإسلامية دون تمييز واضح بينهما ، حتى كان عهد عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ؛ فنشأ في عصره إلى جانب المسجد أو في بعض زواياه كتاتيب للأطفال يتعلمون فيها .

وهكذا بدأ منظور المدرسة ، حتى وصلت إلى المدرسة المعاصرة ، من ثم يرجع سبب وجودها لأسباب ، منها : تغير نظام الحياة السياسية ، فقد هيمنت الدولة على كل أمـــور الشعب، واعتبرت نفسها مسئولة عن غذائه ، وموارد رزقه ، وثرواته .. الخ ، وهذه الأمور كلها تبني على التعليم والتربية؛ فالتربية تنمي الثروة البشرية كما يسمونها)[٣٨٦] .

وسوف نركز في هذا المبحث على ركن واحد من أركان المدرسة ، وهو المعلم .

التعريف بالمدرسة :

المراد بالمدرسة في اللغة : " الدُرْسَةُ : الرياضة ، ومنه درست السورة أي حفظتها ، ويقال: سمي إدريس ــ عليه السلام ــ بهذا الاسم ؛ لكثرة دراســته كتــاب الله تعــالى ، والمِدْراسُ والمِدْرَسُ : الموضع الذي يدرس فيه ، والمِدْرَسُ : الكتاب ، والمُدَارِسُ : الذي قــرأ الكتب ودرسها، والمِدْرَاسُ : البيت الذي يدرس فيه القرآن ، ودَارَسْتُ الكتب وتَدَارَسْتُها : وادَّارَسْتُها أي دَرَسْتُها، وأصل الدراسة: الرياضة والتعهد للشيء " [٣٨٧] .

هناك عدة تعاريف للمدرسة في الاصطلاح ولكن أقرب هذه التعاريف هو :" أن المدرســة هي مؤسسة أسسها المجتمع ؛ لتربية أبنائه تربية مقصورة، ومخطط لها ، تنقل بواسطتها الثقافة الخاصة بها ، وبطرق تقبلها وترتضيها إلى الأجيال الجديدة ؛ لتحافظ بذلك على تراثها " [٣٨٨] .

أركان المدرسة :

"يتألف المجتمع المدرسي من ثلاث فئات ، هي : المعلمون ، والإداريون ، والتلاميذ ، وتقوم هذه الفئات الثلاث بأدوارها المرسومة طبقًا للأنظمة واللوائح المعمول بها ، أو تلــك التي يرسمها المجتمع ممثلاً بالهيئة الرسمية المشرفة على المدرسة" [٣٨٩] .

الإدارة المدرسية ووظيفة المدرسة :

الإدارة المدرسية : "هي الوحدة القائمة بتنفيذ السياسة التعليمية "[٣٩٠] ، فما من شك في أنه حين تتضافر جهود المعلمين القدوات ، مع المناهج الجيدة المحكمة ، والمنشأة البنَّــاءة

---

[٣٨٦] النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٤١-١٤٦

[٣٨٧] ابن منظور، لسان العرب ، ابن منظور ، مصدر سابق ، ج٦ ، ص ٧٩-٨٠ .

[٣٨٨] ناصر، إبراهيم، علم الاجتماع التربوي، ط٢، دار الجبل، بيروت ، ١٤١٦هــ، ص ٧٣.

[٣٨٩] المرجع السابق ، ص ٨١ .

الهادفة ، فسوف تقوم المدرسة بدور كبير في تربية الناشئة تربية صحيحة سليمة ، مبتدئة بتثبيت العقيدة في القلوب ، مع تعاهدها كل حين ، إضافة إلى تربية الناشئة على حقائق الإسلام وآدابه .

كما يتبين أن وظيفة المدرسة في المجتمع تنبع من فلسفته وأهدافه ،(ومن أبرز وظائفها :

١-تنمية شخصية الطفل من جميع جوانبها الجسدية والعقلية والفكرية والاجتماعية والعقائدية والنفسية.

٢-نقل التراث الثقافي للطفل ، هذا التراث الذي تجمع عبر العصور في الصدور ، أو السجلات ، أو الوثائق ، أو الموسوعات .

٣-الاحتفاظ بالتراث الثقافي والعمل على تسجيل كل جديد وإضافته إليه ، وتعلم التراث ونقله من جيل إلى آخر ، مما يؤدي إلى حفظه وبقائه واستمراره .

٤-تبسيط التراث الثقافي وتذليل الصعاب التي تواجه الدارسين .

٥-تظهير التراث الثقافي من الشوائب والعيوب التي علقت به على مر الأيام .

٦-إتاحة الفرصة للأفراد للاتصال بالبيئة الأكبر ، فبعد أن كان الاتصال في العائلة والأقارب والجيران، تخرجه المدرسة من هذه التجمعات إلى بيئة اكبر وأوسع ، وتطلعه على ثقافات مختلفة ومعارف أكثر.

٧-عرض المشكلات التي تقابل التلاميذ وتتيح الفرصة من خلال منهاج منظم أن يعيشها التلميذ، ومن ثم تدله على حلها ، والتخلص منها بطرق مناسبة نابعة من خبرات الموجهين والمعلمين)[٣٩١].

٨-(وظيفة الصهر ، والتوحيد ، وإيجاد التجانس ، والتأليف بين الناشئين ، والمدرسة لا تصهر المواطنين ولا تحقق التجانس المطلوب بينهم إلا إذا بنيت على أسس التربية الإسلامية وحققت أهدافه .

---

[٣٩٠] مطاوع، إبراهيم عصمت، الأصول الإدراية للتربية ، ط٢،جدة، دار الشروق ، ١٤١٦هـ، ص ١٦.

[٣٩١] ناصر، علم الاجتماع التربوي، إبراهيم ناصر، مرجع سابق ،ص ٧٨-٧٩.

٩- التكميل لمهمة المنـــزل التربوية ، وهذه الوظيفة التربوية للمدرسة إنما تتحقق على الوجه الأكمل حينما تتبنى مبدأ التواصي بالحق ، وهو من أهم مبادئ التربية الإسلامية الاجتماعية ، فتتعاون المدرسة مع المسجد والمنـــزل والمجتمع ، ويكون هدف الجميع تحقيق العبوديـــة لله وتطبيق شريعته)[٣٩٢] .

المعلم (المربي المسلم) :

المعلم هو : " الذي يقوم بتعليم وتربية الطلاب ، وليس الأستاذ ، أو المـــدرس الـــذي ينظر إلى عمله كوظيفة رسمية فقط، تقتصر مهمته فيها على تلقين المعلومات دون الاهتمام بالجوانب الروحية والخلقية في حياة الطالب، التي يتوقف عليها صلاحه وفلاحه ، وهـــو في ذلك يكون مقتدياً بالنبي المصطفى ـ صلى الله عليـــه وســـلم ـ وهـــو المعلـــم الأول في الإسلام[٣٩٣] "، حيث يقول : (إنما بعثت معلماً)[٣٩٤] .

إذن فالمعلم هو أكثر منسوبي المدرسة احتكاكاً بالتلاميذ ، وأكثر الناس قدرة في التـــأثير عليهم، وخاصة حين يملك القدرات التي تؤهله لذلك .

إن المعلم هو الخبير الذي وظفه المجتمع لتحقيق أغراضه التربوية ؛ فهو من جهة القـــيم الأمين على تراثه الثقافي، ومن جهة أخرى العامل الأكبر على تجديد هذا التراث وتعزيـــزه، أي أن المعلم هو : العمود الفقري للتعليم ، وبمقدار صلاح المعلم يكون صـــلاح التعلـــيم ، فالمباني الجيدة، والمناهج المدروسة ، والمعدات الكافية ، تكون قليلة الجـــدوى إذا لم يتـــوفر المعلم الصالح ، بل إن وجود هذا المعلم يعوض في كثير من الأحيان ما قد يكون موجوداً من النقص في هذه النواحي .

أهم وظائفه التي يقوم بها:

لقد أشار الله عز وجل إلى أن من أهم وظائف الرسول ـصلى الله عليه وسلم ـ تعليم الناس الكتاب ، والحكمة ، وتزكية الناس ، أي : تنمية نفوسهم وتطهيرها ، قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُـــزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (سورة : البقرة ، آية :١٢٩) ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّـــهُ

---

[٣٩٢] المرجع السابق، ص ١٦٠-١٦١

[٣٩٣] خياط ، محمد جميل، الإعداد الروحي والخلقي للمعلم والمعلمة، ط٢، جدة ، دار القبلة ، ١٤١٦هـــ ، ص٥٠ .

[٣٩٤] القزويني ،سنن ماجة ،، مصدر سابق رقم الحديث ٢٢٩ ،٢٧١٢/٢.

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة : آل عمران ، آية : ١٦٤) ، فالوظيفة الأساسية للرسول هي تبليغ رسالة ربه إلى الناس عن طريق تعليمهم ، وتزكية نفوسهم من دنس الشرك ، وتوجيههم الوجهة الصحيحة نحو عبادة الله وحده.

(ويتضح من هذه الآيات أن للمربي وظائف أهمها :

١-التزكية : أي التنمية ، والتطهير ، والسمو بالنفس إلى بارئها ، وإبعادها عن الشر ، والمحافظة على فطرتها .

٢-التعليم:أي نقل المعلومات والعقائد إلى عقول المؤمنين وقلوبهم؛ليطبقوها في سلوكهم وحياتهم)[٣٩٥].

فالمعلم ليس خازناً للعلم يغترف منه التلاميذ المعارف والمعلومات ، ولكنه نموذج وقدوة، ولأن المعلم أمين على ما يحمل من علم كان لا بد له من صياغة ، وأن يحافظ على كرامته ووقاره، ولا يبتذل نفسه رخيصة ، فذلك من شأنه أن يحفظ هيبته ومكانته بين الناس ، ومن الشعر فيما يروي عن القاضي عبد العزيز الجرجاني :

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما

أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة ... إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو كان أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهان و دنسوا ... محيَّاه بالأطماع حتى تجهما [٣٩٦]

صفات المعلم:

يجب على المعلم أن يتصف بصفات المعلم القدوة ، وهو : الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ والذي اتصف بصفات كان لها الأثر الأكبر في التأثير في نفوس الناس ، ومن أهم الصفات الايجابية التي يجب على المعلم أن يتحلى بها :

أولاً - التخلق بالأخلاق الإسلامية ، والتي من أهمها :

---

[٣٩٥] النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ،ص ١٧٠-١٧١

[٣٩٦] ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق ،١٨٩/٨

أ – **الإخلاص لله** ، قال تعالى﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة : الزمر ، آية : ١٢) .

ب–**الرحمة** ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة : التوبة ، آية : ١٢٨) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة : الأنبياء ، آية : ١٠٧) ، والدليل على رحمته بنا أنه أرسل إلينا ؛ ليأخذ بأيدينا من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان ، ويبعدنا عن عذاب الله ؛ لنيل جناته .

ج– **الصدق** ، يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا " [٣٩٧] .

د– **الحلم** و **الرفق** : قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة : آل عمران ، آية : ١٥٩) ، وفي الحديث الشريف عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : " كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ثُمَّ قَالَ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ "[٣٩٨] .

هـ – **تحصيل العلم** ، قال تعالى: " وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً " (سورة : طه ، آية : ١١٤).

ز – **الأمانة** ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (سورة : النساء ، آية : ٥٨) .

ح – **التواضع** ،قال تعالى :﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(سورة : الشعراء ، آية : ٢١٥) .

---

[٣٩٧] البخاري ، صحيح البخاري،، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦٠٩٤ ، ٦٠٤/١ .

[٣٩٨] البخاري ، صحيح البخاري،، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣١٤٩ ، ٣١٨/١ .

ط) **حسن الخلق** ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة :القلم، آية :٤)

ي – **العدل** ، قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة : النحل ، آية : ٩١) .

ثانياً :قوة الشخصية:بأن يملك السمات القيادية التي تمكنه من السيطرة على طلابه،وهذا العنصر فيه تقابل مع عنصر حسن الخلق ؛ لأن المعلم مطلوب منه أن " يكون على قدر كبير من الخلق ، كأن يكون عادلاً ، رحيماً ، رفيقاً ، هيِّناً ، ليِّناً ، ولكن دون أن يصل ذلك إلى درجة الضعف واللين ، التي يتجرأ فيها الطالب على معلمه ؛ فيفقد المعلم هيبته في نفوس طلابه ، بل عليه أن يكون هيِّناً ليِّناً في مواطن اللين،شديداً قوياً في مواطن الحق لا تأخذه في الله لومة لائم " [٣٩٩].

ولقد كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أحسن الناس أخلاقاً ، ومع ذلك كان من أشد الناس صلابة في الحق ، يدل على ذلك موقفه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من المخزومية التي سرقت ، وشفع فيها أسامة بن زيد – رضي الله عنه– ففي الحديث عن عائشة – رضي الله عنها – : " أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " [٤٠٠] .

ثالثاً – (الذكاء والمهارة وتقدير المسؤولية .

رابعاً – حرص المعلم على رعاية التلاميذ والاهتمام بهم ، وكيفية التعامل معهم معاملة طيبة .

خامساً – الرغبة في التدريس وحب المهنة .

سادساً – حسن التنظيم والتحضير الجيد للدروس .

---

[٣٩٩] الحدري ، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها ، مرجع سابق ، ص ٥٩٩ .

[٤٠٠] البخاري ، صحيح البخاري، ، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٤٧٥، ٣٥١/١ .

سابعاً – سعة الاطلاع والتعمق وتنويع الثقافة) [٤٠١] .

ثامناً – التقوى والعبادة : قال الإمام مالك : " إن هذا العلم هو لحمك ودمك ، وعنه تسأل يوم القيامة فانظر عن من تأخذه " [٤٠٢].

تاسعاً – حسن المظهر : "يقول الخطيب البغدادي : ينبغي للمحدث أن يكون في حال روايته على أكمل هيئة، وأفضل زينة ، ويتعاهد نفسه قبل ذلك بإصلاح أموره التي تجمِّله عن الحاضرين من الموافقين والمخالفين " [٤٠٣].

عاشراً – القدوة الصالحة : وهي أن يوافق العمل القول ، والظاهر الباطن ، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة : الصف ، آية : ٢) .

ولقد كان لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الأثر الكبير في تغيير مجريات التاريخ ، وكان من أكبر العوامل التي أحدثت هذا التغيير عامل القدوة ، الذي كان وبحق أعظم العوامل في نجاح رسالته التربوية للعالم أجمع .

ويقول الإمام الغزالي: "أن يكون عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله ؛ لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالإبصار؛ وأرباب الإبصار أكثر، فإذا خالف العلم العمل منع الرشد ، وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تناولوه فإنه مهلك ، سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه" [٤٠٤] .

---

[٤٠١] السبحي، بنجر/ عبد الحي أحمد، فوزي صالح: طرق التدريس واستراتيجياته ، الطبعة الأولى، دار زهران، جدة، ١٤١٧هـ، ص ٢٤.

[٤٠٢] الرامهرمزي ، الحسن بن عبد الرحمن: المحدث الفاصل بين الراوي والراعي ، ط ٣، ١٤١٤هـ ، ص ٤١٦.

[٤٠٣] الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع تحقيق صلاح عويضة، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ ،ص ٣٧٣ .

[٤٠٤] الغزالي ، أبي حامد محمد بن محمد ،إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، بيروت،دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ،ص٧٧ .

الفصل الخامس

بعض الطرق المقترحة في تفعيل المضامين التربوية المستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – :

ويشتمل على أربع طرق تربوية :

الطريقة الأولى : القدوة .

الطريقة الثانية : الموعظة.

الطريقة الثالثة : الترغيب والترهيب .

الطريقة الرابعة : القصة .

الطريقة الأولى – طريقة القدوة :

تعد القدوة من أهم الطرق والأساليب التربوية المؤثرة في مجال التربيـــة والتعلـــيم ؛ وذلك لاتفاقها مع طبيعة النفس البشرية ، ومع فطرة الإنسان ، رغم حاجته وميله للتقليـــد والمحاكاة ، ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها ، ولكونها متجسدة وماثلة أمام المتـــأثرين بها .

ومن خلال محاولة التربية بأسلوب القدوة الحسنة " ذلك الأسلوب الناجع ، الـــذي يتربع على قمة الأساليب التربوية المؤثرة ، حيث يترجم الكلمات إلى مواقـــف ، ويحـــول العبارات إلى سلوكيات وأخلاق ، فتتربى النفوس من خلاله تربية صحيحة مؤثرة "[٤٠٥].

المقصود بالقدوة في اللغة :–

القدْو : أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الاقتداء ، يقال : قِدوة وقُـــدوة لمـــا يقتدى به، والقُدوة والقِدوة : الأسوة [٤٠٦].

وقال الجوهري في مادة (قدا) :– " القِدوةُ الإسوة ، يقال : فلان قِدوة يقتدى به ، وقـــد يضم فيقال : قُدوة وقِدوة وقِدَة "[٤٠٧].

وقال الأزهري :– " القَدْو : أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الاقتداء ، ويقال : قِدوة وقُدوة لما يقتدى به "[٤٠٨].

من هنا يتبين لنا أن القدوة والأسوة شيء واحد ؛ ولهذا يصح أن يقال : اقتدى به فكان لـــه أسوة ؛ فالقدوة الصالحة كما تراها الباحثة : مثال من الكمال النسبي المنشـــود ، يـــثير في النفس الإعجاب والانبهار ، فتنجذب إليه النفس انجذابا شديدا .

المقصود بالقدوة في الاصطلاح :–

([٤٠٥]) الحدري ، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها ، مرجع سابق ، ص ١٩٩ ، .

([٤٠٦]) ابن متطور، لسان العرب، مصدر سابق، باب القاف ، فصل الدال مع الألف ، مـــادة (قـــدا) ، ج١٥ ، ص١٧١ .

([٤٠٧]) الجوهري ، الصحاح ، مادة (قدا) ، ج٦ ، ص ٢٤٥٩ .

([٤٠٨]) الأزهري ، محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، تحقيق : الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بـــيروت ، ط٣ ، ج٩ ، ص٢٤٤ ، ١٩٦٧م.

يقول محمد الأمين الشنقيطي : هي إتباع الغير على الحالة التي يكون عليها حسنة أو قبيحة[٤٠٩].

هذا ويمكن تعريف المعلم القدوة عند التربوين بأنه:-"هو الشخص المربي الذي يدعو إلى أنواع الفضائل ، والكمالات السلوكية، والأفكار السليمة الصحيحة ، التي عمل بها واتصف بها من قبل "[٤١٠].

وإذا قسنا أسلوب القدوة على واقع التربية وجانبها التطبيقي ؛ لوجدنا أن موقعها يكون في أعلى درجات سلم الأساليب التربوية ؛ ولهذا صدرت الباحثة الحديث عنها من بين الأساليب التربوية الأخرى .

ولقد كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ إمامنا في القدوة في كل خير ، وهو الذي أثنى الله تعالى على خلقه ، وجمع فيه أشتات الفضل بتمامها ، وأبعده عن كل نقص .

وقد تبيَّن أن حاجة الناس إلى القدوة " نابعة من غريزة تكمن في نفوس البشر أجمع ، وهي التقليد: وهو رغبة ملحة تدفع الطفل والضعيف والمرؤوس إلى محاكاة سلوك الرجل والقوي والرئيس "[٤١١].

منهج الإسلام في تقرير جانب القدوة الحسنة :

لقد انتهج الإسلام في معالجته لجانب القدوة الحسنة نهجاً يسيراً سهلاً، بالإضافة إلى أنه أولى القدوة اهتماماً عظيماً، إذ لم يقف الأمر عند نزول القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، بل صاحب القرآن نبياً رسولاً قدوة من بني البشر، يفسر مبهمه، ويترجم تشريعاته إلى واقع معاش، حيث يرى الناس في سلوكه وسائر تصرفاته أوامر القرآن ونواهيه، فإذا رأى الناس بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق يمتثل هذه الأخلاق، ويعمل بهذه التوجيهات الربانية، سهل عليهم الاقتداء والمتابعة، وجعل كل واحد منهم من نفسه قدوة لغيره لشعوره بأن هذا الخطاب قد وجه إليه هو الآخر، كما وجه لقدوته العظمى

---

[٤٠٩] الشنقيطي ، محمد الأمين ، أضواء البيان في ايضاح القران بالقران،ط٢ ،القاهرة،مكتبة ابن تيمية،١٤٠٨هـ ، ١٣٥/٨

[٤١٠] الساموك ، سعدون محمود : الأساليب التعليمية للتربية الإسلامية ، عمّان : دار وائل للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٥م ، ص ١٦٣

[٤١١] النحلاوي ، أصول التربية ، مرجع سابق ، ص٢٥٧ .

محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ونلمس تقرير منهج الإسلام للقدوة الحسنة من خلال عدة نقاط :

القرآن الكريم وتقرير مبدأ القدوة :

إن تقرير القرآن الكريم لأسلوب القدوة الحسنة برز عبر آياته المباركة ، حيث يدعو إلى الاقتداء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وطاعته فيما يأمر وينهى طاعة مطلقة، قال تعالى: " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً " سورة : الأحزاب ، آية : ٢١ .

يقول ابن كثير في تفسيره " هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أقواله وأفعاله وأحواله ؛ ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـيوم الأحزاب،في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل"[٤١٢] .

ومنه قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ سورة : الحشر، آية : ٧ .

من الأمور التي تشير إلى تقرير الرسول لأسلوب القدوة ، ما خاطب الله به نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، في قوله بعد أن ذكر الأنبياء من قبله : " أولئك الذي هداهم الله فبهداهم اقتده " سورة : الأنعام ، أية : ٩٠.

فلقد روى البخاري في صحيحه : عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ أَنَسْجُدُ فِي ص فَقَرَأَ{ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ }حَتَّى أَتَى{ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ } فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ أُمِرَ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ " [٤١٣] .

ومنه نُهي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكون كصاحب الحوت يونس بن متى ـ عليه السلام ـ حيث نادى ربه وهو مكظوم في بطن الحوت ، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ سورة : القلم ، آية : ٤٨- ٤٩.

---

[٤١٢] - ابن كثير، تفسير ابن كثير ، مصدر سابق، ج٣، ص ٧٥٦،.

[٤١٣] - البخاري ، صحيح البخاري، ، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٤٢١ ، ٣٤٦/١ .

كما أن من الأمور التي تشير إلى خطورة القدوة ، إذا كانت اتباعاً في الشر، أو تقليداً في الباطل على غير وعي ولا بصيرة ، ما حكاه الله تعالى عن الكفار في قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ سورة : الزخرف ، آية : ٢٣

وبعد هذا العرض السابق لبعض الآيات التي توضح تقرير القرآن لمنهج القدوة الحسنة ، يتبين لنا أن الإسلام يولي جانب القدوة عناية كبيرة ، إما بالدعوة إلى الاقتداء بالأخيار الصالحين كما هو الخطاب الموجه إلى رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـأن يقتدي بنبي الله يونس في سجدة سورة (ص)،وكما في قوله تعالى ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ سورة : الممتحنة ، آية : ٤.

وإما بالدعوة إلى الاقتداء بعبد الله ورسوله محمدـصلى الله عليه وسلمـكما سبق،وإما بالتحذير من حمل المنهج العقيم المتوارث عن الآباء ، الذي يدعو إلى السير على هدي الآباء الضالين،والاقتداء بما كان عليه الأجداد المنحرفين بغير دليل ولا برهان،قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ سورة : البقرة ، آية : ١٧٠ ..

وترى الباحثة أنه توجد العديد من الآيات في تأصيل مسألة الاقتداء ، والتي تحتاج إلى إفراد بحث آخر خارج هذه الدراسة .

السنة النبوية الشريفة وتقرير مبدأ القدوة :

حفلت كذلك السنة النبوية المطهرة بكثير من الأحاديث والمواقف التي تقرر مبدأ القدوة ، عن طريق الدعوة إلى الاقتداء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وبأمهات المؤمنين وخاصة السيدة خديجة – رضي الله عنها – ، وبكل من دعا الناس إلى الخير، أو حملهم على هدى ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن ذلك على سبيل المثال لا

الحصر: ما رواه أبو داود في سننه عن العرباض ابن سارية – رضي الله عنه_ قال : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا فَقَالَ" أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " [٤١٤] .

ومنه ما رواه مسلم في صحيحه من حديث المنذر بن جرير عن أبيه أن رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ قال: " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ " [٤١٥] .

ومنه ما جاء في سنن ابن ماجة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ فَحَثَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ عِنْدِي كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : فَمَا بَقِيَ فِي الْمَجْلِسِ رَجُلٌ إِلَّا تَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِمَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ : " مَنْ اسْتَنَّ خَيْرًا فَاسْتُنَّ بِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ كَامِلًا وَمِنْ أُجُورِ مَنْ اسْتَنَّ بِهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ اسْتَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَاسْتُنَّ بِهِ فَعَلَيْهِ وِزْرُهُ كَامِلًا وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِي اسْتَنَّ بِهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا " [٤١٦] .

ففي هذين الحديثين حث النبي _ صلى الله عليه وسلم _ وحرصه على تعليم أمته – المتمثلة في شخص أصحابه رضوان الله تعالى عليهم – أن يسارعوا للتنافس في فعل الخيرات والحث عليها ؛ لما في ذلك من الثواب العظيم .

وقد تخلق النبي _ صلى الله عليه وسلم _ بخلق القرآن، وتأدب بأدب القرآن، وقد ثبت أن النبي _صلى الله عليه وسلم _ قال : أدبني ربي فأحسن تأديبي ، وحينما سُئلت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – عن خلق النبي _ صلى الله عليه وسلم _ فقالت : كان

---

[٤١٤] – السجستاني ،سنن أبي داود ،، مصدر سابق ، رقم الحديث٤٦٠٧، ١/١٧٠١.

[٤١٥] – النيسابوري، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، رقم الحديث١٠١٧، ١/٩٣٠.

[٤١٦] القزويني ،سنن ماجة ،، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٠٣ ، ٢/٢٧١٠ .

خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن؟ قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ سورة القلم آية ٤ .

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ أَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ{ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }قُلْتُ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَبَتَّلَ قَالَتْ لَا تَفْعَلْ أَمَا تَقْرَأُ{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } قَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ وُلِدَ لَهُ [٤١٧] .

لقد انطبعت أوامر الله تعالى ونواهيه الواردة في الكتاب والحكمة ، على سلوك رسول الله_ صلى الله عليه وسلم _ حتى مدحه الله سبحانه وتعالى بأنه على خلق عظيم .

وقد استخدم النبي _ صلى الله عليه وسلم _ أسلوب القدوة الحسنة مع الناس جميعاً ، فقد كان قدوة في أخلاقة وفي نفسه وفي أهله ، وفي كل تصرفاته ، وكان يوصي أصحابه مرة بالقول ، وأخرى بالعمل والممارسة، من ثم وجب على جميع المسلمين الاقتداء برسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ في أقواله وأفعاله .

وقد اتبع النبي _ صلى الله عليه وسلم _ عدة أساليب تربوية في تعليم أمته ، منها : الأساليب التربوية التي اتبعها في تربية الرعيل الصالح من طرح بعض الأسئلة التي تحتاج إلى شيء من التفكير والفطنة ، رغبة في شحذ ذكائهم ، وتنمية أفكارهم .

" ولقد كانت طريقة النبي _ صلى الله عليه وسلم _ المثلى ، تتمثل في توجيه المسلمين لاستخدام عقولهم النيرة في حل المشكلات التي لم يَرد فيها نص من الوحي ، فهي متروكة لاجتهادهم" [٤١٨] .

هذا وقد استمر النبي _ صلى الله عليه وسلم _ منذ أكثر من أربعة عشر قرناً مثالاً حقيقياً للقدوة الحسنة، فمن اتخذه قدوة وسار على دربه كان من الفائزين، ومن ابتعد عن هديه وسنته كان من الخاسرين ، ومن أقرب النماذج التي اقتدت بالنبي _ صلى الله عليه

---

[٤١٧] – مسند الامام احمد ابن حنبل، مصدر سابق، ج٦ ، الحديث رقم ٢٤٦٤٥ ، ص٩٦١ .

[٤١٨] – الحلواني ، فتحية عمر : دراسة ناقدة لإساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام ، جدة ، تهامة ، ١٤٠٣هـ . ، ص٨٩- ٩١.

وسلم ـ وصارت قدوة لغيرها السيدة الفاضلة أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – حيث كانت نموذجاً مثالياً للزوجة الصالحة ، ونالت من وراء ذلك رضا زوجها وربها وكانت من الفائزين .

السلف وتقرير مبدأ القدوة :

إن المدقق في تاريخ سلفنا الصالح يجد تشربهم للاقتداء بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى في حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم ، من ذلك : ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن وبرة – رحمه الله– قال : " أتى رجل ابن عمر، فقال : أيصلح أن أطوف بالبيت وأنا محرم ؟ قال : ما يمنعك من ذلك ؟ قال: إن فلاناً ينهانا عن ذلك حتى يرجع الناس من الموقف ، ورأيته كأنه مالت به الدنيا ، وأنت أعجب إلينا منه، قال ابن عمر: حج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، وسنة الله تعالى ورسوله أحق أن تتبع من سنة ابن فلان إن كنت صادقاً " [٤١٩] .

وذكر الشاطبي في الاعتصام ، عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه وأرضاه – أنه قال : " اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم " [٤٢٠] .

وذكر القرطبي قول حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – أنه قال : " اتقوا الله يا معشر القراء، خذوا طريق من كان قبلكم ، والله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً ، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً " [٤٢١] ، والآثار في هذا كثيرة جداً .

بعد هذا البسط في الحديث يتضح لنا أهمية القدوة الحسنة التي يوافق ظاهرها باطنها، وقولها فعلها، حتى ينجح المجتمع ويصل إلى المثالية المطلقة ، والتي تساعد على خروج جموع المسلمين مما هم فيه من أزمات ونكبات ، وتعيدهم إلى سالف عهدهم من عزة وفخر ومجد.. فالله الله في حلاوة اتباع سنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

---

[٤١٩] – مسند الإمام أحمد ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٥٢ .

[٤٢٠] – الشاطبي ، إبراهيم موسى : الإعتصام ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ .، ص٧٩ .

[٤٢١] – بن بطال،ابو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك: شرح صحيح البخاري ، تحقيق ياسر ابن إبراهيم،ط٢، الرياض، مكتبة الرشد، ج٩/ ص٢٢٤.

أنواع القدوة :

ذكر الشيخ صالح بن حميد أن القدوة نوعان : حسنة وسيئة

(**فالنوع الأول – القدوة الحسنة** : الاقتداء بأهل الخير والفضل والصلاح في كل ما يتعلق بمعالي الأمور وفضائلها من القوة والحق والعدل ، وقدوة المسلمين الأولى : صاحب الخلق الأكمل والمنهج الأعظم رسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ،وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (سورة : الأحزاب، آية : ٢١) .

والنوع الثاني – الأسوة السيئة : ويعني السير في المسالك المذمومة ، وإتباع أهل السوء ، والاقتداء من غير حجة أو برهان ، ومن ذلك قدوة المشركين في قوله تعالى : ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ سورة : الزخرف ، آية : ٢٢)[٤٢٢] .

أهمية القدوة الحسنة تكمن في الأمور التالية :

١- " المثال الحي المرتقي في درجات الكمال يثير في نفس البصير العاقل قدراً كبيراً من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة "[٤٢٣] .

٢- "الناس مفطورون على الاقتداء بغيرهم واتباع سلوكهم وأفكارهم ، لكن الاقتداء المطلوب يتحقق باتباع الجوانب الإيجابية في حياة العظماء ، وهي كثيرة "[٤٢٤] .

٣- "القدوة الحسنة تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة ، التي هي في متناول القدرات الإنسانية ، وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال .

٤- مستويات فهم الكلام عند الناس تتفاوت ، ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة لمثال حي ، فإن ذلك أيسر في إيصال المعاني التي يريد الداعية إيصالها للمقتدى ، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال اتَّخَذَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ

---

[٤٢٢] ابن حميد، صالح بن عبد الله، القدوة مبادئ ونماذج، منشورات الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٥ ــ ص ٧-٨ .

[٤٢٣] المرجع سابق ، ص ١٠.

[٤٢٤] الشريف، محمد موسى، القدوات الكبار،مكة، دار الفرقان، ١٤٢٨هـ، ص ١٢.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَنَبَذَهُ ، وَقَالَ : إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ "[٤٢٥] ، قال العلماء : فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول "[٤٢٦].

٥- "أن تبيين عظمة القدوات يبث العزة في نفوس الأجيال ، ويوضح للعالم أجمع أننا نرتكز على موروثات رائعة فريدة نادرة ،لم ولن تتكرر في أمه من أمم الأرض ، وذلك يورثنا الاحترام والتقدير"[٤٢٧].

٦- "تأثير الإنسان بالإنسان : إن الله تعالى جبل بني آدم بل سائر المخلوقات ، على التأثير بين الشيئين المتشابهين ، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم ، حتى يؤول الأمر إلى عدم تمييز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط ، ولما كان بين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص كان التفاعل أشد ، ولأجل هذا الأصل وقع التأثير والتأثر في بني آدم - عليه السلام - واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمشاركة والمعاشرة ، بل إذا عاشر الآدمي نوعاً من الحيوان اكتسب من بعض أخلاقه .

ولهذا صار الفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل ، وصارت السكينة في أهل الغنم ، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَالْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ "رواه البخاري[٤٢٨].

٧- "أن المطلع على سير عظماء المسلمين في جوانب شتى من العظمة ، ستلحقه رغبة جامحة في الاقتداء وإحسان العمل "[٤٢٩].

٨- "الأتباع ينظرون إلى الداعية نظرة دقيقة فاحصة دون أن يعلم ، فرب عمل يقوم به لا يلقى به بالاً يكون في حسابهم من الكبائر ، وذلك أنهم يعدونه قدوة لهم" [٤٣٠].

٩-" وجود القدوة السيئة يؤكد حتمية القدوة الصالحة، فإن وجود القدوة السيئة ومن يدعو لها ، ووجود من يقتفي أثرهم من الجهال، وأصحاب الأهواء ، يحتم أهمية وجود القدوة

---

[٤٢٥] رواه البخاري ، مصدر سابق ، رقم الحديث ٧٢٩٨ ، ٧١٣/١ .

[٤٢٦] ابن حميد ،القدوة ، مرجع سابق ، ص ١٠.

[٤٢٧] الشريف ، القدوات الكبار، مرجع سابق ، ص ١٢.

[٤٢٨] الحازمي، المشكلات التربوية الأسرية والأساليب العلاجية ، مرجع سابق ، ص ٦١.

[٤٢٩] الشريف ، القدوات ، مرجع سابق ، ص ١٦.

[٤٣٠] ابن حميد ، القدوة ، مرجع سابق ، ص ١١.

الصالحة الناصحة التي ترد وتدحر من يمثلون القدوة السيئة ، فقوم موسى – عليه السلام – وهم مع نبيهم لما جاوز الله بهم البحر، مروا على قوم يعبدون تماثيلاً لهم ، فطلبوا من موسى – عليه السلام – أن يجعل لهم تمثالاً مماثلاً لها، فظهرت هنا أهمية القدوة الصالحة التي تصبر على الحق وتنصح له ، والتي يمثلها في هذا الموقف موسى – عليه السلام –" [٤٣١] .. قال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ{١٣٨} إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ{١٣٩} قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ سورة : الأعراف ، آية : ١٣٨-١٤٠.

١٠- "الدلالة على مكامن العظمة من هذا الدين وإمكانية تطبيقه مرة أخرى"[٤٣٢].

١١- ثواب القدوة الصالحة يؤكد أهميتها ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ — رضي الله عنه – قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَحَثَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : عِنْدِي كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : فَمَا بَقِيَ فِي الْمَجْلِسِ رَجُلٌ إِلَّا تَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِمَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ مَنْ اسْتَنَّ خَيْرًا فَاسْتُنَّ بِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ كَامِلًا وَمِنْ أُجُورِ مَنْ اسْتَنَّ بِهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ اسْتَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَاسْتُنَّ بِهِ فَعَلَيْهِ وِزْرُهُ كَامِلًا وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِي اسْتَنَّ بِهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا " [٤٣٣] .

أصول القدوة :

يذكر الشيخ صالح بن حميد أن للقدوة ثلاثة أصول ، هي :

(**الأصل الأول – الصلاح : وهذا يتحقق بثلاثة أركان :**

الركن الأول – الإيمان : ويقصد به كل ما يجب اعتقاده من الإيمان بالله ، ورسله ، وكتبه، واليوم الآخر ، وسائر أركان الإيمان إيماناً يقينياً حازماً .

الركن الثاني – العبادة : فيستقيم على أمر الله من الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، وسائر أركان الإسلام العملية .

---

[٤٣١] الحازمي، المشكلات التربوية الأسرية ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

[٤٣٢] الشريف ، القدوات ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

[٤٣٣] القزويني ،سنن ماجة ،، مصدر سابق ، رقم الحديث ٢٠٣ ، ٢/٢٧١٠ .

الركن الثالث – الإخلاص : وهو سر عظيم وباب دقيق ، والتميز به من أعظم المطالب ، وهو أولى ما ينبغي أن يفتش عنه في الرجل المقتدى به ، فيكون المقصود بالقول والعلم والعمل وجه الله عز وجل بعيداً عن أغراض النفس وأغراض المخلوقين ، بل عبودية خاضعة تمام الخضوع لله عز وجل أمراً ونهياً ونظراً وقصداً .

ومن أجل هذا فإنك ترى أن ضعف الإخلاص عند كثير من ذوي المواهب والمواقع القيادية ، جعل تابعيهم والمعجبين بهم يشكون بمواهبهم ويرجعون بها القهقري .

الأصل الثاني – حسن الخلق :

إذا كان الصلاح يتوجه إلى ذات المقتدى به ؛ ليكون صالحاً في نفسه قويماً في مسلكه ، فإن حسن الخلق يتوجه إلى طبيعة علاقته مع الناس ، وأصول تعامله معهم ، وعليه الدعوة النبوية في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " [٤٣٤].

الأصل الثالث – موافقة القول العمل ، يقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة : الصف ، آية : ٢) .

ويتحقق ذلك بالصدق فإن النفوس مجبولة على عدم الانتفاع بمن علمت أنه يقول ولا يعمل ، ويعلم ثم لا يعمل ، ولهذا قال شعيب عليه السلام : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (سورة : هود ، آية: ٨٨)، وكذلك كثيراً من الناس لا يتوجه نحو العمل حتى يرى واقعاً ماثلاً ، وأنموذجاً مطبقاً يتخذه أسوة ، ويدرك به أن هذا المطلوب أمر في مقدور كل أحد)[٤٣٥].

الدوافع النفسية للاقتداء :

يقوم الاقتداء والتقليد للآخرين على أسس نفسية يمكن اختصارها في ثلاثة عوامل :

١- **الإعجاب** :

(إن الإنسان عندما يعجب بسلوك معين ، أو بشخصية يجد انجذاباً نفسياً داخلياً للاقتداء بها في عموم السلوك والأخلاق ، أو في جزئيات معينة ، ونجد أن الدافع لذلك هو

---

[٤٣٤] البخاري ، صحيح البخاري،، مصدر سابق ، رقم الحديث ١٩٨٧ ، ١٩٨٨/١ .

[٤٣٥] ابن حميد ،القدوة ،مرجع سابق ، ص ١٣-٣٣.

حب التجانس مع هذه الشخصية نتيجة الإعجاب ، وهذا يتطلب من المربي – الوالـــدين أو غيرهما – أن يكون شخصية جذابة في سلوكه ، وعموم أفعاله وأخلاقه ، حـــتى يغـــرس في أتباعه وطلابه الميل النفسي نحوه ، وبالتالي يحصل الاندفاع لمحاكاته في الأقوال والأفعال .

٢- **التنافس** :

وذلك لأن التنافس السوي يكون مبنياً على الرغبة في التماثـــل والتســـابق دون أن يوافق ذلك رغبة في زوال ما عند الآخرين ، والمتأمل في أحوال الناس يجد أن مظاهر التقليد والتنافس تظهر في جانب الزعامات والقيادات ، وتظهر بين طلاب العلـــم ، وكـــذلك في جانب المصالح والمكاسب المادية ؛ فتجد أهل الصفة الواحدة يتنافســـون فيمـــا بينـــهم في عمليات التسويق وجذب المشترين ، وخير التنافس وأحسنه فيما أخذ بيد العبد وقربه مـــن ربه عز وجل،وقرب الأمة من طاعة الله وهذا ما يسمى بالغبطة .

٣- **الشعور بالعجز أو النقص في بعض الجوانب** : مما يدفع المرء إلى الاحتذاء بمن يرى أنهم متفوقون عليه في ذلك الجانب ، الذي أخفق في تحقيقه ، ويرى أن في تقليدهم لذلك مخرجاً وعلاجاً قد ينقله ويخرجه مما يعاني منه [٤٣٦])، يقول الرسول ــ صلى الله عليه وســـلم " لَـــا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُـــوا أَنْفُسَـــكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا " [٤٣٧] .

من ثم ينبغي للمربي من الوالدين والمعلم أن يكونوا قدوة لمن يعلموهم ويربوهم مـــن الأبناء والتلاميذ ؛ فيتبعون أوامر الدين ويجتنبون ما ينهى عنه ، ويتخلقون بالأخلاق الحسنة والصفات الإسلامية ، ومنها ما شملته سيرة أم المؤمنين خديجة – رضـــي الله عنـــها – مـــن مضامين تربوية ، فيكون قدوة حسنة ، ولا يكونوا قدوة سيئة ، وقد أنكر الله عز وجل على أولئك الذين يعظون الناس ولا يتعظون ولا ينتهون ، قال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّـــاسَ بِـــالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة:البقرة ، آية: ٤٤) .

---

[٤٣٦] الحازمي ،المشكلات التربوية الأسرية للحازمي، مرجع سابق، ص ٦٧-٧١.

[٤٣٧] الترمذي، سنن الترمذي ، مصدر سابق ، ١/١٩٩٠، رقم الحديث ٢٠٠٧ .

ويقول الإمام علي – رضي الله عنه – مؤكداً على أهمية التزام المربي بالعمل قبل القول : " من نصّب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه، ومعلماً نفسه ومهذبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم"[٤٣٨]؛ لذلك فإن من أبلغ وسائل التأثير على الناشئة القدوة الحسنة ، فالنفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا ينتفع به ، ولأجل ذلك قال شعيب لقومه كما جاء في قوله تعالى :﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (سورة : هود ، آية : ٨٨) .

التطبيقات التربوية العملية للقدوة :

١- إن أفضل نموذج تطبيقي للعلاقة بين المعلم والمتعلم : سيرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وما خلفه من أقوال وأفعال ، فحين تتحقق هذه السيرة في المربي ويتفاعل معها التفاعل العملي ، يكون لتعليمه أثر بالغ في جميع المواقف التربوية ، لاسيما وأن المتعلم يرى في والديه ومعلمه النموذج الذي يُحتذى ، فيلجأ إلى تقليدهم في أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم.

(لذلك ينبغي أن يكون المربي صورة حية تعكس حقيقة السلوك الأمثل ، فلا يمكن أن يتعلم المتعلم الفضائل ، والقيم ، والمعلومات ، والمعارف النظرية واللفظية حينما يدعوه معلمه إلى الصدق ويسمعه يكذب ، ويدعوه إلى الأمانة ويرى في تصرفاته ما يخالف ذلك ، ويدعوه إلى الصلاة ويجده ينصرف من المدرسة قبل وقت الصلاة ، إن هذا المعلم لم يعط في سلوكه الواقعي ترجمة عملية لما يقوله لطلابه)[٤٣٩].

إذن فالطفل لا بد له من قدوة في أسرته والذي يمثلها والديه ، وفي مدرسته والذي يمثلها معلمه، فلابد للأب والمعلم من التحلي بأفضل الأخلاق مستمداً لها من سيرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وكذلك من سير الصالحين المقتدين بسنة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفي مقدمتهم أمهات المؤمنين وأولاهن خديجة – رضي الله عنها – .

---

[٤٣٨] فتحي يكن ، مشكلات الدعوة والداعية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤١٧هـ ، ص٦٩ .

[٤٣٩] العارفة، عبد اللطيف بن عبد الله ، التطبيقات العملية (دراسات تربوية تطبيقية للمربين) ، مكة المكرمة ، دار طيبة الخضراء، ١٤٢٣هـ ص ٥٣ .

٢- " قد جعل الإسلام القدوة الدائمة لجميع المربين شخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدوة متجددة على الأجيال ، متجددة في واقع الناس والإسلام ، لا يعرض هذه القدوة للإعجاب السالب والتأمل التجريدي في سبحات الخيال ، إنه يعرضها عليهم ليحققوها في ذواتهم : كل بقدر ما يستطيع أن يقتبس ، وكل بقدر ما يصبر على الصعود"[٤٤٠].

الأشكال التربوية للقدوة :

يذكر الشيخ عبد الرحمن النحلاوي أن تأثير القدوة ينتقل إلى المقتدى على أشكال أهمها :

١-الرتبة الأولى – (التأثير العفوي غير المقصود : وهنا يقوم تأثير القدوة على مدى اتصافه بصفات تدفع الآخرين إلى تقليده، كتفوقه بالعلم ، أو الرئاسة ، أو الإخلاص ، وفي هذه الحال يكون تأثير القدوة عفوياً غير مقصور ، وهذا يعني أن على كل من يرجو أن يكون قدوة أن يراقب سلوكه ، ويعلم أنه مسئول أمام الله في كل ما يتبعه الناس ، أو يقلده المعجبون ، وكلما زاد حذراً وإخلاصاً ازداد الإعجاب به .

ويذكر الشيخ الرتبة الثانية بقوله :

٢- الرتبة الثانية – التأثير المقصود : على أن تأثير القدوة قد يكون مقصوداً ، فيقرأ المعلم قراءة نموذجية ؛ ليقلد الطلاب ، ويجود الإمام صلاته ؛ ليعلم الناس الصلاة الكاملة..

وقد تعلم الصحابة كثيراً من أمور دينهم بطلب من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقتدوا به ، فكان يقول لهم : " صلوا كما رأيتموني أصلي" رواه البخاري .

وكان يأمرهم في الحج أن يقتدوا به ماثلاً ، كما في قوله : "خذوا عني مناسككم" ، ثم كان الصحابي يقول للتابعين : ألا أصلي لكم صلاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فعن علقمة قال : " قال عبد الله بن مسعود : أَلَا أُصَلِّي بِكُمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، قَالَ : فَصَلَّى فَلَمْ يَرْفَعْ يَدَيْهِ إِلَّا مَرَّةً " [٤٤١])[٤٤٢] .

---

[٤٤٠] النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية للنحلاوي ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧.

[٤٤١] السجستاني ،سنن أبي داود ، ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٥٨ ، وقال الشيخ الألباني حديث صحيح .

[٤٤٢] النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية للنحلاوي ،مرجع سابق ، ص٢٦١.

صور من استخدام القدوة عند أم المؤمنين خديجة–رضي الله عنها–:

أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – ضربت أروع الأمثلة في نهج أسلوب القدوة الحسنة، فقد كانت مناط كل فضيلة من رفق ، ولين ، وتضحية ، وفداء ، وصبر ، وإيمان ، وصدق ، وأمل ، ورجاء ؛ فقد كانت بحق قدوة للمقتدين .

وموقفها – رضي الله عنها – في اختيارها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قدوة حسنة للمؤمنين والمؤمنات في اختيار الزوج الصالح من أهل الفضل والإيمان ، وفي حبها للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنفع درس ، وأعظم قدوة في الصدق ، والوفاء ، وتبادل الحب بين الزوجين .

وفي صبرها مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في تحمل أعباء الدعوة أعظم قدوة في الصدق، والصبر ، والتضحية ، والإيمان ، والبذل للدعوة ، والإخلاص لله تعالى.

وصبرها على حياة الكفاف في الحصار أعظم قدوة للمؤمنات في الصبر على معيشة الزوج ، واستخدامها أسلوب الرفق ، واللين ، وتثبت قلب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أعظم قدوة للمؤمنات في استخدام أسلوب اللين ، والرفق ، وتثبيت فؤاد الزوج ؛ لما يلقاه من ضنك العمل ، والعيش ، والدعوة إلى الله.

يقول ابن حجر " ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها ؛ فيكون لها مثل أجرهن لما ثبت : أن من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله ــ عز وجل "[٤٤٣] .

---

[٤٤٣] ابن حجر ، فتح الباري ، مصدر سابق ، ٧/ ١٣٧

الطريقة التربوية الثانية – الموعظة :

تعد الموعظة من الطرق التربوية الهامة التي لها تأثيرها الفعّال على النفوس؛ لأنها تتطرق إلى النفس الإنسانية ، والفرد كما هو معلوم قابل للتأثير بالتوجيه ؛ لما أودع الله في طبيعته من مرونة ، وقابليته للتشكيل من المربين ، والمصلحين ، والمرشدين ، نتيجة تكرار التوجيهات والنصح والإرشاد في كل مناسبة ، وكلما دعت الحاجة إلى ذلك بأسلوب حكيم ، والإسلام يُعلي من شأن الموعظة الحسنة في مجال التربية والتعليم .

وقد احتل أسلوب التربية بالموعظة مرتبة مهمة وسط الأساليب التربوية الأخرى ؛ وذلك لما لها من تأثير مباشر على المتعلم، وبما تتخذه من معالجات تربوية تحقق الهدف التربوي المطلوب ، ومن ثم تعد الموعظة من أقوى وأكثر المواقف التربوية انتشاراً ، فلا يكاد يكون هناك موقف تعليمي أو تربوي ، إلا استخدم فيه الوعظ والنصح والإرشادات التي توجه المتعلمين ، حتى يكونوا أكثر جدية وحضوراً عندما يتعلمون .

وقد أشار الحق سبحانه وتعالى بلقمان – عليه السلام – وهو يعظ ابنه ، في قوله تعالى : " وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " سورة لقمان، آية ١٣ .

وكان هذا الأسلوب من أساليب الرسل عليهم السلام في تبليغ دعوتهم إلى الله، لذلك علم الله حاجة الناس لتلك الوسيلة فأمر بها في قوله تعالى: " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ " سورة النحل، آية ١٢٥.

مفهوم أسلوب التربية بالموعظة :

معنى الموعظة في اللغة :

الموعظة : مأخوذة من الوَعْظُ، والوَعْظُ من مادة (وَعَظَ ، و ع ظ): هو النصح والتذكير بالعواقب ، وقد وَعَظَهُ من باب وعده ، وعِظَة أيضاً بالكسر، فاتعظ أي قبل الموعظة "(٤٤٤) .

٤٤٤- الرازي ، محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح ،ت/ محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ ج١، ص٣٠٣،.

وقيل : بـــ " وَعَظَهُ يَعِظُهُ وَعْظًا وَعِظَةً وَمَوْعِظَةً : ذكّره بما يليه قلبه من الثواب والعقـــاب فاتعظ" (٤٤٥) .

معنى الموعظة في الاصطلاح عند التربويين :

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في تعريف الوعظ : هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب[٤٤٦] .

فالموعظة هي أحد عناصر الدعوة ، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَـــةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُـــوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة : النحل ، آية: ١٢٥) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَـــذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة : يوسف ، آية ١٠٨) .

من ثم يتضح لنا من خلال هاتين الآيتين عناصر الدعوة إلى الله ، وهي :

١ – الحكمة .

٢– الموعظة الحسنة .

٣– الجدال الحسن .

٤– البصيرة .

وبتوجيه النظر للأمر الذي وجهه الله سبحانه وتعالى لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ في اتخاذ الأسلوب التربوي الناجح في عملية الدعوة للدين الجديد ، حيث قال تعالى: " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة "، نجد أن هذا الأمر يفيد أسلوب التربية بالحكمة مع أسلوب التربية بالموعظة الحسنة .

قيل إن الحكمة هي: المقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضح للحـــق المزيـــل للشبهة(٤٤٧).

(ومن خلال تعريف الموعظة : يتضح أن أسلوب التربية بالموعظة له أكثر من شكل ومعنى

---

[٤٤٥]– الفيروزبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق ، ج١، ص٩٠٣.

[٤٤٦] الجرجاني ، التعريفات ،مرجع سابق ، ص ٣٤٧.

[٤٤٧]– الزمخشري ، جابرمحمد بن عمر : الكشاف ، القاهرة ، داربولاق ، ١٣١٨هـــ.، ج٢ ، ص٣٤٩ .

تربوي : فقد تكون الموعظة بمعني النصح : وهو بيان الحق والمصلحة بقصد تجنيب وحماية المنصوح من الضرر، وإبراز ما يحقق سعادته وفائدته. وقد تكون الموعظة بمعنى التذكير : أي يُعيد الواعظ إلى ذاكرة الموعوظ ذكريات تستيقظ معها مشاعره ؛ فيتجه للعمل الصالح ، وهذه الذكريات قد تكون مؤلمة : كالتذكير بالمرض ، ويوم الحساب، والموت،وقد تكون مبهجة:كمجد سالف،وأيام خالدة،غفل عنها الموعوظ) (٤٤٨).

وهذا التعدد السابق لمعاني الموعظة يؤكد بلا ريب أن التربية بالموعظة تخاطب الآخرين بما يؤثر عليهم ، وليس هناك اختلاف في أشكال الموعظة إذا كانت الوسيلة مشروعة ، والغاية المنشودة واحدة.

ومن الآيات الدالة على الموعظة قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً{٦١} فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً{٦٢} أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً{٦٣} ﴾ (سورة : النساء ، آية :٦١-٦٣) .

في هذه الآيات أمر الله نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالإعراض عن المنافقين وعدم السؤال على أحوالهم ، ثم حثه الله على توجيه النصح والإرشاد لهم ، ومخاطبتهم بالحكمة ، ويقول الله تعالى أيضا : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴾ (سورة : النساء ، آية : ٦٦) .

وقال أيضاً: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة : النحل ، آية: ١٢٥) ، فالدعوة من الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مقصورة على النصح والإرشاد باللين ، ومحاورتهم بأسلوب لين للفوز بقلوبهم، واستمالتهم للإسلام .

---

٤٤٨ – عطية ، عماد محمد : التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها ، الرياض ، مكتبة الرشيد ١٤٢٥هـ ، ص١١٧.

وقد أمر الله تعالى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعرض عنهم ولا يتبعهم في شيء ، وليوجه لهم النصح وفقط ، فقال تعالى : ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً ﴾ (سورة : النساء ، آية : ٦٣) .

وقد اتبع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسلوب الموعظة مع أصحابه ، فعن عبد الله ابن مسعود قال : " كَانَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا " [٤٤٩].

وعَن العرباض بنِ سَارِيَةَ – رضي الله عنه – قَالَ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ ، فَقَالَ : " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " [٤٥٠]

أنواع الموعظة :

إن الموعظة على نوعين: وعظ تعليم ، ووعظ تأديب :

النوع الأول – وعظ التعليم :

(وذلك ببيان عقائد التوحيد وبيان الأحكام الشرعية الخمسة من الواجب ، والحزم ، والمسنون، والمكروه ، والمباح ، ويراعى في ذلك كله ما يناسب كل طبقة ، والحث على التمسك بها والتحذير من التهاون فيها .

النوع الثاني – وعظ التأديب :

وهذا يكون لتجديد الأخلاق الحسنة : كالحلم ، والأناة ، والشجاعة ، والوفاء ، والصبر، والكرم... وبيان أثارهما ومنافعها في المجتمع ، والحث على التخلق بها والتزامها ،

---

[٤٤٩] البخاري ، صحيح البخاري،، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦٨ ، ١/ ٢٤ .

[٤٥٠] الترمذي ، سنن الترمذي ، مصدر سابق ، رقم الحديث ٤٦٠٧، ١/١٧٠١.

وتعريف وتحديد الأخلاق السيئة : كالغضب ، والعجلة ، والقدر ، والجزع ، والحبيس ، والبخل، ... والتحذير منها عن طريق الترغيب والترهيب)[٤٥١].

أركان الموعظة :

تختلف الموعظة أسلوباً ومحتوىً بحسب حال الموعوظ ، ثم يظهر تأثيرها بحسب إخلاص الواعظ وفهمه لمن يرشده ، وبراعته الوعظية والعلمية ، لذا فهي تنقسم إلى ثلاثة أركان هي :

أولاً – الواعظ : وهو المترجم لمحتويات الموعظة صوتاً ولفظاً وخطاً، وبقدر علمه وبراعته في الإلقاء، واختيار الوقت والموقف : يكون أثر الموعظة ، وقد كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثالاً رائعاً ، وقدوة سامية في جميع الجوانب ، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ سورة : آل عمران، آية : ١٥٩ .

ثانياً – الموعوظ : يختلف الناس اختلافاً كبيراً من حيث رقة قلوبهم ، ومعاندتهم للحق ، ومن حيث علمهم ، وجهلهم بالأمور الشرعية ، ولكي تنجح موعظة المربي وتؤثر في قلب من يعظه ، لا بد وأن يكون عارفاً لحالة المتربي النفسية.

ثالثاً – الموعظة : لكي تكون الموعظة مثمرة ، لا بد من توافر عدة شروط عند المربين وقت توجيه الموعظة للمتربين والمتعلمين ، ومن بين ذلك : استخدام الأسلوب الرقيق الذي يستميل قلوب الناشئين أثناء النصيحة ، ومنها أن تقترن الموعظة بالشعور بالمحبة والعطف عليهم ، والحرص على مصلحة المتعلمين .

وترى الباحثة أن في أسلوب الموعظة الحسنة مجالاً كبيراً للمعلمين في تنشئة طلابهم على ما فيه خيرهم وصلاحهم ، وتوجيههم إلى ما فيه رقي مجتمعهم وأمتهم ، ومن المفيد أن يبتعد المعلمون في نصحهم وعظاتهم عن أسلوب الأوامر والنواهي ، وعليهم استخدام الذكاء

---

[٤٥١] القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، الناشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤٢٣هـ، ج٢، ص ١١٤-١١٥ ،

واللباقة في النصح والإرشاد حتى لا ينفِّروا المتعلمين ، ومن المفيد كذلك أن يدرك المعلمون أن الموعظة وحدها لا تكفي في التربية، إذا لم يكن بجانبها القدوة الحسنة ؛ لذا كان تأثيرهما معاً في النفس أعمق وأبلغ وأبقى ، وهذا هو الهدف من هذه الكثرة الكثيرة من المواعظ الموجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

(فالموعظة الحسنة من الأساليب الناجحة في إصلاح المجتمع وتوجيهه وتصويب سلوكه بشرط أن تكون : بالأسلوب المحبب والوجه المقبول ، فيستعمل التبشير والوعد بالخير مع النفوس المقبلة ، ويستعمل الإنذار والوعيد مع النفوس المعرضة المدبرة مع ملاحظة ضرورة الصبر وصدق الحديث)[٤٥٢].

يقول ابن القيم : " لذلك نجد الناس كالمفطورين عليه ، وهكذا كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخاطب رؤساء العشائر والقبائل ، وتأمل امتثال موسى – عليه السلام – بما أمر به وكيف قال لفرعون : " فقل هل لك إلى أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى " (سورة :النازعات ، آية : ١٨- ١٩) ، فأخرج الكلام معه مخرج السؤال والعرض ، لا مخرج الأمر، فقال : (إلى أن تزكى)، ولم يقل (إلى أن أزكيك) ، فنسب الفعل إليه هو، وذكر لفظ التزكي دون غيره ؛ لما فيه من البركة والخير والنماء ، ثم قال : (وأهديك إلى ربك) ، الذي خلقه ، ورزقه ، ورباه بنعمه صغيراً ويافعاً وكبيراً ، وكذلك قول إبراهيم – عليه السلام – لأبيه : " يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً " ، فابتدأ خطابه بذكر أبوته الدالة على توقيره ، ولم يسم باسمه ، ثم أخرج الكلام معه مخرج السؤال ، فقال : " لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً " ، ولم يقل لا تعبد .

وكذلك سائر خطاب الأنبياء لأمتهم في القرآن الكريم إذا تأملته وجدته ألين خطاب وألطفه ، بل خطاب الله لعباده ألطف خطاب وألينه ، كقوله تعالى " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (سورة : البقرة ، آية :٢١) ، ونظيره كثير"[٤٥٣].

---

[٤٥٢] نجيب ، عمارة ، الأعلام في ضوء الإسلام ، الرياض، مكتبة المعارف، ١٩٨٠م ، ص١٨٣ .

[٤٥٣] ابن القيم ، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ، بدائع الفوائد ، تحقيق أحمد عبد السلام ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـ ، ص١٠٦ .

طرق وأساليب الموعظة :

وقد لخص الشيخ محمد أبو الفتح البيانوني طرق وأساليب الموعظة في :

-(القول الصريح اللطيف اللين قال تعالى – " وقولوا للناس حسناً " (سورة : البقرة ، آية ٨٣) .

- التعريض والكناية المؤدية والتورية .

- الإشارة اللطيفة المقبولة .

- القصة والخطابة المؤثرة .

- التذكير بالنعم المستوجبة للشكر .

- المدح والذم .

- الترغيب والترهيب .

- الوعد بالنصر والتمكين .

- التحمل والصبر .

- ضرب الأمثال والتشبيهات[٤٥٤]).

أهمية أسلوب التربية بالموعظة :

(نظراً لأهمية أسلوب التربية بالموعظة اتخذ الله منه وسيلة تعليمية ، وتذكيرية ، وتبشيرية ، لكل الناس مع التصنيف المناسب لكل موقف ، ومن استعرض صفحات القرآن الكريم ، وفهم معاني الآيات القرآنية يجد ظاهرة الأسلوب الوعظي حقيقة ملموسة في كثير من آياته ، فقد تكون الموعظة تعليمية في وقت دعوة الناس لما يعينهم ، ويبعدهم عن مصارع السوء التي لا يعلمونها ، وقد تكون تذكيرية لضرب الأمثلة لقوم كانوا أمثالنا : ولم يتعلموا ولم يتعظوا فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وقد تكون تبشيرية لطلاب العلم والشهداء في سبيل الله ، وقد تكون بقصد الحث على اتباع سبيل الرشاد) (٤٥٥) .

وقد أكد القرآن أهمية أسلوب التربية بالموعظة ؛ وذلك بتكرار استخدامه لها في أكثر من

---

[٤٥٤] البيانوني ، محمد أبو الفتح ، المدخل إلى علم الدعوة ، ط٣، بيروت ، مؤسسة رسالة ، ١٤١٥هـ ، ٢٥٩ .

[٤٥٥] – الرديني ، فاطمة حمد : التربية الإسلامية من المفهوم إلى التطبيق ضرورة إنسانية ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤٢٦هـ. ، ص٢٣٥ .

موطن بما يلفت الانتباه لهذا الأسلوب ، وقوة تأثيره الكبير على الآخرين ، إذا وجدت لها نفسية صافية ، وقلباً واعياً .

ونظراً لكثرة الآيات الدالة على استخدام أسلوب التربية بالموعظة ، يمكننا التأكيد بأن أسلوب التربية بالموعظة الحسنة من أهم الأساليب التي يسلكها القرآن الكريم في نصائحه ومواعظه ، وهي أساليب متنوعة لها إيحاءاتها المؤثرة.

ومن البديهي القول : أن المربين جميعاً لو سلكوا هذه الأساليب التي انتهجها القرآن الكريم في تأديب أولادهم ، وتهذيب فلذات أكبادهم لا شك أنهم سوف ينشئون على التربية الفاضلة ، والأخلاق الحميدة ، والوعي الإسلامي الكامل و لن يترهم الله أعمالهم.

وكل آيات القرآن الكريم التي تشتمل على مواعظ ونصائح تفيد في تربية الفرد والمجتمع ، وكذلك أحاديث المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كلها مواعظ وتوجيهات تربوية، حيث تشير إلى أهمية استخدام هذا الأسلوب ؛ للتأثير على الآخرين ، وإرشادهم لمصالحهم الدينية ، فعن تميم الداريّ – رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ "(٤٥٦) .

والنصيحة الواردة في الحديث : هي شكل من أشكال الأسلوب الوعظي، وورودها في الحديث له دلالة ضمنية على أهمية وفاعلية هذا الأسلوب في التأثير على الآخرين.

" ومن المعلوم أن قلوب الناس تختلف في مدى التأثر ، فهناك قلوب سوية تتأثر بأقل أسلوب وبأي أسلوب تربوي ، كما أن هناك قلوباً قاسية لا يلينها ولا ينفع معها غير المواعظ الموجودة في القرآن الكريم ، وفي سنة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، قال تعالى في قوة تأثير القرآن الكريم على الجماد : " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله " ، فلو كان الناس في قسوة القلوب وصلابتها كالجبال الرواسي ، لتأثرت بأسلوب القرآن الكريم ، فإن مواعظ القرآن أعظم مواعظ على

٤٥٦– النيسابوري، صحيح مسلم ، مرجع سابق، حديث ٩٥، ٧٦١/١

الإطلاق ، وأوامره ونواهيه محتوية على الحِكَم والمصالح المقرونة بها ، وهي من أسهل شئ على النفوس" (٤٥٧)

بعض النتائج التربوية المستفادة من أسلوب الوعظ :

وقد استخلص الشيخ عبد الرحمن النحلاوي نتائج تربوية إذ يقول:(يعتمد الوعظ من الناحية النفسية والتربوية على أمور أهمها:

١-إيقاظ عواطف ربانية قد ربيت في نفس الناشئين بطريق الحوار أو العمل والممارسة أو غير ذلك.

٢-الاعتماد على التفكير الرباني السليم الذي كان الموعوظ قد ربى عليه وهو التصور السليم للحياة الدنيا والآخرة، ودور الإنسان أو وظيفته في هذا الكون ونعم الله وأنه خلق الكون والموت والحياة.

٣-الاعتماد على الجماعة المؤمنة فالمجتمع الصالح يوجد جواً يكون فيه الوعظ أشد تأثيراً وأبلغ في النفوس، لذلك جاءت معظم المواعظ القرآنية ، بصيغة الجماعة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ (سورة : النساء ، آية : ٥٨) ..

٤-تزكية النفس وتطهيرها وهو من الأهداف الكبرى للتربية الإسلامية ، وبتحقيقه يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات وعن الفحشاء)[٤٥٨].

بعض صور من استخدام أسلوب الموعظة في حياة أم المؤمنين – رضي الله عنها – الدعوية :

لقد ذكرت الباحثة أن للموعظة طرقاً وأساليباً متنوعة ، ولا تقتصر الموعظة على الخطب الرنانة أو المؤلفات المطولة ، بل الموعظة تطلق على كل كلمة دلت إلى خير وحثت عليه ، وقد طبقت – رضي الله عنها – بعض أساليب الموعظة وطرقها في حياتها ، فقد ثبتت قلب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالقول اللطيف واللين ،حيث قالت له: "كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم"..(صحيح البخاري) ، وقامت – رضي الله عنها –

---

[٤٥٧]– السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،بيروت، دار ابن حزم،١٤٢٤هـ ص٨١٦.

[٤٥٨] النحلاوي ، أصول التربية ، مرجع سابق ، ص ٢٨٤-٢٨٥ .

كذلك بمدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأكدت له بالوعد والنصر والتمكين كما في عباراتها السابقة .

كذلك في صبرها الذي ضربت به أعظم مثل وذكرى للمؤمنين ، وذلك في مواقفها المعروفة مع النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ وقد تم ذكرها في الفصل السابق في مضمون الصبر ، وتلخيصها في الآتي:

- تصبير النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على تحمل مشاق الدعوة ، بتخفيفها عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل ما يلقاه من أذى .
- صبرها على قضاء الله في وفاة أبنائها.
- صبرها على قضاء الله في طلاق ابنتاها.
- صبرها على المعاهدة الظالمة في حصار الشعب.
- صبرها على فراق ابنتها رقية – رضي الله عنها – عند هجرتها.

الطريقة التربوية الثالثة – الترغيب والترهيب :

"يعد هذا الأسلوب أحد أساليب التربية الوقائية الإسلامية ، ذلك أن الخالق جلت قدرته ، حين خلق هذه النفس ، أنزل لتربيتها في كتابه وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا الأسلوب الأمثل الذي يتعامل مع هذه النفس المفطورة على السعادة البالغة ، حين تقطف ثمرة عملها ، وتجني ثواب جهدها ، ومفطورة أيضاً على الخوف والفزع مما يهدر جهدها ، أو يقلق راحتها في عاجل أمرها أو آجله "[٤٥٩] .

إن ذلك الأسلوب يتماشى مع الطبيعة البشرية ، فلا يستطيع المربي أن يستغني عنه في كل زمان ومكان ، إذ لا يمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الطفل أو المتعلم أن هناك نتائجاً مسرة ومبهجة أو مؤلمة ، وراء عمله الذي يؤديه ، وسلوكه الذي ينتهجه ، فإن عمل خيراً نال السرور والحلاوة ، وإن عمل شراً ذاق الألم والمرارة ، مما يدفع الإنسان أن يجود عمله ويحسنه لمعرفته بما يترتب عليه من منفعة أو ضرر .

كل ذلك يجعل المتعلم في وعي وإدراك لما يقوم به من أعمال وأفعال ، ويكون محاسباً لنفسه قبل أن يحاسب من قبل الآخرين ، من ثم يتضح لنا أن هذا الأسلوب التربوي يتكون بتكامل شقيْ الترغيب والترهيب .

مفهوم الترغيب والترهيب :

معنى الترغيب في اللغة : مأخوذ من رَغِبَ يرغبُ رغبةً ، إذا حرص على الشئ وطمع فيه ، والرَّغْبَة : السؤال والطمع ، وأرغبني في الشيء ورغبني : بمعنى رغّبه وأعطاه ما رغب، قال ساعدة بن جؤية :

لقلت لدهري إنه هو غزوتي وإني وإن رغّبتني غير فاعل.

والرغيبة من العطاء: الكثير والجمع الرغائب، قال النمر بن تولب:

ومتى تصبك خصاصة فارج الغنى وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب[٤٦٠].

---

[٤٥٩] – الحدري ، التربية الوقائية في الإسلام، مرجع سابق، ص٢٦٤.

[٤٦٠] – ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق سابق، ج١، ص٤٢٢.

وقال الفيروز أبادي: "والرغيبة : الأمر المرغوب فيه ، والعطاء الكثير"(٤٦١) .

وقال الجوهري: "رغبت في الشيء إذا أردته ، رغبة ورَغَبًا بالتحريك ، وارتغبت فيه مثله" (٤٦٢) .

معنى الترغيب في الاصطلاح :

قيل:" هو التشويق للحمل على فعل، أو اعتقاد، أو تصور، وترك خلافه "(٤٦٣) .

مفهوم الترهيب في اللغة : ذكر ابن منظور في لسان العرب : " رَهِبَ بالكسر ، يَرْهَب ورَهْبةْ: أي خافه، وتَرَهَّب غيره إذا توعده وأرهبه ورهّبه واسترهبه : أخافه وأفزعه"(٤٦٤).

وقال الأزهري :" قال الليث : رهبت الشيء رهباً ورهبة : أي خفته"(٤٦٥) .

وقال ابن فارس: "رهب ، الراء والهاء والباء ، أصلان ، أحدهما : يدل على خوف ، والآخر: يدل على دقة وخِفّة (٤٦٦) .

معنى الترهيب في اصطلاح التربويين :

وقيل:" هو التخويف للحمل على ترك فعل أو اعتقاد، أو تصور" (٤٦٧) .

وقد وضع الشيخ عبد الرحمن النحلاوي تعريف للترغيب والترهيب يجمع بين التعاريف السابقة :" فالترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة أجله مؤكده، خيره، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيء ، ابتغاء مرضاة الله ، وذلك رحمة من الله لعباده .

٤٦١- الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ج١، ص٧٤.

٤٦٢- الجوهري، الصحاح ، مصدر سابق، ج١، ص١٣٧.

٤٦٣- النشمي ، عجيل جاسم : معالم في التربية ، الكويت ، مكتبة المنار الإسلامية ، ١٤٠٠هـ ، ص٢٠٨.

٤٦٤- ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق ، ج١، ص٤٣٦.

٤٦٥- الأزهري، ابي منصور محمد بن احمد، تهذيب اللغة،تحقيق عبد الكريم العزباوي، القاهرة ، الدار المصرية للتاليف والترجمة د.ت، ج٦، ص٢٩٠.

٤٦٦- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق ج٢، ص٤٤٧.

٤٦٧- النشمي، معالم في التربية ،مرجع سابق، ص٢٠٨.

الترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه ، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به ، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده أو إظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي" [٤٦٨]

وقد اتبع القران الكريم اسلوب الترغيب فبين ما اعد للمؤمنين في الدنيا من الاستخلاف في الأرض وتمكين وبسط الأمن ، قال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة : النور ، آية : ٥٥) . ورغب فيما عند الله في الآخرة من النعيم والخلود فيه،حيث قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٤٢} وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ سورة : الأعراف ، آية : ٤٣

وكذلك اتبع القرآن الكريم أسلوب الترهيب ، فوعد المخالفين بالعذاب في الدنيا والآخرة، قال تعالى :﴿ حم {١} تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {٢} كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {٣} بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ {٤} وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ {٥} قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ {٦} الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ {٧} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ {٨} قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ {٩} وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ {١٠} ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ

[٤٦٨] النحلاوي ، أصول التربية ،مرجع سابق، ص٢٨٧.

فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ {١١} فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {١٢} فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ (سورة : فصلت ، الآيات : ١-١٣) ..

ومن النماذج القرآنية التي عالجت الترهيب مع الكافرين قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ {١٩} حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٢٠} وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {٢١} وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ{٢٢} وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ{٢٣}فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾(سورة : فصلت، آيات:١٩-٢٤) .

كما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استخدم أسلوب الترغيب والترهيب في دعوته إلى الله عز وجل ، وكتب السنة مليئة بالأمثلة النبوية ، و لم يقتصر على جانب واحد بل شمل كل شيء من العقائد ، والعبادات ، والأخلاق ، والمعاملات .

ومن الأمثلة على ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التكاتف بين المسلمين والترغيب فيه: " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ " [٤٦٩]، وترهيبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النفاق ، حيث يقول : " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا، وَإِنْ كَانَتْ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ فِيهِ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ" [٤٧٠].

مميزات طريقة الترغيب والترهيب التربوية :

وذكر الشيخ عبد الرحمن النحلاوي من مميزات الترغيب والترهيب القرآني والنبوي مايلي (:

---

[٤٦٩] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٦٩٥١ ، ٦٨٠/١ .

[٤٧٠] البخاري ، صحيح البخاري، مصدر سابق ، رقم الحديث ٣٤ ، ١٩/١.

١-يعتمد الترغيب والترهيب القرآني والنبوي على الإقناع والبرهان ، فليس من آية فيها ترغيب أو ترهيب بأمرين من أمور الآخرة إلا ولها علاقة ، أو فيها إشارة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ، أو فيها توجيه خطاب إلى المؤمنين .

وهذا معناه تربوياً أن نبدأ بغرس الإيمان والعقيدة الصحيحة في نفوس الناشئين ؛ ليتسنى لنا أن نرغبهم بالجنة ، ونرهبهم من عذاب الله ؛ وليكون لهذا الترغيب والترهيب ثمرة عملية سلوكية .

٢ـ ويذكر الشيخ النحلاوي الميزة الثانية ، حيث يكون الترغيب والترهيب القرآني والنبوي مصحوباً بتصور فني رائع ؛ لنعيم الجنة ، أو لعذاب جهنم بأسلوب واضح يفهمه جميع الناس .

لذلك يجب على المربي أن يستخدم الصور ، والمعاني القرآنية والنبوية في عرضه لعقاب الله وثوابه ، وتقريبها إلى إفهام الناشئين .

٣ـ ويذكر الشيخ النحلاوي الميزة الثالثة ، حيث يقول :يعتمد الترغيب والترهيب القرآني والنبوي على إثارة الانفعالات ، وتربية العواطف الربانية ، كعاطفة الخوف من الله ، والتذلل والخضوع لله عز وجل ، والانقياد له بالعبادة ، وعاطفة المحبة ؛ لأن الإنسان فطر على الميل إلى أن يحب ويكون محبوبا، وعاطفة الرجاء وهو الطمع في رحمة الله والأمل في ثوابه .

٤ـ ويذكر الشيخ النحلاوي الميزة الرابعة ، حيث بيَّن أن التربية بالترغيب والترهيب تعتمد على ضبط الانفعالات والعواطف والموازنة بينهما ، فلا يجوز أن يطغى الخوف على الأمل والرجاء ، فيقنط المذنب من عفو الله ورحمته ، وقد نهى الله عن هذا عباده بقوله :﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(سورة : الزمر، آية: ٥٣) ..

وكذلك لا ينبغي أن يطغى الفرح بزوال الشدة ، فينسى الإنسان عقاب الله وقدرته ، ويجعله فخوراً بنفسه مقتدراً بحوله وقوته ، مما يدعوه إلى العودة إلى المعاصي ، بل ينبغي أن يجمع الإنسان بين الخوف والرجاء) [٤٧١] يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : وعن

---

[٤٧١] النحلاوي ، أصول التربية، مرجع سابق ، ص ٢٨٧-٢٩٥.

أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ " رواه مسلم.

الآثار التربوية لأسلوب الترغيب والترهيب:

لقد ثبتت لدى التربويين منذ القدم الآثار الإيجابية لأسلوبي الترغيب والترهيب ، وكلما وفق المربي إلى حسن اختيار الأسلوب التربوي ترغيباً كان أو ترهيباً ، كلما كانت آثاره التربوية أكبر في تربية الشخصية الإسلامية ، والذي يزيد المسلم ثقة بذلك هو: ورود هذا الأسلوب في كتاب الله ، وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ ذلك أن الذي خلق الإنسان هو الذي شرع لتربيته أسلوب الترغيب والترهيب ، وقرن بينهما في كتابه الكريم في مواطن كثيرة ؛ لأن الترغيب يفتح للنفس باب الرجاء فيما عند الله من الثواب العاجل أو الآجل أو كلاهما ، والترهيب يقطع على النفس طريقها إلى الشر حينما تعلم بما أعده الله لها من العقوبة العاجلة أو الآجلة أو كلاهما .

من ثم لا يمكن للمربي أن يكتفي بأسلوب الترغيب دون الترهيب خلال العملية التربوية ، ولكن عليه أن يوجههما توجيهاً سديداً إذا دعت إليه الضرورة في العملية التعليمية، فعندما يجد المعلم أن الترغيب سيكون فعالاً معه في معالجة تربوية ؛ لزمه اتباعه ، وسيحصل من خلاله على أعلى النتائج ، أما إذا كان المتعلم ممن تغلب عليه شهواته ومطامعه لم ينفعه أسلوب الترغيب ، ولزم على المعلم استبداله بأسلوب الترهيب ، واستخدامه بالقدر الذي يحقق العملية التربوية بنجاح .

إن لهذا الأسلوب التربوي أثره الواضح في صياغة شخصية المسلم ، صياغة متزنة ، تحرك في نفسه مكامن الخير ، وتحميه من التردي في حيل الشيطان وألاعيبه .

ومن هذه الآثار التربوية :

١- (غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في قلب الإنسان ، والتي تثمر بدورها استقامة حسنة – طالما أنه عاهدها بماء الاقتناع والامتثال- في كل جانب من جوانب الحياة .

٢- صياغة الشخصية الإسلامية صياغة تقوم على الموازنة بين جناحي الخوف والرجاء،

الذي هما ركنا السير إلى الله تعالى عبر هذه الرحلة الطويلة التي يقطعها الإنسان إلى الدار الآخرة .

٣- تربية العواطف الربانية التي خلقها الله في هذه النفس ، كعاطفة الحب ، والخوف، والرجاء، والخشوع .

٤- إثارة الحوافز الذاتية ، التي تكون سداً منيعاً يحول بين العبد وبين مقارفة وارتكاب ما حرم الله عليه ، سواء كان ذلك في الجلاء أو الخفاء (٤٧٢) ، قال تعالى : ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير﴾ سورة الملك ، آية : ١٢ .

عوامل نجاح الترغيب والترهيب في الأسلوب التربوي :

إن نجاح أي عمل تربوي يعتمد على عوامل تساعده وتدفعه للأمام ، ونظراً لنجاح أسلوب الترغيب والترهيب في العملية التربوية ، فلا بد من وجود عدة عوامل تساعده على هذا التقدم وتبلغه لهدفه المنشود ، وهذه العوامل هي :

١-" مصدر الترغيب والترهيب : إن قوة الترغيب والترهيب تتأثر من حيث فعاليتها بالمصدر الذي ورد منه ذلك ، والمنبع الذي استقى منه الترغيب والترهيب ؛ فالأب الحازم ، سيكون لترغيبه وترهيبه أثر على نفسية المتربي ، بعكس الأب العطوف وهكذا .

٢- مراعاة الترغيب والترهيب لحاجات الإنسان : من أبرز عوامل إنجاح الترغيب والترهيب مراعاته لحاجات الإنسان ، فإذا كان الترغيب لا يلبي رغبة ومطالب المتربي فإنه لا يأبه به ولا يلتفت إليه، وبالتالي يكون ضعيف التأثير ، وكذلك الترهيب إذا كان أقل في مردوده مما نُهي عنه ، أو أُمر به ، فقد لا يكون له التأثير الفعال" (٤٧٣) .

(وكذا أن يعلم المربي أن العقاب المعتدل مشروع من أجل التعلم وتعديل السلوك ، بل هو من الأساليب التربوية الطبيعية التي لا يكاد يستغني عنها المعلم ، ولا يُمكن أن تجدي

٤٧٢- الحدري ، التربية الوقائية ، مرجع سابق ، ص٢٨٢ ، ١٤١٨هـ.

٤٧٣- الحازمي، المشكلات الأسرية ، مرجع سابق ، ص٣٩٣- ٣٩٤.

التربية ما لم يعرف المتعلم أن هناك ثواباً وعقاباً من وراء عمله وسلوكه ، ولذلك قيل : من أَمِنَ العقوبة أساء الأدب)(٤٧٤) .

صور من استخدام أسلوب الترغيب والترهيب عند أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – :

هذه أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – أول أمهات المؤمنين مكانا ومكانة ، تسطر أروع الأمثلة في إبراز أسلوب الترغيب والترهيب في التربية ، ولا أدل على أسلوب أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – في التربية ، من : إدخالها إلى دين الإسلام بناتها الطاهرات ، فلا أحد يشك في مدى الأثر الذي تغرسه الأم في بناتها ، فهذه زينب ورقية وأم كلثوم – رضي الله عنهن– وفاطمة – رضي الله عنها – سيدة نساء العالمين ، فهذه التربية الصالحة من الأم الصالحة أخرجت مثل أولئك ، وهي أعظم شاهد وأقوى دليل على نجاح أم المؤمنين – رضي الله عنها – في تربيتها ودعوتها .

---

٤٧٤ – العقيل ، عبدالله عقيل : التربية الإسلامية، مفهومها، مصادرها واصولها وتطبيقاتها ومربوها، ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤٢٧هـ.، ص١٦٩.

الطريقة التربوية الرابعة :– طريقة القصة :

(إن لأسلوب التعليم من خلال القصة آثاراً تربوية نفسية بليغة ؛ ذلك لأن التعليم بالقصص يشوق المتعلمين ، ويشد انتباههم ، ويؤثر في عواطفهم ووجدانهم ، ويربطهم نفسياً بالمواقف التي يواجهونها ؛ فيسعدوا لسعادتها ويحزنوا لحزنها ، ولهذا نجد أن القصة الصادقة– إذا وضعت في قالب عاطفي مؤثر– تحرك الدوافع الخيّرة لدى الإنسان ، وتطرد النزعات الشريرة عنه ، فهي تجعل المتلقي – سامعاً أو قارئاً أو مشاهداً– يتأثر بأحداثها ومواقفها ، فيميل إلى الخير فيفعله ، ويمتعض عن الشر ويجتنبه، وبذلك تؤدي القصة دوراً مفيداً في تربية النشء وحملهم على مكارم الأخلاق) [٤٧٥].

(وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن أسلوب التربية بالقصة من الأساليب التربوية الناجحة ؛ لما له من أثر كبير على نفس القارئ أو السامع وعقله ؛ فالقصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف ، وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، فالقصة تحرك الوجدان وتؤثر فيه ، حيث إن قارئ القصة – في معظم الأحيان – يشارك شخصيات القصة في مشاركة وجدانية ، فيما هم فيه من أحداث وانفعالات، وبجانب المشاركة الوجدانية يحدث تأثر ذاتي ؛ والدافع لذلك أن القارئ للقصة أو سامعها يعيش القصة كأنه شخص من أشخاصها ، ويظل طيلة القصة يعقد مقارنة خفية بينه وبينهم ؛ فإن كانوا في موقف البطولة والرفعة والتميز، تمنى لو كان في موقعهم ، ويصنع مثل صنيعهم البطولي، وإن كانوا في موقف يثير الازدراء والكراهية حمد لنفسه أنه ليس كذلك ، واعتبر من موقفهم ؛ مما يدفعه للزود بنفسه بعيداً عن الوقوع موقعهم)[٤٧٦].

وبما أن القصة هي : محور رئيسي في استخدام هذا الأسلوب التربوي ، فإن واقع هذه الدراسة يستوجب استبعاد القصص الخيالية الوهمية التي ليس لها صحة في أرض الواقع ، ويكون مصدرها نسج الخيال ؛ وذلك لأن الأسلوب التربوي يحتاج إلى مصداقية عند المتلقي

---

[٤٧٥] – النحلاوي ، التربية الإسلامية، مفهومها، مصادرها وأصولها مرجع سابق، ص١٦٠.

[٤٧٦] – الغامدي ، عبدالرحمن بن عبدالخالق حجر : مدخل إلى التربية الإسلامية ، الرياض ، دار الخريجي ، ١٤١٨هـ ، ص١٩٢– ١٩٣.

، حتى يضمن الاستفادة من هذا الطرح التربوي.

مفهوم القصة :

معنى القصة في اللغة : ذكر الرازي في كتابه " مختار الصحاح " في تعريف القصة ، قوله: "مأخوذة من قصّ : أي تتبع الأثر"[٤٧٧].

وذكر ابن منظور في لسان العرب في مادة (قَصَصَ) : والقصة الخبر ، وهو القصص ، وهي: الأمر والحديث، والقصص : الخبر المقصوص ، والقاص : الذي يأتي بالقصة على وجهها ، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها [٤٧٨] .

وقال بعضهم : القصُّ : البيان ، والقصص : الاسم ، والقاص : من يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها ..،وقيل : القاص يقص القصص لاتِّباعه خبر، وسوقه الكلام سوقاً" [٤٧٩].

وقيل: أن معنى قصة في اللغة مأخوذة من : "القصَصَ بفتحتين ، وقصصت الأثر : تتبعته ، وقاصدته مقاصده وقصاصاً [٤٨٠].

معنى القصة في الاصطلاح :

(إن مجرد التلفظ أو الاستماع للفظة (القصة) ربما يوحي باتفاق معنى القصة القرآنية أو النبوية مع القصة الأدبية ، ولكن الأمر ينافي هذا الفهم الخاطئ المتعلق باللفظ دون الفحوى ؛ فالفرق كبير بينهما، وذلك أن القصص القرآني من كلام رب العالمين ، والقصة الأدبية من كلام البشر، ولا يمكن أن ترتقي القصة الأدبية بحال من الأحوال إلى مستوى القصص القرآني ؛ لأن القصص القرآني: هو سرد وقائع حقيقية أشبه بقص أثر الشيء وتتبعه على وجه حسن في معناه ومبناه .

---

٤٧٧ – الرازي ، مختار الصحاح، مصدر سابق، ص٢٤٩.

٤٧٨ – ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصص)، ١٤١٠هـ، ج٧، ص٧٤.

٤٧٩ – الزبيدي ، محمد بن عبدالرزاق الحسيني : تاج العروس من جواهرالقاموس ، دار الهداية ، تحقيق مجموعة من العلماء. ، مادة (قصص)، ج١٨، ١٣٩٩هـ، ص٩٨- ٩٩.

٤٨٠ – الفيومي ، أحمد محمد : المصباح المنير ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٧م، ص١٩٣.

فالقصة القرآنية هي: تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية ، وإبراز مـــواقفهم وأعمـــالهم ، وبخاصة مع رسل الله إليهم ، مع إظهار آثار الدعوات فيهم، وذلك بأسلوب حسن جميل مع التركيز على مواطن العبرة والعظة) [٤٨١] .

والقصة التربوية : هي الخبر الصادق المنقول لفظاً أو كتابة ، أما ما يُختلق من أكاذيب ، فليست من الصدق في شيء ، وبالتالي لا ينبغي نقلها ولا استخدامها [٤٨٢] .

أهمية القصة :

(تبرز أهمية القصة من التأثير النفسي العميق ، الذي تتركه في ذهن المستمع أو القارئ ، وتتجاوز ذلك إلى التأثير في سلوكه وأفكاره ، ويعد الأسلوب التربوي المعتمد على القصة من أنجح الوسائل وأبلغها ، وأكثرها تشويقاً ، وأعمقها تأثيراً على الآخرين ، حيث انتهجه الرسل مع أقوامهم ، واستخدمه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ واتخذه كمنهج في كتـــاب الله ؛ ليذهب الملل والسآمة عن نفس متلقيه وسامعه) [٤٨٣] .

وقد اعتمد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــعلى أسلوب القصة في كثير من المواقف ؛ لتهذيب النفوس وتربية المسلمين على الخير والفضيلة .

وقد حرص النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على استخدام أسلوب القصة التربوي في سبيل صياغة الرعيل الأول من الصحابة ، وتكوينهم تكويناً إسلامياً مكيناً يؤهلهم لحمـــل رسالة الإسلام ، (كما أن الدافع الرئيسي لانتهاج النبي ــ صلى الله عليه وســـلم ــ هـــذا الأسلوب في كثير من المواقف ؛ هو تأثره ــ صلى الله عليه وســـلم ــ واقتدائـــه بأســـلوب القرآن الذي استخدم القصة لجميع أنواع التربية ، لعلمه بميول الإنسان الفطرية إليها ، وأنه إذا استثمر إقبال البشر لهذا الأسلوب نجح في تغيير السلوك والقناعات لدى الأفراد) [٤٨٤] .

وتكمن أهمية القصة في كونها جزءاً من العملية التعليمية في وقتنا الحالي، وخصوصاً في

---

[٤٨١] - السباعي ، مصطفى : من روائع حضارتنا ، ط٢ ، دمشق ، المكتب الإسلامي ،١٣٩٧هـــ.، ص٣٠.

[٤٨٢] – الحازمي ،المشكلات الاسرية التربية، مرجع سابق، ص٧٢.

[٤٨٣] – المرجع سابق ص٧٢ .

[٤٨٤] – عبد القادر، أحمد عبد القادر، القصص النبوي، مجلة المستقبل، العدد ٩٣، محرم ١٤٢٠هـــ، ص٣١.

عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – ، حيث إنها لم تكن مجرد قصص تحكى على سبيل التسلية وفقط ، ولكنها كانت تقص على هيئة دروس علمية نبوية ، يتعهد بها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ صحابته تثقيفاً وتوجيهاً لهم ،(وخروجاً بهم من جو التلقين العلمي الجاف الذي يتسبب في نفرة المتعلمين ، وخصوصاً في بداية الرسالة التي كانت تتطلب أسلوباً دعوياً شائقاً يشد انتباه عقول الفصحاء والبلغاء، ويصرفهم من مجالس اللهو والعبث والشعر، ويستميلهم إلى مجالس الذكر وحلقات العلم .

وتعد القصة من أنجح الأساليب التربوية، فلا يستطيع المُربي أن يستغني عنها ؛ لأهميتها فهي تُعمل في النفس مالا يُعمله الأسلوب المباشر ؛ فهي تسكت عن ذكر المغزى منها ، وتترك للسامع أن يستخرجه، وهو بذلك يكون أكثر تأثراً ؛ لأنه يتبنى المغزى عن قناعة ، وقد يحس بأنه صاحب هذه الفكرة ، لم يفرضها واعظ عليه ، ولم يُوح معناها إليه أحد) [٤٨٥] ؛ فتكون بذلك قد استصحبت القصة عقل السامع ؛ لتُعمل عقله في أحداثها ، فيخرج بنتاج فكري يعتز به الفرد ؛ لأنه من بنات فكره، وليس لأحد فضل عليه .

(تقوم القصة بالتأثير على عواطف الإنسان، فتكوِّن لديه ميول نحو فئة أو أفراد، أو سلوك معين، وبالتالي يتقمص شخصياتهم ويقلد سلوكهم ؛ وذلك من خلال المشاركة الوجدانية لأحداث القصة وشخصياتها ، حيث يندمج المستمع أو القارئ مع جو القصة العاطفي ، حتى يعيش بانفعالاته مع شخصياتها، فيحب ويكره ، ويعادي ويتألم ، وبالتالي يتكون لديه اتجاه بحسب موضوع القصة) [٤٨٦] .

وأسلوب التربية بالقصة له قبول في أوساط المجتمع بمختلف مشاربهم المتعددة ، ولذلك "يعلِّق المربون أهمية كبيرة على القصة ، ويرون أنها أسلوب ناجح يحقق كثيراً من الأغراض التعليمية والتربوية المنشودة في كثير من مجالات التعليم" [٤٨٧] ، إذا وُظِّف هذا الأسلوب بشكل صحيح ومُنظَّم .

---

٤٨٥ – لطفي ،محمد ، التصوير الفني في الحديث النبوي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ، ص٤٩٩.

٤٨٦ – الحازمي ،المشكلات التربوية ، مرجع سابق ص٧٣.

٤٨٧ – صبحي طه رشيد إبراهيم، التربية الإسلامية وأساليب تدريسها، دار الأرقم للكتب، عمان، ط١، ١٤٠٣هـ، ص٢٤٣.

للقصة في التربية الإسلامية وظيفة تربوية لا يحققها أسلوب آخر من أساليب التربوية :

١- فالقصة لها تأثير نفسي عميق ، تتركه في ذهن المستمع أو القارئ تدفعه إلى تغيير سلوكه وتجديد عزيمته .

يقول محمد قطب : " في القصة سحر يسحر النفوس " أي سحر هو ! وكيف يؤثر على النفوس ؟... ويستمر قائلاً ، سحر القصة قديم قدم البشرية،وسيظل معها حياتها لكنها على الأرض...لا يزول" [٤٨٨].

٢-من خلال القصة يستطيع أن يغرس المربي في نفوس الناشئة الأخلاق الرفيعة والمهارات المطلوبة.

٣-تنمية الخيال الخصب خاصة لدى الأطفال من خلال الانتقال لعالم الخيال، وتصور أحداث القصة وأفرادها ، مما يثير خياله الفكري ، ويجعله يستمتع بمجرياتها دون ملل.

مصادر القصة :

تعد مصادر القصة في التربية الإسلامية ، مما يتيح للمربي التنويع في المصدر، ويمكن إجمال مصادرها فيما يلي:

-(القرآن الكريم .
- السنة النبوية .
- المصادر التاريخية المعتمدة .
- كتب التراجم والسيرة .
- الحوادث التي تحدث في المجتمعات) [٤٨٩] .

أنواع القصة :

إن تواجد القصص في كثير من آيات الذكر الحكيم ؛ لدليل قوي يبيِّن قدرة الله العظيمة في استخدام أفضل الأساليب التربوية وأجملها، وتُعد القصة واحدة من أهمها ، ولذلك نوَّع في استخدامها، من ثم وُجد للقصة أنواع منها :

---

[٤٨٨] قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية ، الطبعة العاشرة ، القاهرة ، دار الشروق ، ج ١، ص ١٩٢ .

[٤٨٩] الحازمي ، المشكلات التربوية الأسرية والأساليب العلاجية ، مرجع سابق ،ص٧٥ .

أولاً – القصة التاريخية الواقعية :(وهي تلك القصة التي سردت مجموعة من الأحداث والأشخاص وفق زمانها ومكانها وتسلسل أحداثها، ومن هذا النوع قصة موسى – عليه السلام – والرجل الصالح.

ثانياً – القصة الواقعية (المشاهدة) : وهي تلك القصة التي تجسد الواقع وتعبر عنه ، ومنها : القصص التي وقعت في زمن نبينا محمد ـصلى الله عليه وسلم – ، كالغزوات ، وحادثة الإفك ، وقصة كعب بن مالك وغيرها ؛ فهي بالنسبة للصحابة – رضوان الله عليهم – قصص مشاهدة ، يرون أصحابها ، ويشاهدون أماكنها ، وإن كانت لمن جاء بعدهم قصص غيبية .

ثالثاً – القصة الغيبية : وهي القصص التي تناولت أحداثاً ووقائع من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، ولكنها قصص حقيقية ستقع مستقبلاً : مثل المشاهد التي توضح صورة أهل النار والعذاب النازل بهم في الآخرة ، وإما تكون حدثت فعلاً ، و لم تصل إلى علم أحد إلا من خلال آيات القرآن من ثم نزلت مترلة الغيبيات ، وهي كقصة ابني آدم هابيل وقابيل، وكقصص الأنبياء، أو قصصاً لغير الأنبياء ممن لم تثبت نبوتهم ؛ كقصة أصحاب الكهف ، وأصحاب الأخدود، وذي القرنين ، وإما تكون قصصاً غيبية حاضرة ، كالحديث عن الجن والملائكة .

ثم تتنوع هذه القصص الواردة في الكتاب والسنة بحسب الموضوع الذي تعالجه ، وحسب الفكرة التي تريد تربية الناس عليها ، وهي تنقسم بحسب هذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام :

القصة القصيرة : وهي التي ترد في القرآن الكريم ، أو السنة النبوية في صورة سريعة ، تاركة للعقل أن يتصور أبعادها ، وأن يتفكر في أحداثها ؛ ليصل إلى العبرة التي سيقت القصة من أجلها، ومثالها : قصة نبي الله إلياس – عليه السلام – في دعوته لقومه.

القصة المتوسطة : ومثالها ما قصه الله سبحانه وتعالى في سورة النمل عن قصة الهدهد ، والنملة ، وبلقيس مع نبي الله سليمان – عليه السلام – .

القصة الطويلة : وهي التي ترد في القرآن مطولة ، ومثالها قصة نبي الله يوسف – عليه

السلام- فقد عرض القرآن هذه القصة ؛ فاستغرقت السورة كلها ، تخللتها من المواقف ، والعبر ، والدروس التربوية ما يمكن أن يفني العمر قبل أن يستكملها)[٤٩٠] .

والقرآن الكريم يحتوي كثير من قصص الأنبياء والأمم الماضية ويستخدم كل أنواع القصة .

مميزات القصة التربوية :

تتميز القصة في التربية الإسلامية التربوية بعدة مميزات من أهمها ما يلي :

١-(أحد أساليب التربية الإسلامية ، حيث تضمن القرآن الكريم الكثير من القصص قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (سورة : يوسف، آية : ٣) ، كما تضمنت السنة النبوية المشرفة العديد من القصص التي قصها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أصحابه وحفظتها كتب الأحاديث النبوية .

٢-تشد القارئ وتوقظ انتباهه والمستمع من خلال مواقفها المتعددة والمختلفة .

٣-تربية العواطف الإيمانية ، وذلك عن طريق إثارة انفعالات كالخوف ، والرضا ، والارتياح ، والحب، والكره ، وتوجيه تلك العواطف.

٤-الإقناع الفكري بموضوع القصة عن طريق الإيحاء ، والاستهواء ، والتأمل.

٥-بساطة هذا الأسلوب مما يجعله مناسباً للأطفال والكبار)[٤٩١] .

الآثار التربوية لأسلوب التربية بالقصة :

قد أشارت الباحثة أن أسلوب التربية بالقصة من الأساليب المؤثرة والناجحة ، وله آثار تربوية على المتعلم قد لا تتحقق في كثير من الأساليب التربوية الأخرى ، يقول الشيخ خليل الحدري : " إن الإسلام وهو دين الله الخالد ، قد جعل من أنجح أساليب التربية ، أسلوب القصة التي يهفو إليها الكبير والصغير، والذكر والأنثى ، والذكي المفرط في الذكاء ، والمتوسط في ذكائه وقدراته العقلية، إنهم جميعاً بلا استثناء تستهويهم القصة ، وتستثيرهم

---

[٤٩٠] - الحدري ، التربية الوقائية في الإسلام، مرجع سابق، ص٢٥٤-٢٥٥ .

[٤٩١] النحلاوي أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٣٦-٢٤٣.

أحداثها ، وتؤثر في نفوسهم مواقفها" [٤٩٢] .

على أن القصة في القرآن الكريم أو في السنة النبوية المطهرة ، يتخللها مواقف للتوجيه والتربية ، وليست قصصاً عقيمة مجردة ، أو أن هدفها إمتاع الأسماع فحسب ، بل لها أهداف تربوية أخرى مقصودة ، يقول الشيخ محمد قطب : " والقرآن الكريم يستخدم القصة لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي: تربية الروح، وتربية العاطفة، وتربية الجسم، والتوقيع على الخطوط المتقابلة في النفس... فهي سجل حافل لجميع التوجيهات، وهي كذلك -على قلة الألفاظ المستخدمة في أدائها- حافلة بكل أنواع التعبير الفني ومشخصاته" [٤٩٣] .

ولقد ذكر المولى جلت قدرته للقصة آثاراً عظيمة في كتابه، وعلل الحكمة من إيراد التشريع الذي يريد بيانه للناس في صورة قصة ، فكان من هذه الآثار :

التفكر وإعمال العقل، قال تعالى بعد ما قص من حال قوم لوط، وكيف أهلكهم مخاطباً في ذلك قريشاً لتُعمل عقلها في نتائج الإعراض ، والصد ، والتمادي في الكفر والجحود : "وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون " سورة : الصافات، آية : ١٣٧- ١٣٨. أنها تتعامل مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة ؛ فهي لا تصور الأنبياء بصورة الملائكة ، أو تدعي العصمة للأنبياء من الخطأ والنسيان ، وما يعتري بشريتهم وترفعهم إلى مقام الألوهية ، بل إنها تبين عصمتهم من الإخلال بالرسالة ، واقتراف الكبائر والصغائر عمداً [٤٩٤] .

تثبيت الفؤاد :(تثبيت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وقلب الامة المحمدية على دين الله و تقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده)[٤٩٥]، قال تعالى: ﴿وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾سورة هودآية١٢٠) .

---

[٤٩٢] - الحدري ، التربية الوقائية في الإسلام، مرجع سابق ، ص٢٦٠.

[٤٩٣] محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ج١، ص١٩٤.

[٤٩٤]الحدري ، التربية الوقائية في الإسلام، مرجع سابق ، ص٢٦٠

[٤٩٥] القطان ، مناع خليل : مباحث في علوم القران بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧، ص٣٠٧

يقول الخالدي في كتابه (مع قصص السابقين في القرآن) : "ومسلموا هذا الزمان أحوج ما يكونون لتحقيق هذا الهدف القرآني من قصص ، نحن أحوج ما نكون إلى أن نثبت بقصص القرآن أفئدتنا ، ونرسخ على طريق الحق مواقعنا ، ونثبت عليها أقدامنا ، نحن أحوج الناس إلى هذا ؛ لكثرة المثبطات ، والمعوقات ، والمغريات ، التي تميز بها هذا العصر، واشتداد المعركة بين الحق والباطل"[٤٩٦].

أخذ العبرة والعظة ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة يوسف آية ١١١) ، فالمراد هنا أخذ العظة والعبرة من القصة، وليس من الحق أن تكون القصة بحد ذاتها هدفاً تشنف به الآذان، وتملأ به المجالس ، وليس من الحق أن تقف الأسماع عند مجرد اللافتات البلاغية ، التي تشتمل عليها القصة.

توسيع مدارك الفرد وخبراته في الحياة ، حيث إنها لا تحوي موضوعاً واحداً ، بل إن كل قصة تمد الفرد بعدد كبير من المعارف المختلفة والتوجيهات والعبر، فتتوسع مداركه وتزيد ثقافته ويقوي إيمانه.

كيفية استخدام القصة :

إن التربية بالقصة أسلوب تربوي له أثره في سلوك المتعلمين ، فالتلاميذ يزداد شوقهم إلى معلمي المواد التي تدرس عن طريق أسلوب القصة ، بخلاف الطلاب الذين يتلقون تعليمهم بطريقة سرد المعلومات والمعارف بطريقة الكلام المرسل ، وذلك " بحكم فطرتهم إلى سماع القصص ، كما يروق لهم أن يشاهدوا حوادثها بأعينهم على مسرح المدرسة ، ويقلدون أقوال ما يجري فيها من أحداث ، وأخلاق ، وسلوك ، في حياتهم العملية الواقعية اليومية ، كما أن المعلم قد يجد فتوراً لدى طلابه ، فإذا استشهد بقصة ، شاهد تبدلا وتغيراً واضحاً في جلساتهم ، وتلمَّس بريقاً شعا في عيونهم ، وإصفاء مرهفا في آذانهم وهدوئهم "[٤٩٧] ؛ لذلك يجب على المعلمين والمربين الاعتناء بهذا الأسلوب الشيق وإجادة استخدامه ، ولكي يكون المربي مجيداً لاستخدام أسلوب القصة ينبغي الأخذ بالنقاط التالية :

---

[٤٩٦] – الخالدي ، صلاح عبد الفتاح : مع قصص السابقين في القران ، دمشق ، دار القلم ، ١٣٠٩هـ ، ص٢٧.

[٤٩٧] الهاشمي، عبد الحميد : ا لرسول العربي المربي ، دمشق ، دار الثقافة ، ١٤٠١هـ ، ص٢٤٤.

١-(تحديد فكرة القصة وما تدور حوله ، ومحاولة ربطها بموضوع الدرس ؛ ليدرك التلاميذ علاقتها بما يدرسون .

٢-تحديد مكونات القصة وترتيبها ترتيباً منطقياً .

٣-الإعداد المسبق بما يساعده على سردها بسهولة ولباقة)[٤٩٨] .

٤-(أن يكون للقصة هدف واضح بمعنى أن تحقق دوراً تربوياً هاماً .

٥-أن تختار القصة اختياراً دقيقاً ، بأن تكون سلسة في أسلوبها، وطرق عرضها للأحداث .

٦-أن تكون مشوقة، ويكون فيها نوع من المداعبة ؛ لتحريك الذهن،وإذهاب الملل والسأم عن السامع.

٧-أن تكون مستمرة، سواء عن طريق البيت أو المدرسة حتى تتحدد الموعظة فيها وتتنوع)[٤٩٩].

ومن خلال القصة يستطيع المربي أن يغرس في نفوس التلاميذ الأخلاق الفاضلة والصفات الرفيعة، من كرم ، وصدق ، وشجاعة ، وصبر ، وإيثار ، وعزة ، وطاعة لله ورسوله وغيرها ، متمثلة في شخصيات ، وقدرات إسلامية عديدة ، أولها الأنبياء ، ثم الصحابة الكرام ، وأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – ثم التابعين ، والصالحين من كل زمان ومكان ، وسيرة أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها- مليئة بالمبادئ والقيم التي حري أن يقتدي بها المؤمنون عامة والزوجة الصالحة والأم خاصة .

وكما ينمي المربي في نفوس الناشئة الأخلاق النبيلة عن طريق القصة ، كذلك يستطيع المربي أن ينفر الناشئة من الأخلاق القبيحة ، والسلوكيات الشائنة .

وبعد هذه الوقفات الخفيفة مع أسلوب القصة التربوي ، واعتباره من أنجح الأساليب التربوية مع النشء ؛ لما للقصة من أثر كبير على نفس السامع وعقله ، وجب على المربي والمعلم اتخاذ أسلوب القصة أسلوباً تربوياً ؛ لتحقيق أهدافه التثقيفية والتربوية، واقتباسه لإيجابيات الأسلوب القصصي القرآني والنبوي، وتأسيه بسيرة ومعجزات وأخلاق النبي -

---

[٤٩٨] وزان، سراج محمد : التربية الإسلامية كيف نرغبها لأبنائنا ، مكة المكرمة ، منشورات رابطة العالم الإسلامي ، ص ٤٨-٤٩ .

[٤٩٩] خلف الله، سلمان،منهج النبي-صلى الله عليه وسلم-في التعامل مع الناشئة،عمان، الأردن، بيت الأفكار الدولية،١٤٢٠هـ ، ص٧٧.

صلى الله عليه وسلم – ، وجهاده ، ومحاولة قصّ هذه القصص البناءة عن النبي – صلى الله عليه وسلم– وصحابته – رضوان الله عليهم – ، والصالحين من بعدهم ، للمتعلمين ، مع إبراز معالم القدوة ، وترسيخها ، وتعميقها في نفوسهم.

كما ينبغي للمربين والآباء والأمهات أن يقصوا على الأولاد بعضاً من تجارب حياتهم ؛ لأنهم بطبعهم يميلون إلى قصص الوالدين والمربين ، وتجاربهم في الحياة ، وهي تعد عـــاملاً أساسياً في توثيق أواصر المحبة والصداقة بين الآباء والأولاد وبين المعلمين والتلاميذ .

النتائج :

بعد استعراض حياة السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين – رضي الله عنها – يمكن للباحثة استخلاص بعض النتائج ، والتي من أهمها :

١-مكانة السيدة خديجة أم المؤمنين – رضي الله عنها – عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعند المسلمين ، فعن علي بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: " خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ " .

٢-موقف الزوجة الصالحة مع زوجها في محنته وكربته ، وأثره في تقرير محبة زوجها واستقرار الأسرة .

٣-الصفات الإيجابية في الزوجة ، وأثره في تعزيز استقرار الأسرة .

٤-استقرار الأسرة وأثره في تبليغ دعوة الله عز وجل ، وأثره في تنشئة الأجيال .

٥-أهمية مكارم الأخلاق وحسن الخلق في التعامل مع الآخرين ، حيث يجعل له القبول والحب عند الناس .

٦-عظم مكانة الزوج ، فموقف خديجة – رضي الله عنها – مع زوجها ــ صلى الله عليه وسلم ــ موقف ينم عن عقلية المرأة المؤمنة لمراعاة عظم مكانة زوجها ، وفي هذا يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ " [٥٠٠].

٧-أهمية إدخال السرور على المسلم فقولها – رضي الله عنها – : " كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ" فيه إشارة إلى أهمية إدخال الطمأنينة والسرور على الزوج ؛ لذا فقد اهتم الإسلام بهذا الخلق ، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا ، وَمَنَ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ،

---

[٥٠٠] القزويني ،سنن ماجة ،، مصدر سابق ، رقم الحديث١٨٥٣، ٢٨٦٧/٢

وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ. " رواه الطبراني في الكبير، وقد تحقق في أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها كل ما ورد في الحديث الشريف .

٨- أهمية المستشار وأثره في استقرار الأسرة ، وذلك عندما حصل الأمر غير المألوف في أسرة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم قامت السيدة خديجة باستشارة ابن عمها .

٩-دور الزوجة الكبير في تربية الأبناء ، ويظهر ذلك من تربية السيدة خديجة لأبنائها ، وتربيتها على ابن أبي طالب .

١٠- أثر العاطفة التربوية في سرعة الاستجابة لدين الله ، ويتمثل ذلك في مقدار الإيمان الذي غرسته السيدة خديجة في بناتها فكانت استجابتهم للإسلام سريعة .

١١- أهمية الصبر في الأسرة ، ويظهر ذلك من صبر السيدة خديجة - رضي الله عنها — والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حياتهم الزوجية من بدايتها ، حتى وفاة السيدة خديجة - رضي الله عنها -.

يقول الإمام علي - رضي الله عنه - : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان [٥٠١].

١٢- إقرار الإسلام لكثير من الأخلاق والمبادئ التي كانت تتصف بها السيدة خديجة أم المؤمنين- رضي الله عنها - .

١٣- استخلاص صفات الزوجة المثالية من خلال حياة السيدة خديجة - رضي الله عنها - ، والتي من أبرزها الإيمان ، والإخلاص ، والصبر ، والأمانة ، والتفاؤل ، وحسن الخلق ، والتودد للزوج .

١٤- ضرورة القدوة الصالحة للناشئة ولجميع المسلمين ، وقد جعل الله عز وجل أمهات المؤمنين قدوة للمسلمين والمسلمات ، يقول الله تعالى : ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ (سورة : الأحزاب ، آية :٣٠) .. ؛ وذلك لعظم الأمانة الملقاة على عاتقهن في باب القدوة .

---

[٥٠١] البيهقي، شعب الإيمان ، مصدر سابق ، رقم الحديث،١/٧١

١٥- تحكيم العقل على العاطفة ، وتغليب الآجل على العاجل وإن كان العاجل مضر ، ويمثل ذلك في اختيار السيدة خديجة –رضي الله عنها – طريق الدعوة ونشر الإسلام على حياة الراحة .

١٦- عظم واجب الأسرة ودورها الفعال الذي يزداد يوماً بعد يوم ، وأهمية هذا الواجب الذي تضطلع به في تربية الأولاد .

١٧- أثر القدوة الحسنة في التأثير على الناشئة ، والوصول بهم إلى المثالية في التعامل مع الآخرين .

التوصيات :

١-توصي الباحثة بضرورة الاعتناء بسيرة أمهات المؤمنين ، أو الاستفادة من ذلك في المؤسسات التعليمية المختلفة .

٢-توصي الباحثة بربط فتيات المسلمين بالقدوات الصالحات ، وأولهن أمهات المؤمنين اللاتي جعلهن الله قدوة للنساء .

٣-تخصيص مادة دراسية تدرس في مدارس البنات توضح سيرة أمهات المؤمنين .

٤-توصى الباحثة وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة في تكثيف دورها الإعلامي ، وذلك بتعزيز الصفات الإيجابية للمرأة المسلمة ، والتحذير من الصفات السلبية .

٥- ضرورة حرص الأسرة واهتمامها بتنشئة أبنائها على القيم الخلقية بما يناسبهم من أساليب التربية .

٦- ضرورة تضافر وتعاون الوسائط التربوية في تنشئة الأجيال على القيم الخلقية الإسلامية ، والتي بها تكون استقامتهم .

المقترحات :

١-توصي الباحثة بإكمال البحث في تاريخ أمهات المؤمنين ، ثم إصدار موسوعة عن التربية النبوية وطرائقها وأسسها .

٢-إنشاء مركز تدريبي نسائي للاهتمام بالمرأة وبالزوجات ، وتدريبهن على المبادئ التربوية ، حتى يقربهن من المثالية .

٣- ضرورة إنشاء مراكز متخصصة في شئون الأسرة ، وقيام نخبة من المتخصصين عليها ، يكون دورها: توجيه الآباء والأمهات للطريقة المثلى في التغلب على المشكلات التي تواجههم، والتي تؤثر على تربية الأبناء ومستقبلهم .

المراجع والمصادر :

١. القران الكريم.

المصادر :

٢. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني : الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥م.

٣. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني : الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥م.

٤. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني،أسد الغابة ، تحقيق محمد البنا واخرون ، بروت ، دار الفكر د.ت.

٥. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزواوي ومحمود الطنجي ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٦٣ هـ.

٦. ابن الأثير، ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، بيروت ، المكتبة العلمية ، ١٣٩٩هـ.

٧. الأزهري ، محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، تحقيق : الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٦٧م.

٨. الأزرقي، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار ، تحقيق : رشدي الصالح ملحس ، لبنان ، الشركة العصرية، ١٤٢٣هـ.

٩. ابن إسحاق ، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي: السير والمغازي ، تحقيق سهيل زكار ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٨م.

١٠. البخاري، محمد إسماعيل : صحيح البخاري (الكتب الستة)، مكتبة الرشد ،الرياض،١٤٢٦هـ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود : معالم التنزيل ، دار طيبة ، المدينة المنورة ، ط٤ ، ١٤١٧ هـ

١١. ابن بطال،ابو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك: شرح صحيح البخاري ، تحقيق ياسر ابن إبراهيم،ط٢، الرياض، مكتبة الرشد، .
١٢. البيهقي، أبي بكر احمد بن الحسن: دلائل النبوة للبيهقي، تحقيقعبد المعطي قلعجي، القاهرة دار الريان ،١٤٠٨هـ.
١٣. البيهقي ،أبي بكر احمد بن الحسن: شعب الإيمان، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ .
١٤. البهوتي ، منصور بن يونس : شرح منتهى الإرادات ،بيروت، عالم الكتب ، ١٤١٤هـ .
١٥. الترمذي ، محمد بن عيسى :سنن الترمذي (الكتب الستة) ، مكتبة الرشد ،الرياض،١٤٢٦هـ
١٦. الجوهري، إسماعيل بن حماد : الصحاح ، دارا لعلم للملايين ، بيروت ، ١٤٠٤هـ
١٧. الجرجاني ، علي بن محمد : كتاب التعريفات ، ط٢، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٢٨هـ ،
١٨. ابن الجوزي ، جمال الدين أبي الفرج : صفة الصفوة ابن الجوزي ، تحقيق خالد طرطوسي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ،١٤٢٦هـ.
١٩. ابن حجر ، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب ، القاهرة دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ.
٢٠. الحلبي ، علي بن برهان الدين : إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية ، مصر ، المكتبة التجارية ، ١٩٦٢م.
٢١. ابن حجر ، ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: الإصابة في تميز الصحابة ، بيروت ، دار الفكر ، د .ت .
٢٢. الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع تحقيق صلاح عويضة، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ .

٢٣. الذهبي،أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء ، لبنان ، بيت الأفكار الدولية ،٢٠٠٤ م.
٢٤. الذهبي ، شمس الدين كتاب الكبائر ،ط٢ ، لبنان ،مؤسسة الريان، ١٤١٧هـ .
٢٥. الرازي ، محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح ،ت/ محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ
٢٦. الراغب الأصفهاني ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٠م
٢٧. أبو داود،سليمان بن الأشعث :سنن أبي داود (الكتب الستة)، مكتبة الرشد ،الرياض،١٤٢٦هـ
٢٨. الرامهرمزي ، الحسن بن عبد الرحمن: المحدث الفاصل بين الراوي والراعي ، ط ٣، ١٤١٤هـ .
٢٩. الزبيدي ، محمد بن عبدالرزاق الحسيني : تاج العروس من جواهرالقاموس ، دار الهداية ، تحقيق مجموعة من العلماء. ، ١٣٩٩هـ.
٣٠. الزبيري ، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله : نسب قريش ، مصر ، دار المعارف ،١٣٥٣م
٣١. الزمخشري ، جابر محمد بن عمر : الكشاف ، القاهرة ، دار بولاق ، ١٣١٨هـ.، ج٢ ، ص٣٤٩ .
٣٢. ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع :الطبقات الكبرى ، بيروت، دار صادر ، د.ت.
٣٣. الشاطبي ، إبراهيم موسى : الإعتصام ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ
٣٤. الشيباني ،احمد بن حنبل : مسند الامام احمد ،مصر ،مؤسسة قرطبة
٣٥. الطبراني ،سليمان بن احمد بن ايوب :المعجم الكبير، ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ،ط٢، الموصل ، وكتبة الزهراء ، ١٤٠٤هـ .
٣٦. الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ، بيروت ، دار صادر،١٤٢٤هـ.

٣٧. الغزالي ، أبي حامد محمد بن محمد ، إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٥هـ
٣٨. ابن فارس ابي الحسن احمد : مقاييس ، تحقيق عبد السلام هارون ،ط٢، مصر ، مكتبة مصطفى الباني.
٣٩. الفخر الرازي: التفسير الكبير ، ، بيروت ،دار التراث العربي، د.ت
٤٠. الفيروزبادي، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، بيروت ، دار الرسالة .
٤١. الفيومي ، أحمد محمد : المصباح المنير ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٧م،.
٤٢. القزويني ، محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة (الكتب الستة) ، مكتبة الرشد ، الرياض ،١٤٢٦هـ
٤٣. القرطبي،ابو عبد الله محمد بن احمد ، الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، دار الشعب .
٤٤. ابن القيم ، شمس الدين محمد بن أبي بكر ، مدارج السالكين لابن القيم الجوزية ، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ،١٤٢٩هـ.
٤٥. ابن القيم،شمس الدين محمد بن أبي بكر : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، بيروت ،دار المعرفة
٤٦. ابن القيم ، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ، بدائع الفوائد ، تحقيق أحمد عبد السلام ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـ .
٤٧. ابن القيم ، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد ، اختصار الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤٢٧هـ.
٤٨. ابن القيم ، شمس الدين محمد بن أبي بكر ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، تحقيق : محمد جميل غازي ، القاهرة ، مطابع المدني، ١٩٨٥ م.
٤٩. ابن القيم ،شمس الدين محمد بن أبي بكر : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، تحقيق نعيم زوزو ، بيروت ، دار الكتب العلمية
٥٠. ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر:البداية والنهاية، بيروت، المكتبة العصرية،١٤٢٧هـ.

٥١. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : حسين إبراهيم زهران ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٨هـ .
٥٢. ابن منظور، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت،دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٣هـ.
٥٣. مجموع فتاوي شيخ الإسلام احمد ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن النجدي، الرياض ، مطابع الرياض، ١٣٨٣هـ
٥٤. الكفوي،أبو الفداء ، الكليات : معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق : عدنان درويش ، بيروت ، مؤسسة الرسالة،١٩٩٣م
٥٥. النووي، محي الدين أبو زكريا بن شرف: المنهاج في شرح صحيح مسلم المسمى شرح النووي على مسلم ، دار الفكر ، بيروت،١٣٩٢هـ .
٥٦. النيسابوي، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (الكتب الستة)، مكتبة الرشد ،الرياض،١٤٢٦هـ
٥٧. النيسابوري، ابي عبدالله محمدبن عبدالله الحاكم، المستدرك على الصحيحين،بيروت ، دار الكتاب العربي،١٤٢٩هـ.
٥٨. الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ط٣ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٢هـ.
٥٩. ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب ، السيرة النبوية ، بيروت ، دار الأرقم
٦٠. الواقدي،محمد بن عمر بن واقد : مغازي الواقدي، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤م.
٦١. اليعقوبي أحمد بن يعقوب بن جعفر ،: تاريخ اليعقوبي، بيروت دار صادر.

المراجع

٦٢. أحمد ، المبروك عثمان : تربية الأولاد في الإسلام ، بيروت ، دار قتيبة ، ١٤١٣هـ .

٦٣. بن باز ،عبد العزيز بن عبدالله :مجموعة رسائل في الحجاب والسفور، الرياض، الرئاسة العامة للافتاء برانق، محمد أحمد: مجموعة أمهات المؤمنين (خديجة الطاهرة) ، ط٧ ، القاهرة ، دار المعارف ،١٩٩٠م

٦٤. ابن بكار ، منتخب من كتاب أزواج النبي لمحمد بن الحسن بن زبالة ، المملكة العربية السعودية، دار إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٨١م

٦٥. البيانوني ، محمد أبو الفتح ، المدخل إلى علم الدعوة ، ط٣، بيروت ، مؤسسة رسالة ، ١٤١٥هـ .

٦٦. التميمي ، محمد بن عبد الوهاب ، مختصر سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ط٢، الرياض ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، ١٤٢٣هـ جابر،عبد الحميد و أحمد كاظم: ضيف، شوقي : تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، القاهرة، ط٨ ، دار المعارف.

٦٧. جابر،عبد الحميد ، و أحمد كاظم: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط٢، القاهرة ، دار النهضة.

٦٨. الجدع ، أحمد : أولاد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأحفاده وأرباؤه ، عمان الأردن ، دار الضياء ، ١٤٢٧هـ

٦٩. الجمل ، إبراهيم محمد حسن :أم المؤمنين خديجة بنت خويلد المثل الأعلى لنساء العالمين ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٨٧م

٧٠. الجزائري، أبي بكر بن جابر عقيد ة المؤمن،الرياض، مدار الوطن للنشر ١٤١٦هـ

٧١. الحازمي،خالد بن حامد: المشكلات التربوية الأسرية والأساليب العلاجية، الطبعة الثالثة، دار الزمان، المدينة المنورة ١٤٢٨هـ

٧٢. الحدري ، خليل عبدا لله عبد الرحمن : التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها ، مطابع جامعة أم القرى ، ١٤١٨هـ

٧٣. الحقيل ، سليمان بن عبد الرحمن :متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا مصدر الكتاب : موقع الإسلامhttp://www.al islam.com

٧٤. الحلواني ، فتحية عمر : دراسة ناقدة لإساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام ، جدة ، تهامة ، ١٤٠٣هـ

٧٥. ابن حميد، صالح بن عبد الله، القدوة مبادئ ونماذج، منشورات الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٧٦. الخالدي ، صلاح عبد الفتاح : مع قصص السابقين في القران ، دمشق ، دار القلم ، ١٣٠٩هـ .

٧٧. خلف الله، سلمان،منهج النبي-صلى الله عليه وسلم-في التعامل مع الناشئة،عمان، الأردن، بيت الأفكار الدولية،١٤٢٠هـ

٧٨. خوجه ،عبد المقصود محمد سعيد، التعامل مع الإرهاب العنف والتطرف، مصدر الكتاب : موقع الإسلام http://www.al-islam.com

٧٩. خياط ، محمد جميل، الإعداد الروحي والخلقي للمعلم والمعلمة، ط٢، جدة ، دار القبلة ، ١٤١٦هـ

٨٠. الرديني ، فاطمة حمد : التربية الإسلامية من المفهوم إلى التطبيق ضرورة إنسانية ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤٢٦هـ.

٨١. الزنتاني ، عبد الحميد الصيد ، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨٤م .

٨٢. الساموك ، سعدون محمود : الأساليب التعليمية للتربية الإسلامية ، عمّان : دار وائل للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٥م ،

٨٣. السباعي ، مصطفى : من روائع حضارتنا ، ط٢ ، دمشق ، المكتب الإسلامي ،١٣٩٧هـ.

٨٤. السبحي، بنجر/ عبد الحي أحمد، فوزي صالح: طرق التدريس واستراتيجياته ، الطبعة الأولى، دار زهران، جدة، ١٤١٧هـ .
٨٥. سيد قطب : في ظلال القران ، دار الشروق ، ١٤٠٢هـ .
٨٦. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،بيروت، دار ابن حزم،١٤٢٤هـ
٨٧. السدلان ، صالح بن غانم :أسباب الإرهاب والعنف والتطرف مصدرالكتاب : موقع الإسلام http://www.al islam.com
٨٨. الشريف، محمد موسى، القدوات الكبار،مكة، دار الفرقان، ١٤٢٨هـ.
٨٩. الشنقيطي ، محمدالامين ، أضواء البيان في ايضاح القران بالقران،ط٢ ،القاهرة،مكتبة ابن تيمية،١٤٠٨هـ .
٩٠. صالح، سلوى، السيدة خديجة بنت خويلد ، ط١،أطوار للدراسات والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٦م
٩١. صبحي طه رشيد إبراهيم، التربية الإسلامية وأساليب تدريسها، دار الأرقم للكتب، عمان، ط١، ١٤٠٣هـ
٩٢. الصديقي ،مجد بن علان ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، القاهرة ، دار الريان ، ١٤٠٧هـ
٩٣. الصلابي ، علي محمد: السبرة النبوية ، ط٢ ، بيروت ، دار المعرفة،١٣٢٦هـ.
٩٤. عبد القادر، أحمد عبد القادر، القصص النبوي، مجلة المستقبل، العدد ٩٣، محرم ١٤٢٠هـ .
٩٥. عاشور ، سعيد هارون :نساء النبي -صلى الله عليه وسلم- سير وقضاياه ، مصر ، مكتبة الآداب ،١٩٩٦م
٩٦. العارفة، عبد اللطيف بن عبد الله ، التطبيقات العملية (دراسات تربوية تطبيقية للمربين) ، مكة المكرمة ، دار طيبة الخضراء، ١٤٢٣هـ.
٩٧. عمر، عبد المنعم محمد: خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر .

٩٨. ابن عثيمين ،محمد بن صاح : شرح رياض الصالحين ،الرياض، دار عالم الكتب،١٤١٤هـ

٩٩. عمر ، كوثر محمد :عوامل استقرار الأسرة في الإسلام ، لبنان ، دار حضر ، ١٤١٧هـ

١٠٠. علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام ، ط٢١، القاهرة ، دار السلام ، ١٤٢١هـ

١٠١. عطية ، عماد محمد : التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها ، الرياض ، مكتبة الرشيد ١٤٢٥هـ

١٠٢. العقيل ، عبد الله عقيل : التربية الإسلامية، مفهومها، مصادرها واصولها وتطبيقاتها ومربوها، ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤٢٧هـ.

١٠٣. الغامدي ، عبد الرحمن بن عبد الخالق حجر : مدخل إلى التربية الإسلامية ، الرياض ، دار الخريجي ، ١٤١٨هـ

١٠٤. الفوزان ، صالح بن فوزان ، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ط٢ ، مطابع الحميضي ، الرياض ، منشورات الرئاسة العلمية والإفتاء ، ١٤٢٧هـ .

١٠٥. فودة ، حلمي محمد ، وعبد الله صالح ، المرشد في كتابة الأبحاث، ط٧ ، جدة ،دار الشروق ،١٤١١هـ.

١٠٦. ابن قاسم، محمد بن عبد الرحمن ، ، فتاوي ورسائل سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف ال الشيخ ، الرياض ، مطبعة الحكومة، ١٣٩٩هـ

١٠٧. القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، الناشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤٢٣هـ .

١٠٨. القطان ، مناع خليل : مباحث في علوم القران بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧، ص٣٠٧

١٠٩. القطب ، محمد علي (وآخرون) : نساء حول الرسول -صلى الله عليه وسلم- تراجم وقصص،بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤٢٨ هـ

١١٠. قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية ، الطبعة العاشرة ، القاهرة ، دار الشروق.

١١١. لطفي ،محمد ، التصوير الفني في الحديث النبوي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ.
١١٢. مراد ، مصطفى ، قصص الصحابيات ،القاهرة ، دار الفجر ، ١٤٢١هـ
١١٣. المقدم ،محمد بن إسماعيل ، علو الهمة ، القاهرة ، دار ابن الجوزي ، ٢٠٠٥م..
١١٤. مطاوع، إبراهيم عصمت، الأصول الإدراية للتربية ، ط٢،جدة، دار الشروق ، ١٤١٦هـ .
١١٥. النشمي ، عجيل جاسم : معالم في التربية ، الكويت ، مكتبة المنار الإسلامية ، ١٤٠٠هـ
١١٦. نجيب ، عمارة ، الأعلام في ضوء الإسلام ، الرياض، مكتبة المعارف، ١٩٨٠م ،
١١٧. النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، الطبعة الثانية،بيروت، دار الفكر ،١٤١٦هـ.
١١٨. ناصر، إبراهيم، علم الاجتماع التربوي، ط٢، دار الجبل، بيروت ، ١٤١٦هـ.
١١٩. الهاشمي، عبد الحميد : ا لرسول العربي المربي ، دمشق ، دار الثقافة ، ١٤٠١هـ
١٢٠. الهاشمي ، عبد المنعم: أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- ، بيروت ، دار ابن حزم ، ١٤٢٥هـ
١٢١. وزان، سراج محمد : التربية الإسلامية كيف نرغبها لأبنائنا ، مكة المكرمة ، منشورات رابطة العالم الإسلامي .
١٢٢. الوكيل ، محمد السيد : تأملات في سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، ط٣ ، جدة ، دار المجتمع ، ١٤١٦هـ.
١٢٣. بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن : نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، مصر ، دار الهلال ، ١٣٧٤هـ .

١٢٤. يكن، فتحي ، مشكلات الدعوة والداعية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤١٧هـ .